العقد الفريد

للإمام الفاضل شهاب الدين أحمد
المعروف بابن عبد ربه الأندلسي

الجزء الرابع

كلام الأعراب والأجوبة والخطب والتوقيعات
والفصول والصدور والكتبة

مكتبة صادر بيروت

مكتبة لسان العرب

v.4 no.13-16

العقد العربي
١٣

V.4

من خيام الأعراب

مكتبة صادر
بيروت

7540-134-8

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

من خيام الاعراب

Near East
PJ
7745
.I15
.I5
v.4
c.1
١٩٥٢/١٢٥

كتاب العسجدة

في كلام الاعراب

قال أحمدُ بنُ محمد بن عبدِ ربّه: قد مَضى قولُنا في النّسب الذي هو سَبَبٌ الى التعارف، وسُلّمٌ الى التواصل، وفي تَفضيل العرب، وفي كلام بعض الشّعوبية، ونحن قائلون بعَون الله وتوفيقه في كلام الأعراب خاصّةً اذ كان أشرفَ الكلام حَسَباً، وأكثرَه رَونقاً، وأحسنَه ديباجاً، وأقلَّهُ كُلْفَةً، وأوْضَحَه طريقة، وإذ كان مَدارُ الكلام كلّه عليه، ومُنْتَسبُه اليه.

•

قال رجل من مِنقر: تكلّم خالدُ بن صَفْوان بكلام في صُلح لم يَسْمع الناسُ كلاماً قبلَه مِثْلَه، وإذا بأعرابيّ في بَتٍّ[1] ما في رِجليه حِذاء، فأجابه بكلام وَدِدْتُ أني مِتُّ قبل أن أسمعه، فلما رأى خالدٌ ما نزل به قال لي: ويْحك! كيف

---

١ البت: كساء غليظ.

نجاريهم وإنما نحكيهم، أم كيف نسابقهم وإنما نجري بما سبق الينا من أعراقهم ؟

قلتُ له : أبا صفوان، والله ما ألومك في الأولى، ولا ادع حمدك على الأخرى .

•

وتكلم ربيعةُ الرّأي يوماً بكلام في العلم فأكثر، فكأنّ العُجْبَ داخلَه ، فالتفت الى أعرابيّ الى جَنْبه ، فقال : ما تعُدّون البلاغة يا أعرابيّ ؟

قال : قِلّة الكلام وإيجاز الصّواب .

قال : فما تعُدّون العيّ ؟

قال : ما كنتَ فيه منذ اليوم ؛ فكأنما ألقمه حجراً .

•

قول الاعراب في الدعاء

قال عمرُ بن عبد العزيز ، رَضي الله عنه : ما قَوْم أشبهَ بالسلف من الأعراب لولا جَفاءٌ فيهم .

وقال غَيْلان : إذا أردتَ أن تَسْمع الدُّعاء فاسمع دُعاء الأعراب .

•

قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابيٌّ يقال له مَرْثَد : اللهم اغْفِر لي والجِلدُ بارد ، والنَّفْس رابطة ، واللِّسان مُنْطَلِق ، والصُّحف مَنشورة ، والأقلام جارية ، والتوبة مَقْبولة ، والأنفُس مُريحة ، والتَّضرع مَرْجوّ ، قبل أزّ العُروق[1] ، وحَشَكِ النَّفْس[2] ، وعلز[3] الصَّدر ، وتَزَيُّل الأوصال[4] ، ونُصول الشَّعْر[5] ،

---

١ از العروق : ضربانها .

٢ حشك النفس : اجتهادها في النزع .

٣ العلز : القلق والكرب عند الموت .

٤ تزيل الاوصال : تفككها ، الاوصال ، واحدها وصل : كل عضو على حدة .

٥ نصول الشعر : تغير لونه ، او خروجه من الخضاب .

وتَحيُّف[1] التُراب، وقبل ألاّ أقدرَ على استغفارك حين يَفْنى الأجَل ويَنْقَطع العَمَل .

أعِنّي على الموت وكُرْبته ، وعلى القبْر وغُمّته ، وعلى الميزان وخِفّته ، وعلى الصّراط وزَلّته ، وعلى يوم القِيامة ورَوْعته .

اغفِر لي مَغفرة واسعة ، لا تُغادِر ذَنباً، ولا تَدَع كَرباً.

اغفِر لي جميع ما افتَرَضتَ عليّ ولم أؤدّه اليك .

اغفِر لي جميع ما تُبْتُ اليك منه ثم عُدتُ فيه .

يا رب ، تظاهَرَتْ عليّ منك النّعم ، وتداركَتْ عندك مِني الذّنوب ، فلك الحمد على النّعم التي تظاهرَتْ ، وأستغفرك للذنوب التي تَداركَتْ، وأمْسيتَ عن عَذابي غنياً، وأصبحتُ الى رحمتك فقيراً .

اللهم إني أسألك نَجاح الأمَل عند انقطاع الأجل ؛ اللهم اجعل خَيرَ عَمَلي ما وَليَ أجَلي ؛ اللهم اجعلني من الذين اذا أعطيتَهم شَكَروا ، وإذا ابتليتَهم صبروا ، وإذا ذكّرْتَهم ذكروا، واجعل لي قلباً توّاباً أوّاباً[2] ، لا فاجراً ولا مُرتاباً ،

---

[1] التحيف : التنقص .

[2] التوّاب : الراجع عن معصيته الى الله . الاواب : التائب.

واجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا، وإذا أساؤوا استغفروا؛ اللهم لا تُحقِّق عليَّ العذاب، ولا تقطَع بي الأسباب، واحفظني في كل ما تُحيط به شفقتي[1]، وتأتي من ورائه سُبْحَتي[2]، وتعجِز عنه قُوّتي.

أدعوك دُعاء خفيفٍ عملُه، متظاهرةٍ ذنوبُه، ضنينٍ على نفسه، دُعاءَ مَن بدنه ضعيف، ومُنّته عاجزة، قد انتهت عُدّته، وخلُقت[3] جِدّته، وتمّ ظِمْؤُه[4].

اللهم لا تُخيّبني وأنا أرجوك، ولا تُعذّبني وأنا أدعوك، والحمدُ لله على طول النّسيئة[5]، وحُسن التّباعة[6]، وتشنّج العُروق، وإساغة الرّيق، وتأخّر الشّدائد؛ والحمدُ لله على حِلمه بعد عِلمه، وعلى عفوه بعد قُدرته؛ والحمد لله الذي لا يودَى قتيلُه، ولا يَخيب سُولُه، ولا يُرَدّ رسولُه.

اللهم إني أعوذ بك من الفقر الا اليك، ومن الذّل الا لك،

---

١ تحيط به شفقتي: أي في كل ما أحب.

٢ السبحة: الدعاء.

٣ خلقت: رثّت.

٤ الظمء: العطش.

٥ النسيئة: التأخير، التأجيل.

٦ التباعة: التبعة، ما يترتب على الفعل من الخير والشر، واستعمالها في الشر أكثر.

وأعوذ بك أن أقول زوراً ، أو أغشى فُجوراً ، أو أكون بك مَغروراً، وأعوذ بك من شماتة الأعداء، وعُضال الداء، وخَيبة الرَّجاء ، وزوال النِّعمة ، وفُجاءة النِّقمة .

•

دعا أعرابيّ وهو يطوف بالكَعْبة، فقال: إلهي ، مَنْ أولى بالتَّقصير والزَّلَل مني وأنت خَلَقتني ؛ ومن أولى بالعَفْو منك عَني ، وعِلْمُك بي مُحيط ، وقضاؤك فيَّ ماضٍ .

الهي أطعتُك بقوّتك والمِنّة لك، ولم أُحسِن حين أعطيتَني، وعَصَيْتُك بِعلْمك ، فتجاوَز عن الذنوب التي كَتبتَ عليّ ، وأسألك يا الهي بوجوب رَحْمَتك ، وانقطاع حُجتي ، وافتقاري اليك وغِناكَ عني ، أن تَغفِر لي وتَرْحمني .

اللهم إنا أطعناك في أحبّ الاشياء اليك ، شهادةِ أن لا إله إلا أنت وَحْدَكَ لا شريكَ لك، ولم نَعصِك في أبغض الاشياء اليك ، الشِّرْكِ بك ، فاغفر لي ما بين ذلك .

اللهم إنك آنسُ المؤنسين لأوليائك ، وخَير المُعينين للمُتوكلين عليك .

الهي ، أنت شاهدُهم وغائبهم والمُطّلع على ضمائرهم، وسِرّي لك مَكشوف ، وأنا اليك مَلهوف ، إذا أوحشتني الغُربة

آنَسني ذِكرُك، واذا أكبَّتْ عليَّ الهُموم لجأتُ الى الاستجارة بك ، عِلْماً بأنَّ أزِمّة الأمور كُلّها بيدك ، ومَصْدَرَها عن قضائك ، فأقلْني اليك مَغفوراً لي ، مَعْصوماً بطاعتك باقيَ عُمري ، يا أرْحَم الراحمين .

•

الأصمَعيّ قال: حَجَجْتُ فرأيتُ أعرابياً يَطوف بالكَعْبة ويقول : يا خَير مَوفود اليه سَعى اليه الوَفد ، قد ضَعُفَت قوّتي ، وذهَبَتْ مُنّتي ، وأتيتُ اليك بذنوب لا تَغسِلها الأنهار ولا تَحْمِلها البحار ، أستَجير برضاك من سُخطك ، وبعَفوك من عقوبتك .

ثم التفت فقال : أيها المُشفّعون ، ارحموا من شَمِلَته الخطايا ، وغمَرَته البلايا ، ارحموا مَن قَطع البلاد ، وخلَّف ما مَلك من التّلاد ، ارحموا من رَنّحته[1] الذُّنوب ، وظهرت منه العُيوب ، ارحموا أسير ضُرّ ، وطَريد فقْر ، أسألكم بالذي أعملتكم الرّغبةُ اليه ، إلاّ ما سألتم الله أن يَهَبَ لي عظيم جُرمي .

---

١ رنّحته : اضعفته ، واوهنته .

ثم وَضع في حلقة الباب خدَّه وقال : ضرع خدّي لك ، وذلّ مقامي بين يديك ؛ ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنبِ مكروبُ ،
مِن الخيرات مسلوبُ
وقد أصبحتُ ذا فقرٍ ،
وما عندك مطلوب

•

العُتبي قال : سمعتُ أعرابياً بعرفات عشيّة عرفة وهو يقول : اللهم إنّ هذه عشيّةٌ من عشايا محبّتك ، وأحدُ أيام زُلفتك ، يأمل فيها من لجأ اليك من خلقك ، لا يُشرك بك شيئاً ، بكل لسان فيها تُدعى ، ولكل خير فيها تُرجى ، أتتك العُصاة من البلد السحيق ، ودعتك العُناة من شُعب المضيق ، رجاءَ ما لا خُلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ، أبدت لك وجوهها المصونة ، صابرةً على لفح السمائم[1] ، وبرد الليالي ، ترجو بذلك رضوانك يا غفّار ، يا مُستزاداً من نعمه ، ومُستعاذاً من كل نقمه ، ارحم صوتَ حزين دعاك بزفير وشهيق .

---

[1] السمائم ، واحدتها سموم : الريح الحارة.

ثم بَسط كِلتنا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم، إنْ كنتُ بَسَطتُ يديّ اليك راغباً ، فطالما كُفيتُ ساهياً بنعمك التي تظاهرتْ عليّ عند الغفْلة ، فلا أيأس منها عند التّوبة ، فلا تَقْطع رجائي منك لما قدّمتُ من اقتراف، وَهَب لي الاصلاح في الوَلد ، والأمْن في البَلد ، والعافية في الجَسد، إنك سميع مُجيب .

•

ودعا أعرابيّ فقال : يا عِماد من لا عِماد له، ويا رُكن من لا رُكنَ له ، ويا مُجير الضّعفاء، ويا مُنقذ الغرقى ، ويا عَظيم الرّجاء ، أنت الذي سَبّح لك سوادُ الليل وبياضُ النّهار ، وضَوء القمر وشعاع الشمس وحَفيف الشّجر ودويّ الماء ، يا مُحسن، يا مُجمل ، يا مُفضِل، لا أسألك الخيرَ بخير هو عندي، ولكني أسألك برحْمتك ، فاجعل العافيـة لي شِعاراً ودِثاراً ، وجُنّة دون كل بلاء .

•

الأصمعيّ قال: خرجت أعرابيّة إلى مِنى فقُطع بها الطريق، فقالت : يارب ، أخذتَ وأعطيتَ وأنعمْت وسَلبت ، وكلّ ذلك مِنك عَدل وفضل ، والذي عَظّم على الخلائق أمْرَك لا بسطتُ لِساني بمسألة أحدٍ غيرِك، ولا بذلتُ رَغبتي إلا اليك،

يا قُرَّة أعين السائلين ، أغنني بجُود منك أتبجبحُ في فراديس نِعْمته ، وأتقلّب في راوُوق[1] نَضْرته ، احملني من الرُّجلة[2]، وأغنني من العَيْلة، واسدل عليّ سترك الذي لا تخرِقه الرِّماح، ولا تزيله الرِّياح ، إنّك سميع الدعاء .

•

قال : وسمعتُ أعرابيّاً في فلاة من الأرض وهو يقول في دُعائه : اللهم إنّ استغفاري إيّاك مع كثرة ذنوبي لَلُؤْم ، وإنّ تركي الاستغفار مع مَعْرفتي بسَعة رَحمتك لَعَجْز، إلهي، كم تحَبّبْتَ إليّ بنعمك وأنت غَنيٌّ عني ، وكم أتبغّض اليك بذنوبي وأنا فقيرٌ اليك ، سُبحان من إذا توعّد عفا ، وإذا وَعَد وفى .

•

قال : وسمعتُ أعرابيّاً يقول في دُعائه : اللهم إنّ ذنوبي اليك لا تَضرّك ، وإنّ رَحمتك إياي لا تَنقصك ، فاغفر لي ما لا يَضُرّك ، وهَب لي ما لا يَنقصك .

•

---

١ الراووق : المصفاة، والكأس، وهي لا توافق المعنى، ولعلها محرفة عن رواق وهو سماوة البيت ، والفسطاط ، والقبة.

٢ الرجلة : المشي راجلاً .

قال : وسمعت أعرابياً وهو يقول في دُعائه : اللهم إني أسألك عمل الخائفين ، وخوفَ العاملين ، حتى أتنعّم بترك التنعم طمعاً فيما وعدت ، وخوفاً مما أوعدت . اللهم أعِذني من سَطواتك ، وأجِرني من نِقماتك ، سَبقت لي ذنوب وأنتَ تَغفِر لمن يتوب ، اليك بك أتوسّل ، ومِنك اليك أفِرّ .

•

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول : اللهم إنّ أقواماً آمنوا بك بألسنتهم ليَحقِنوا دماءهم ، فأدركوا ما أمّلوا ، وقد آمنّا بك بقلوبنا لتُجيرنا من عَذابك ، فأدْرِك بنا ما أمّلنا .

•

قال: ورأيتُ أعرابياً مُتعلّقاً بأستار الكَعْبة رافعاً يَديه إلى السماء وهو يقول : رَبّ ، أتُراك مُعَذّبنا وتوْحيدُك في قلوبنا، وما إخالك تفعل، ولئن فعلتَ لتَجمعنّا مع قوم طالما ابغضناهم لك .

•

الأصمعي قال : سمعتُ أعرابياً يقول في صَلاته: الحمدُ لله حَمداً لا يَبلى جَديدُه، ولا يُحصى عَديده، ولا تُبلَغ حُدوده. اللهم اجعل الموتَ خيرَ غائب نَنتظره، واجعل القبرَ خيرَ بيت نعمُره ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه .

اللهم إن عينيّ قد اغرورقتا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزلّة ، وعُدْ بحلمك على جهل من لم يرجُ غيرَك .

•

الأصمعي قال : وقف أعرابيّ في بعض المواسم فقال : اللهم إنّ لك عليّ حقوقاً فتصدّق بها عليّ ، وللناس قِبَلي تَبِعات فتحمّلها عني ، وقد وَجب لكل ضَيْف قِرًى ، وأنا ضَيفُك الليلة ، فاجعل قِراي فيها الجنّة .

•

قال : ورأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول : سائلُك عَبْدٌ ببابك ، ذهبت أيامُه ، وبقيت آثامُه ، وانقطعت شهوتُه ، وبقيت تَبِعته ، فارضَ عنه ، وإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غيرُ راضٍ .

•

قال : ودعا أعرابيّ عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرَف إلا بفَعال ، ولا فَعال إلا بمال ، فأعْطني ما أستَعين به على شرف الدُّنيا والآخرة .

•

قال زيدُ بن عُمر : سمعت طاووساً يقول : بينا أنا بمكة

إذ رُفعتُ إلى الحجّاج بن يوسف ، فثَنى لي وِساداً فجلستُ ، فبينا نحن نتحدّث إذ سمعتُ صوتَ أعرابيّ في الوادي رافعاً صوتَه بالتّلبية ، فقال الحجّاج : عليّ بالمُلبّي . فأتي به ، فقال: ممن الرجل ؟

قال : من أفناء الناس .

قال : ليس عن هذا سألتُك .

قال : فعمّ سألتني ؟

قال : من أيّ البُلدان أنت ؟

قال : من أهل اليمن .

قال له الحجّاج : فكيف خلّفت محمد بن يوسف ؟ يعني أخاه ، وكان عامله على اليمن .

قال : خلّفته جسيماً خرّاجاً ولاّجاً .

قال : ليس عن هذا سألتك .

قال : فعمّ سألتني ؟

قال : كيف خلّفت سيرته في الناس ؟

قال: خلّفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق مُطيعاً للمخلوق.

فازورّ من ذلك الحجاج وقال : ما أقدمك على هذا ، وقد تعلم مكانه مني ؟

فقال له الأعرابي : أفتراه بمكانه منك أعزّ مني بمكاني من الله تبارك وتعالى، وأنا وافدُ بَيته وقاضٍ دَيْنه ومُصَدّق نبيّـه، صلى الله عليه وسلم .

قال: فوجَم لها الحجّاج ولم يُحر له جواباً حتى خَرج الرجل بلا إذن .

قال طاووس : فتبعتُه حتى أتى المُلــتزَم فتعلّق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ، واليك ألوذ، فاجعل لي في اللّهف إلى جوارك ، والرّضا بضمانك ، مندوحةً عن مَنْع الباخلين ، وغنى عما في أيدي المُستأثرين .

اللهم عُد بفرَجك القريب ، ومَعروفك القديم ، وعادَتـك الحسَنة .

قال طاووس : ثم اختفى في الناس فألفيتُه بعَرفات قائمـاً على قَدَميه وهو يقول: اللهم إن كنتَ لم تَقبل حجّتي ونصَبي وتعبي ، فلا تَحرمني أجْر المُصاب على مُصيبته؛ فلا أعلم مُصيبةً أعظمَ ممّن ورَد حوضك وانصرف محروماً من سَعة رحمتك.

•

الأصمعي قال: رأيتُ أعرابياً يَطوف بالكعبة وهو يقول: إلهي ، عَجّت اليك الأصواتُ بضروبٍ من اللّغات يَسألونك

الحاجات ، وحاجتي اليك إلهي أن تَذكُرني على طول البلاء إذ تَنسيني أهلُ الدنيا .

اللهم هَب لي حقك ، وأرضِ عني خَلقك؛ اللهم لا تُعْنِني بطلب ما لم تُقدّره لي ، وما قدّرته لي فيَسّره لي .

•

قال: وَدّعتْ أعرابية لابن لها وَجّهته الى حاجة، فقالت: كان الله صاحبَك في أمرك ، وخليفتَك في أهلك ، ووليّ نُجْح طَلِبتك ، امضِ مُصاحَباً مَكلوءاً ، لا أشمت الله بك عدوّاً ولا أرى مُحبّك فيك سوءاً .

•

قال : ومات ابنٌ لاعرابيّ فقال : اللهم إني وهبتُ له ما قَصّر فيه مِن برّي ، فهب له ما قصّر فيه من طاعتك ، فإنك أجود وأكرم .

•

قولهم في الرقائق

العُتْبيّ قال : ذَكر أعرابيٌّ مُصيبةً فقال : مصيبةٌ والله تركتْ سود الرؤوس بِيضاً، وبيضَ الوجوه سُوداً، وهوّنت المصائبَ بعْدها.

أخذ هذا المعنى بعضُ الشعراء فقال يَرثي آل أبي سُفيان :

رَمى الحِدْثانُ نِسوةَ آل حَرْبٍ
بمِقدار ، سَمَدْنَ له سُمودا[1]

فَرَدّ شعورهنّ السُّودَ بيضاً ؛
ورَدّ وُجوههنّ البيضَ سُودا

فإنك ، إذ سمعتَ بُكاء هِنْد
ورَمْلة ، إذ يُلطّمْنَ الخُدودا

بكيت بكاءَ مُوجَعَة بحُزْنٍ ،
أصاب الدّهرُ واحدَها الفريدا

•

١ السمود : الحزن .

قال : وقيل لأعرابيّة أصيبت بابنها : ما أحسن عَزاءَك ؟

قالت : إن فَقْدي إياه أمَّنني كلَّ فَقـد سواه ، وان مُصيبتي به هَوَّنت عليّ المصائبَ بعده ؛ ثم أنشأت تقول :

مَن شاء بَعدك فَلْيمُتْ ، فعَليكَ كنتُ أحاذِرُ

كُنتَ السَّوادَ لمُقلتي ، فعليكَ يَبْكي النّاظِر

ليتَ المنازلَ والدّيا رَ حفائرٌ ومقابر

•

وقيل لأعرابيّ : كيف حُزنك على وَلدك ؟

قال : ما تَرك هَمُّ الغَداة والعِشاء لي حُزْناً .

•

وقيل لأعرابيّ : ما أذهب شبابَك ؟

قال : مَن طال أمدُه وكثُر ولدُه وذَهب جَلَده ذَهَب شبابُه .

•

وقيل لأعرابيّ : ما أنحل جِسمَك ؟

قال : سُوء الغِذاء ، وجُدوبة المَرعى ، واعتلاجُ الهُموم في صدري ؛ ثم أنشأ يقول :

الهمُّ ما لم تُمْضِه لسبيله
داءٌ ، تَضَمَّنَهُ الضُلوعُ ، عَظيمُ

ولربما استيأستُ ، ثم أقول : لا ،
إنّ الذي ضَمِنَ النجاحَ كريم

•

وقيل لأعرابيّ قد أخذته السنُّ : كيف أصبحتَ ؟

قال : أصبحتُ تُقيّدني الشعرة وأعثُر في البعرة ، قد أقام الدّهرُ صَعَري بعد أن أقمتُ صَعَره .

•

وقال أعرابيّ : لقد كنتُ أُنكر البَيضاء فصرتُ أُنكر السوداء ، فيا خيرَ مَبذول ويا شرَّ بَدل .

•

وقال اعرابيّ :

إذا الرجالُ ولدتْ أولادُها ،
وجعلت أسقامُها تَعتادُها

واضطربت من كِبَرٍ أعضادُها ،
فهي زُروع قد دَنا حَصادها

•

وذَكر أعرابيّ قَطيعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرت

عِياب[1] الوُدّ بعد امتلائها ، واكفهرّت وجوهٌ كانت بمائها ، فأدبر ما كان مُقبلاً ، وأقبل ما كان مُدبِراً .

•

وذكر أعرابيّ منزلاً بادَ أهلُه ، فقال : منزلٌ والله رَحلتْ عنه رَبّات الخُدور، وأقامت فيه أثافيّ[2] القُدور، وقدا كتسى بالنّبات ، كأنه ألبس الحُلل ، وكان أهلُه يَعفون فيه آثار الرّياح ، فأصبحت الرّيح تعفو آثارهم ، فالعَهد قريب ، والمُلتقى بَعيد .

•

وذكر أعرابيّ قوماً تغيّرت أحوالهم ، فقال : أعينٌ والله كُحِلَت بالعَبْرَة بعد الحَبْرة[3] ، وأنفُسٌ لَبِسَت الحُزْن بعد السُّرور .

•

وذكر أعرابيّ قوماً تغيّرت حالهم ، فقال : كانوا والله في عَيش رَقيق الحَواشي فطَواه الدّهرُ بعد سَعَة ، حتى يَبِست

---

١ العِياب، واحدتها عيبة : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق، وفي الكلام استعارة .
٢ الاثافي ، واحدتها اثفية : الحجر توضع عليه القدر .
٣ الحبرة : السرور .

أبدانُهم من القُرّ ، ولم أرَ صاحباً أغرّ من الدُّنيا ، ولا ظالماً أغشمَ من الموت، ومَن عَصَف به الليلُ والنهارُ أرْدَياه، ومن وُكّل به الموتُ أفناه .

•

وقف أعرابيّ على دار قد باد أهلُها ، فقال : دارٌ والله مُعتَصرة للدّموع ، حطّت بها السحابُ اثقالها ، وجرّت بها الرّياح أذيالَها .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً تغيّرت حاله، فقال: طُويت صحيفتُه، وذهب رِزقُه ، فالبلاء مُسرِعٌ اليه ، والعَيش عنه قابضٌ كَفّيه .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً ضاق عيشُه بعد سَعة ، فقال : كان والله في ظِلّ عيش مَمْدود ، فقَدحت عليه من الدّهر يدٌ غير كابية الزّند .

•

الأصمعيّ قال : أنشدني العُقَيلي لأعرابيّة ترثي ابنها :

خَتَلَتْهُ المَنونُ ، بعد اختيالِ
بين صَفَّين : مِن قناً ونِصالِ

في رِداء من الصَّفيح صَقيـل ،
وقَميص من الحديـد مُذال[1]

كُنت أخباك لاعْتداء يَد الدَّهر ،
ولم تَخْطُر المَنون ببالي[2]

•

وقال أعرابيّ يَرثي ابنه عند دَفنه :

دَفنتُ بكفّي بعضَ نَفسِي ،فأصبحتْ ،
وللنَّفس منها دافِنٌ ودَفينُ

•

وقال أعرابيّ : إنّ الدُّنيا تَنطِق بغير لسان ، فتُخبر عما يكون بما قد كان .

•

خَرج أعرابيّ هارباً من الطاعون ، فبينا هو سائر إذ لدَغتْه أفعى فمات ، فقال فيه أبوه :

طـافَ يَبْغي نَجْوةً مِن هـلاكٍ ، فهلَكْ

---

1 القميص : الدرع . المذال : الذي له ذيل اي واسع فضفاض .
2 اخباك ، مسهل أخبأك : أخفيك واسترك .

والمَنايا رَصَــدٌ للفــتى ، حيثُ سَلَكْ
كُلُّ شيءٍ قاتــلٌ ، حــينَ تَلْقَى أجلَكْ[1]

•

وذكَرَ أعرابيٌّ بلداً ، فقال : بلد كالتُّرس[2] مـا تمشي فيـه الرِّياح إلاّ عابراتِ سبيل ، ولا يمرُّ فيه السَّفْرُ[3] إلاّ بأدَلِّ دليل .

•

•

---

١ ذكرت هذه القصة في كتاب الدرة ، في النوادب والتعازي والمراثي. ورويت في غير كتب عن لسان أم سليك بن السلكة ترثيه .
٢ كالترس : أي أملس ، اجرد .
٣ السفر : المسافرون .

قولهم في الاستطعام

قَدمَ أعرابيٌّ من بني كنانة على مَعن بن زائدة وهو باليمن، فقال: إني والله ما اعرف سبباً بعد الإسلام والرّحم أقوى من رِحْلة مِثلي من أهل السّنّ والحسَب اليك من بلاده بلا سَبب ولا وسِيلة إلا دُعاءك الى المكارم ورَغبتك في المعْروف، فإن رأيْتَ أن تضَعَني مِن نَفسِك بحيثُ وضعتُ نَفسي من رجائك فافعل. فوَصله وأحسن اليه.

•

الرّبيع بن سُليمان قال: سمعتُ الشافعيَّ، رضي الله تعالى عنه، يقول: وقَفَ أعرابيٌّ على قوم، فقال: إنّا، رَحِمكم الله، أبناءُ سبيل وأنضاء طَريق وفُلال سنة[1]، رَحم الله امرأً أعْطى عن سعة وواسى من كَفاف.

فأعْطاه رجُلٌ دِرهماً، فقال: آجرَكَ الله من غير أن يَبْتليك.

•

---

[1] فلال، واحدها فل: المنهزم. السنة: الجدب والقحط.

ووقف أعرابيّ بقوم ، فقال : يا قوم، تتابعت علينا سِنون جِماد شِداد ، لم يَكُنْ للسماء فيها رَجْع[1] ، ولا للأرض فيها صَدْع[2]، فنضبَ العِدّ[3]، ونَشِفَ الوَشَل[4]، وأمْحَل الخِصب، وكلَح الجَدْب ، وشَفّ[5] المال ، وكسَفَ البال ، وشَظِف المعاش ، وذهبت الرّياش ، وطرحَتْني الأيام اليكم غريبَ الدار، نائيَ المحلّ ، ليس لي مالٌ أرْجع اليه ، ولا عَشيرة ألحَق بها، فرَحِم الله امرأً رَحِم اغترابي ، وجعل المعروف جوابي .

•

خرَج المهديُّ يَطوف بعد هدأة من الليل، فسَمع أعرابيّة من جانب المسجد ، وهي تقول : قومٌ مُعوزون ، نبَتْ عنهم العُيون ، وفدَحتهم الدُّيون ، وعضّتهم السّنون ، باد رجالهم، وذهبت أموالهم ، أبناء سَبيل ، وأنْضاء طريق ، وصيّةَ الله ووصيةَ رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فهل من آمرٍ بخَير ، كلأه[6] الله في سفره ، وخلفه في أهله .

---

١ الرجع : المطر بعد المطر .
٢ الصدع : الشق ، اراد ان الارض لم تنشق عن نبات .
٣ العد : الماء الجاري لا ينقطع .
٤ الوشل : الماء القليل .
٥ شف : نقص .
٦ كلأه : حفظه .

فأمر نُصيراً الخادم فدفع اليها خَمسمائة درهم .

•

الاصمعي قال : أُغِيرَ على إبل خُزيمة ، فرَكب بَحيرة[1] ، فقيل له : أترْكب حراماً ؟

قال : يَركب الحرامَ من لا حَلال له .

•

وقال أعرابيّ :

يا ليتَ لي نَعلَين من جِلدِ الضَّبُعْ ،
كلَّ الحِذاءِ يَحتذي الحافي الوَقِعْ[2]

•

أبو الحسن قال : اعترض أعرابيّ لِعُتبة بن أبي سُفيان وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة .

قال : لستُ به ولم تَبعُد .

قال : فيا أخاه .

قال : أسمعتَ فقُل .

---

١ البحيرة : الناقة اذا ولدت خمسة أبطن فكان آخرها ذكراً بحروا أذنها، أي شقوها ، وتركت ، فلا يمسها أحد .

٢ الوقع : الذي أصابت الحجارة قدمه فأوهنتها .

قال : شيخٌ من بني عامر يَتقرّب اليك بالعُمومة ويختص بالخُؤولة، ويشكو اليك كثرة العيال، ووطأة الزّمان، وشدّة فقر، وترادف ضُرّ، وعندك ما يَسعه ويَصرف عنه بُؤسَه.

فقال عُتبة : أستغفر الله منك، وأستعينه عليك، قد أمرنا لك بغناك، فليتَ إسراعنا اليك يَقوم بإبطائنا عنك.

•

وسأل أعرابيّ فقال: رَحم الله مُسلماً لم تَمُجّ أذناه كلامي، وقدّم لنفسه مَعاذاً من سُوء مَقامي، فإن البلاد مُجدبة، والدّار مُضيّعة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والعُدمَ عاذِر يَدعو إلى إخباركم، والدُّعاءَ إحدى الصّدَقتين، فرحم الله امرأً بمَير[1] وداعياً بخير.

فقال له بعضُ القوم : ممّن الرجل ؟

فقال : ممّن لا تنفعكم مَعرفته ولا تَضرّكم جهالته، ذُلّ الاكتساب يَمنع من عِزّ الانتساب.

•

---

١ المير : الطعام.

العُتبيّ قال : قَدم علينا أعرابيّ في فِشاشٍ[1] قد أطردت اللّصاصُ إبله[2]، فجَمعتُ له شيئاً من أهل المسجد، فلما دفعتُ اليه الدراهم أنشأ يقول :

لا والّذي أنا عَبْدٌ في عِبادته،
لولا شَماتةُ أعداء ذوي إحَنِ

ما سَرّني أنّ إبْلي في مَباركها،
وأنّ أمراً قضاه الله لم يَكُن

أخذ هذا المعنى بعض المُحدَثين فقال :

لولا شَماتةُ أعداء ذوي حَسَد،
وأنْ أنال بنَفعي مَنْ يُرَجّيني

لما خَطَبْتُ إلى الدُّنيا مَطالبَها،
ولا بذلتُ لها عِرضي، ولا دِيني

لكنْ مُنافسة الأكْفاء تَحْمِلني
على أمور، أراها سَوْفَ تُرْديني

---

١ الفشاش، واحدها فش : الكساء الغليظ .
٢ اللصاص : واحدها لص . أطردت ابله : أغارت عليها فسرقتها .

وقد خَشِيتُ بأن أبقى بمنزلة ،
لا دِينَ عندي ، ولا دُنيا تواتيني

•

العتبي قال : دخل أعرابيّ على خالد بن عبد الله القسري ، فلما مَثل بين يديه أنشأ يقول :

أصلحكَ الله قلّ ما بيَدي ،
فما أُطيق العِيالَ ، إذ كثُروا

أناخ دهرٌ ألقى بِكَلكَلِهِ ،
فأرسلوني إليكَ وانتظروا

قال : أرسلوك وانتظروا ! والله لا تجلِس حتى تعودَ اليهم بما يَسُرهم . فأمر له بأربعة أبعِرة مَوقورة بُرّاً وتَمراً ، وخلع عليه .

•

الشيباني قال : أقبل أعرابيّ الى مالك بن طَوْق ، فأقام بالرّحبة حيناً، وكان الأعرابيّ من بني أسد، صُعلوكاً في عَباءة صوف وشملة شَعَر، فكلما أراد الدُخول منعه الحُجّاب، وشتمه العبيد، وضربه الأشراط، فلما كان في بَعض الأيام خرج مالكُ بن طَوْق يُريد التنزّه حول الرّحبة، فعارضه الأعرابيّ،

فضربوه ومَنعوه ، فلم يَثْنِه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إني عائذ بالله من أشراطك هؤلاء .

فقال مالك : دَعوا الأعرابيّ ، هل من حاجة يا أعرابي ؟

قال : نعم أصلح الله الأمير ، أن تُصغِي إليّ بسَمْعك ، وتَنظُر إليّ بطرْفك ، وتُقبِلَ إليّ بوجهك .

قال : نعم .

فأنشأ الأعرابي يقول :

ببابك دون الناس انزلتُ حاجتي ،
وأقبلتُ أسْعى ، حولَه ، وأطُوفُ

ويَمْنعني الحُجّابُ، والسّتر مُسْبَلٌ،
وأنتَ بَعيدٌ ، والشّروطُ صُفوف

يدُورون حَولي في الجُلوسِ، كأنّهم
ذِئابٌ جِياعٌ ، بَينهنّ خَروف

فأمّا ، وقد أبصرتُ وَجهك مُقبِلاً ،
فأصرَف عنه ، إنني لضَعيف

وما لي من الدنيا سِواك ، ولا لمن
تركتُ ورائي مَرْبَعٌ ومَصيف

وقد عَلِم الحيّان : قيسٌ وخِنْدِفٌ ،
ومَنْ هو فيها نازلٌ وحَليف

تَخَطّيَّ أعناق المُلوك ، ورِحْلتي
اليك ، وقد أخنتْ عليّ صُروف

فجِئْتُك أبغي اليُسْرَ منك فمَرَّ بي
ببابك، مِن ضَرْبِ العَبيد، صُنوف

فلا تَجْعَلَنْ لي نحو بابك عَودةً ،
فَقَلْبيَ من ضَرْبِ الشُرُوط مَخُوف

فاستضحك مالكٌ حتى كاد أن يَسْقط عن فَرَسه ، ثم قال لمن حوله : مَن يُعْطيه دِرْهماً بدِرْهَمين ، وثَوباً بثوبين ؟

فوقعت عليه الثّياب والدّراهم من كل جانب ، حتى تَحَيَّر الأعرابيّ ، ثم قال له : هل بقيتْ لك حاجةٌ يا أعرابي ؟

قال : أمّا اليك فلا .

قال : فإلى مَن ؟

قال : الى الله أن يُبْقِيَك للعرب ، فانها لا تزال بخير ما بَقيتَ لها .

•

دخل أعرابيّ على هشام بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين،

أتتْ علينا ثلاثةُ اعوام : فعامٌ أذاب الشَّحْم ، وعامٌ أكل اللَّحْم ، وعامٌ انتقى العَظْمَ[1] ، وعندكم أموالٌ ، فإن تكُن لله فبُثُّوها في عِباد الله، وإن تكُن للناس فلِمَ تُحْجَب عنهم؟ وإن تكن لكم فتَصَدَّقوا إن الله يجزي المُتَصدقين .

قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابي ؟

قال : ما ضربتُ اليك اكبادَ الابل أدَّرع الهَجير[2] ، وأخوض الدُّجى لخاصٍّ دون عام ، ولا خيرَ في خير لا يَعُم .

فأمر له هِشام بأموال فُرِّقت في الناس، وأمرَ للأعرابي بمال فرَّقه في قومه .

•

طلب أعرابي من رجل حاجةً فوَعده قضاءها، فقال الأعرابي: إنَّ مَن وَعد قضى الحاجةَ وان كَثُرت ، والمَطْل من غير عُسر آفة الجود .

•

وقال: أتى أعرابي رجلاً لم تكُن بينهما حُرْمة في حاجة له،

---

١ انتقى العظم : استخرج نقيه ، وهو مخه .

٢ الهجير : شدة الحر .

فقال: اني امتطيت اليك الرّجاء، وسِرْت على الامل، ووَفدت بالشُّكر، وتوسّلت بحُسْن الظنّ، فَحقّق الأمل، وأحسِن المَنْزلة، وأكرِم القصْد، وأتِمّ الوُدّ، وعجّل المُراد.

•

وقف أعرابي على حَلْقَة يونُس النحويّ، فقال: الحمدلله، وأعوذ بالله أن أذكُر به وأنساه، إنّا أناس قَدِمْنا هذه المدينة، ثلاثون رجلاً لا نَدْفن ميتاً، ولا نتحوّل من مَنزل وان كَرِهناه، فرحم الله عبداً تصدّق على ابن سبيل، ونضو طريق، وفَلِّ سنة، فإنه لا قليـل من الأجر، ولا غنى عن الله، ولا عَمل بعد الموت.

يقول الله عز وجل: «من ذا الذي يُقرِضُ الله قَرْضاً حَسَنـاً.» إن الله لا يَستَقرِض مِن عَوَز، ولكن لِيَبلو خِيار عباده.

•

وقَف أعرابيّ في شهر رمضان على قَوم، فقال: يا قوم، لقد خَتمتْ هذه الفريضةُ على أفواهنا من صُبح أمس، ومعي بِنتان لي واللهِ ما عَلِمتُهما تخلّلتا بخِلال[1]، فهل رجلٌ كريمٌ

---

[1] تخلّلتا: ازالتا ما بين اسنانهما ما علق من الطعام. الخلال: ما تخلل به الاسنان. اراد انهما لم تأكلا فتحتاجا الى الخلال.

يَرْحَم اليوم ذُلَّنا ويَردُّ حُشاشتنا ، مَنعه الله أن يقوم مَقامنا ، فإنه مَقام ذل وعار وصَغار .

فافترَق القومُ ولم يُعْطوه شيئاً ، فالتفت اليهم حتى تأمَّلهم جميعاً ، ثم قال : أشَدُّ والله عليَّ من سوء حالي وفاقتي توهُّمي فيكم المُواساة ، انتعلوا الطريقَ لا صَحِبكم الله .

•

الأصمعيّ قال : وَقف اعرابيّ علينا ، فقال : يا قومُ ، تتابعت علينا سِنون بتغيير وانتقاص ، فما تركت لنا هُبعاً ولا رُبعاً[1] ، ولا عافطة ولا نافطة[2] ، ولا ثاغية ولا راغية[3] ، فأماتت الزَّرْعَ ، وقتَلت الضَّرْعَ ، وعندكم من مال الله فَضْلُ نِعْمة ، فأعينوني من عَطِيّة الله إياكم ، وارحموا أبا أيتام ، ونِضْوَ زمان ، فلقد خَلَّفتُ أقواماً ما يُمرّضون مريضهم ، ولا يُكفّنون مَيّتهم ، ولا يَنتقلون من منزل الى منزل وإن كَرِهوه ، ولقد مَشيتُ حتى انتعلتُ الدّماء ، وجُعْتُ حتى أكلتُ النّوى .

•

---

١ الهبع : الفصيل ينتج في اول الصيف . الربع : ما ينتج في اول الربيع .
٢ العافطة : النعجة . النافطة : اتباع ، وقيل هي العنز .
٣ ثاغية : شاة تثغو . الراغية : ناقة ترغو .

الاصمعيّ قال: وقفتْ أعرابية من هَوازن على عبد الرحمن ابن أبي بَكر الصّدّيق، رضي الله تعالى عنهما، فقالت: إني أتيتُ من أرض شاسعة، تَهْبِطني هابطة، وتَرْفَعني رافعة، في بوادٍ بَرَيْنَ لَحْمي، وهِضْنَ عَظْمي، وتَرَكْنَني والهة قد ضاق بي البَلد بعد الأهْل والوَلد، وكَثْرَة من العَدد، لا قَرابة تُؤويني، ولا عشيرةَ تَحْميني، فسألتُ أحياء العرب: مَن المُرتجى سَيبُه، المأمون غَيبُه، الكثير نائله، المكْفيّ سائله؟ فدُلِلتُ عليك، وأنا امرأة من هَوازن فَقَدْت الوَلد والوالد. فاصنَع في أمري واحدةً من ثلاث: إما أن تُحْسِن صَفَدي[1]، وإما أن تُقيمَ أوَدي، واما أن تَرُدّني الى بلدي.

قال: بل أجْمَعُهن لك.

ففعل ذلك بها أجمع.

•

وقال اعرابيّ:

يا عُمرَ الخَيْرِ جُزِيتَ الجنّه،
اكْسُ بُنَيّاتي وأمّهُنّه[2]

---

١ الصفد: العطاء.

٢ عمر الخير: اراد به عمر بن الخطاب.

وكُنْ لنا من الزّمان جُنّه ،
وارْدُد علينا إنّ إنّ إنّه[1]

أقسمتُ بالله لتفعلنّه

•

الأصمعيّ قال : وقفتْ أعرابية بقوم فقالت : يا قوم ، سَنَة جَرَدت ، وأيدٍ جَمدت ، وحال جَهَدَت ، فهل من فاعل خَير ، وآمر بِمَيْر ؟ رَحِم الله من رَحِم ، وأقرَض مَن يُقرِض .

•

الأصمعيّ قال : أصابت الأعرابَ أعوامٌ جَدْبة وشِدّة وجهد ، فدخلت طائفةٌ منهم البَصرة ، وبين أيديهم أعرابيٌّ وهو يقول : أيها الناس ، إخوانُكم في الدّين وشُركاؤكم في الاسلام ، عابرو سَبيل ، وفُلّال[2] بُؤس ، وصَرْعى جَدْب ، تتابعت علينا سنون ثلاث غَيّرت النّعم ، وأهلكت النّعم ، فأكلنا ما بقي من جُلودها فَوق عِظامها ، فلم نَزل نُعلّل بذلك أنفسنا ، ونُمني بالغَيْث قلوبنا ، حتى عاد مُخّنا عِظاماً ، وعاد إشراقنا

---

١ ان : اي نعم .
٢ الفلال ، واحدها فل : المنهزمون .

ظلاماً ، وأقبلنا اليكم يصرعنا الوعر ، وينكبنا السهل ، وهذه آثار مصائبنا ، لائحةٌ في سماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير، ومواسياً من قليل، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يجزي المتصدقين .

•

الأصمعيّ قال : كنتُ في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابيّ سائلا، فقال : أيها الناس ، إنّ الفقر يهتك الحجاب، ويُبرز الكعاب، وقد حملتنا سنو المصائب ونكبات الدهور على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

•

أتى أعرابيّ عمرَ بن عبد العزيز فقال: رجلٌ من أهل البادية ساقته اليك الحاجةُ ، وبلغت به الغاية ، والله سائلك عن مقامي هذا .

فقال عمر : ما سمعتُ أبلغ من قائل ، ولا أوعظ لمقول له من كلامك هذا .

•

سمع عديّ بن حاتم رجلاً من الأعراب وهو يقول : يا قوم ، تصدّقوا على شيخ معيل ، وعابر سبيل ، شهد له

ظاهرُه ، وسَمِع شَكواه خالِقُهُ ، بَدنه مَطلوب ، وثَوبُه مَسلوب .

فقال له : من أنت ؟

قال : رجلٌ من بني سَعد أسعَى في دِيَة لَزِمَتني .

قال : فكم هي ؟

قال : مائةُ بَعير .

قال : دُونكها في بَطن الوادي .

•

سأل أعرابيّ رجلًا ، فاعطاه ، فقال : جَعل الله للمَعروف اليك سَبيلًا ، وللخَيرِ عليك دَليلًا ، ولا جعَل حَظّ السائل منك عِذرة صادقة .

•

وقف أعرابيّ بقوم فقال : أشكو اليكم أيها الملأ زماناً كَلَح لي وجهُه ، وأناخ عليّ كَلكلُه ، بعد نَعْمة من البال ، وثروة من المال ، وغِبطة من الحال ، اعتورتني شدائدُه بِنَبْل مَصائبه ، عن قِسيّ نَوائبه ، فما تَرَكَ لي ثاغية أجتَدي ضَرْعَها ، ولا راغية أرتَجي نَفعها ، فهل فيكم من معين على صَرْفه أو مُعدٍ على حَيْفه ؟

فَرَدَّه القومُ ولم يُنيلوه شيئاً . فأنشأ يقول :

قد ضاع مَن يَأمُل مِن أمثالكم
جوداً ، وليس الجود من فعالكم

لا بارك الله لكم في مالكم ،
ولا أزاح السُّوء عن عِيالكم

فالفقرُ خيرٌ من صَلاح حالكم

•

الأصمعيُّ قال : سأل أعرابيٌّ ، فلم يُعطَ شيئاً، فرفع يديه إلى السماء وقال :

يا ربِّ أنتَ ثِقَتي وذُخْري ،
لصِبْيَةٍ مثلِ صِغار الذَّرِّ

جاءهُم البَرْد ، وهُمْ بِشَرِّ ،
بغيرِ خُفٍّ ، وبغيرِ أُزْر

كأنَّهم خَنافِس في جُحْر ،
تَراهُمُ بعد صَلاة العَصْر

وكلُّهم مُلتَصِق بصَدْري ،
فاسْمَع دُعائي وتَولَّ أجْري

•

سأل أعرابيٌ ومعه ابنتان له، فلم يُعطَ شيئاً، فأنشأ يقول:

أيا ابنتيّ صابِرا أباكما ، إنكما بعَينِ مَن يَراكما

اللهُ مَولاي، وهُوَ مولاكما، فأخلِصا لله مِن نجواكما

تَضرّعا لا تَدّخرا بُكاكما، لعلّه يَرحم مَن أَواكما

إنْ تَبكيا ، فالدّهرُ قد أبكاكما

•

العتبي قال : كانت الأعراب تَنتجع هِشامَ بن عبد الملك بالخُطَب كلّ عام ، فتقدّم اليهم الحاجبُ يأمرهم بالايجاز ، فقام أعرابيّ فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله، تبارك وتعالى، جعل العَطاء مَحبّة ، والمَنْع مَبغضة، فلأن نُحبك خير من أن نُبغضك .

فأعطاه وأجزل له .

•

الأصمعيّ قال : وَقف أعرابيّ غَنويّ على قوم، فقال بعد التّسليم : أيها الناس، ذهب النّيل، وعَجِف الحَبْل، وبُخس الكَيْل ، فمن يرحم نِضْوَ سَفر وفَلّ سَنة ، ويُقرض الله قرضاً حسناً، لا يَستقرض اللهُ من عُدْم ولكن ليبلوكم فيما

آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هَل مِن فتىً مُقتَدرٍ، مُعِينِ على فقيرٍ بائسٍ، مِسكينِ
أبي بَنَاتٍ وأبي بَنِينِ، جَزاه ربّي بالذي يُعطِيني
أفضَلَ ما يُجزَى به ذو الدّينِ

•

الأصمعيّ قال : سمعتُ أعرابيّاً يقول لرجل : اطعمك الله الذي أطعَمتَني له ، فقد أحيَيتَني بقَتل جُوعي ، ودَفعت عني سُوء ظَنّي بيومي ، فحفظك الله على كل جَنب ، وفَرّج عنك كل كَرب ، وغفر لك كل ذَنب .

•

وسأل أعرابيّ رجلاً فاعتلّ عليه ، فقال : إنْ كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً .

•

وقال أعرابيّ للمأمون :

قلْ للإمام ، الذي تُرجى فَضائلُه ،
رأسِ الأنامِ ، وما الأذنابُ كالرّاسِ

إنّي أعوذ بهـــارون وخُفْرته ،
وبابن عـمّ رسولِ الله عبّـاس[1]

مِن أن تُشدّ رِحالُ العيس، راجعةً،
إلى اليمامـة ، بالحِرْمـان واليـاس

•

الأصمعيّ قال : أصابت الأعرابَ مجاعةٌ ، فمررتُ برجل منهم قاعدٍ مع زوجته بقارعة الطريق وهو يقول :

يا ربّ ! إنّي قاعدٌ كما ترى ،
وزَوجتي قاعِـدةٌ كما ترَى

والبَطْن منّي جائعٌ كما ترى ،
فما ترى يا ربّنا فيما ترى؟

•

الأصمعيّ قال : حدّثني بعضُ الأعراب قال : أصابتنا سَنة وعِندنا رجلٌ من غنيّ وله كَلْب، فجعل كلبُه يَعْوي جوعاً فأنشأ يقول :

تَشكّى إليّ الكلْبُ شِدّةَ جُوعه ،
وبي مِثلُ ما بالكلْب، أو بيَ أكثرُ

---

١ الخفرة : الذمام والعهد .

فقلتُ لعلَّ اللهَ يأتي بِغَيْثِهِ ،
فَيُضْحي كِلانا قاعداً يَتَكبّر :

كأنّي أميرُ المؤمنين من الغِنى ،
وأنتَ ، من النُّعْمى ، كأنّكَ جعفر

•

الأصمعيّ قال : سأل أعرابيّ رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردّهما عليه وقال :

تركتُ لعمرو دِرْهميه ، ولم يكُنْ
لِيُغْنيَ عنّي فاقَتي دِرْهما عَمرو

وقلتُ لعمرو : خُذهما ، فاصْطَرِفْهما ،
سَريعين ، في نَقْضِ المُروءة والأجْر

•

أبو الحسن قال : وقف علينا أعرابيّ ، فقال : أخٌ في كتاب الله ، وجارٌ في بلاد الله ، وطالبُ خيرٍ من رِزق الله ، فهل فيكم من مُواسٍ في الله ؟

•

الأصمعيّ قال : ضَجِرَ أعرابي بكثرة العِيال والوَلد ، وبلغه أنّ الوَباء بِخَيْبَر شديد فخَرج اليها يُعرّضهم للموت ، وأنشأ يقول :

قلتُ لحُمّى خَيبَرَ : استعدّي !
هاكِ عِيالي ، فاجْهَدي وجِدّي

وباكِري بصالبٍ ووِرْدِ ،
أعانكِ الله على ذي الجُنْدِ[1]

فأخذته الحُمى ، فمات هو وبَقي عيالهُ .

•

سأل أعرابيّ شيخاً من بني مَرْوان وحوله قومٌ جُلوس ، فقال : أصابتنا سَنة ولي بِضع عَشرة بِنْتاً .

فقال الشيخُ : أمّا السّنة فوَدِدْت والله أنّ بينكم وبين السماء صَفائحَ مِن حديد ، ويكون مَسيلها مما يلي البحر فلا تَقْطر عليكم قطرة، وأمّا البنات فليت الله أضْعفهنّ لك أضْعافاً كثيرة ، وجَعلك بينهن مَقطوع اليدين والرّجلين ليس لهن كاسبٌ غيرك .

قال : فنظر اليه الأعرابيّ ثم قال : والله ما أدري ما أقول لك ، ولكن أراك قبيح المنْظر ، سيء الخُلق .

---

١ الصالب من الحمى : التي معها حرارة شديدة . الورد . من أسماء الحمى ، وقيل هو يومها .

قولهم في المواعظ والزهد

أبو حاتم عن الأصمعي ، قال : دَخل أعرابيّ على هِشام بن عبد الملك ، فقال له : عِظني يا أعرابيّ .

فقال : كَفى بالقرآن واعظاً ، أعُوذ بالله السميع العَليم من الشيطان الرّجيم ، بسم الله الرّحمن الرّحيم « ويْلٌ لِلمُطَفِّفينَ الذينَ إذا اكْتالوا عـلى النّاس يَستوفون ، وإذا كالُوهم أوْ وزَنوهم يُخسِرون . ألا يَظُنّ أولئك أنّهُمْ مَبعوثون لِيوم عَظيم ، يومَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ العالَمين . »

ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذا جزاء من يُطفّف في الكيْل والميزان ، فما ظَنّكَ بمن أخذه كلّه !

•

وقال أعرابيّ لأخيه : يا أخي ، أنت طالبٌ ومَطلوب ، يَطلبك مَن لا تَفُوته ، وتَطلب ما قد كُفيته ، فكأن ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت عنه ، فامْهَدْ لنفْسِك ، وأعِدّ زادك وخُذْ في جِهازكَ .

•

ووَعظ أعرابيّ أخاً له أفسد مالَه في الشراب ، فقال : لا الدّهر يَعظك ، ولا الأيام تُنْذرك ، ولا الشّيْب يَزْجُرُك ، والساعاتُ تُحصَى عليك ، والأنفاس تُعَدّ منك ، والمَنايا تُقادُ اليك ، وأحبّ الأمور اليك أعْوَدها بالمضرّة عليك .

•

وقيل لأعرابيّ : ما لك لا تَشرب النَّبيذ ؟

قال : لثلاث خِلال فيه ، لأنه مُتْلف للمال ، مُذْهِبٌ للعقل ، مُسْقط للمُروءة .

•

وقال أعرابيّ لرجل : أيْ أخي ، إنّ يَسار النّفس أفضل من يَسار المال ، فإن لم تُرْزق غِنىً فلا تُحْرَم تَقوى ، فرُبَّ شَبْعان من النِّعم غَرْثان[1] من الكَرم ، واعلم أنّ المؤمن على خير ، تُرَحِّب به الأرضُ ، وتَسْتبشر به السماء ، ولن يُساء اليه في بَطنها ، وقد أحْسَن على ظَهرها .

•

وقال أعرابيّ : الدّراهم مَياسم تَسِم حَمْداً أو ذمّاً ، فمن

---

[1] غرثان : جوعان .

حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ، وما كلُّ من أعطى مالاً أُعطي حَمْداً ، ولا كلُّ عَديم ذميم .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أنتَ للمالِ إذا أمسكتَه ،
فإذا أنفقتَهُ ، فالمالُ لكْ

وهذا نظير قول ابن عبّاس ، ونظر إلى دِرْهم في يد رجل ، فقال : إنّه ليس لك حتّى يَخْرج من يدك .

•

وقال أعرابيّ لأخٍ له : يا أخي ، إنّ مالَك إن لم يَكُنْ لك كُنتَ له ، وإن لم تُفْنِه أفناك ، فَكُلْهُ قبل أن يأكلك .

•

وقال أعرابيّ : مَضى لنا سَلف ، أهلُ تواصل ، اعتقدوا مِنناً ، واتخذوا الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرَون اصطناع المعروف عليهم فرْضاً لازماً ، وإظهارَ البِرّ واجباً ، ثم جاء الزّمان ببنين اتخذوا مِننَهم بضاعةً ، وبِرَّهم مُرابحة ، وأياديهم تجارة ، واصطناع المعروف مُقارضة ، كنقد السوق خُذ مني وهات .

•

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول لابن عمه : سأتخطّى ذنبك

إلى عُذرك ، وان كنتُ من أحدهما على شكّ ، ومن الآخر على يَقين ، ولكن لِيَتمّ المعروفُ منّي اليك ، ولتقوم الحُجّة لي عليك .

•

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول : إنّ المُوفّق من تَرك أرْفقَ الحالات به لأصْلحها لِدينه نَظَراً لنفسه اذا لم تنظر نفسُه لها .

•

قال : وسمِعتُ أعرابياً يقول : اللهُ مُخلف ما أتلف الناسُ ، والدهر مُتْلِف ما أخلفوا ، وكم من مِيتة عِلّتها طَلب الحياة ، وكم من حياة سَبَبها التعرّض للموت .

•

وقال أعرابيّ : إنّ الآمال قطعت اعناق الرّجال ، كالسّراب غَرّ من رآه ، وأخْلَف مَن رجاه .

•

وقال أعرابيّ لصاحب له : اصْحبْ مَن يَتَناسى معروفه عندكَ ، ويتَذكّر حُقوقكَ عليه .

•

وقال أعرابي : لا تَسْأل من يَفِرّ من أن تسأله ، ولكن سَلْ من امرك أن تَسأله ، وهو الله تعالى .

•

وقيل لأعرابيّ في مرضه : ما تشتكي ؟

قال : تمام العِدّة ، وانقضاء المُدّة .

•

ونَظَر أعرابيّ الى رجل يَشكو ما هو فيه من الضّيق والضُّر ، فقال : يا هـذا ، أتَشكو مَن يَرحمك إلى مَن لا يَرحمك ؟

•

وقالت أعرابية لابنها : يا بُنَيّ ، إن سُؤالك الناس ما في أيديهم مِن أشدّ الافتقار اليهم ، ومن افتقرتَ اليه هُنت عليه ، ولا تزال تُحفَظ وتُكرَم حتى تَسأل وترغب ، فإذا ألحّت عليك الحاجةُ ولَزِمك سوء الحال فاجعل سُؤالك الى من اليه حاجَةُ السائل والمسؤول ، فانه يُغني السائل ويكفي العائل .

•

وقالت أعرابية توصي ابناً لها أراد سفراً : يا بُنَيّ ، عليك بتَقوى الله ، فإنها أجْدَى عليك من كثير عَقلك ، وإياك والنمائم ،

فإنها تورث الضغائن ، وتُفرّق بين المُحبّين ، ومَثّل لنفسك مثالاً تستحسنه من غيرك فاحذُ عليه واتخذه إماماً ، واعلم انه مَن جمَع بين السّخاء والحَياء ، فقد أجاد الحُلّة إزارها ورداءها .

قال الأصمعيّ : لا تكون الحُلّة الا ثوبين: إزاراً ورِداء.

•

أنشد الحسَن لأعرابيّ كان يَطوف بأمه على عاتقه حول الكعبة :

إنْ تركبي على قَذالي ، فاركبي ،
فطالما حمَلْتِني وسِرتِ بي[1]

في بَطنك المُطَهّر المُطيّبِ ،
كم بين هذاكَ وهذا المركَبِ

وأنشد لآخر كان يَطوف بأمه :

ما حجّ عَبْدٌ حجّةً بأمّه ،
فكان فيها مُنفِقاً من كَدّه ،

إلا استتمّ الأجرَ عنـد ربّه

•

[1] القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

قال: وسمعتُ أعرابياً يقول: ما بَقاء عُمْرٍ تَقْطعه الساعات، وسلامة بَدَنٍ مُعرَّض لِلآفات، ولقد عجِبتُ من المؤمن كيف يَكْرَه الموت وهو يَنقله الى الثّواب الذي أحيا له ليلَه وأظمأ له نهارَه .

•

وذُكر أهلُ السّلطان عند أعرابي فقال: أما والله لئن عَزّوا في الدّنيا بالجَوْر فقد ذَلّوا في الآخرة بالعَدْل ، ولقد رَضُوا بقليلٍ فانٍ عوضاً عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما تَزِلّ القدم حيثُ لا يَنفع النّدم .

•

ووصف أعرابيّ الدنيا فقال : هي رَنِقة[1] المشارب ، جَمّة المصائب ، لا تُمَتّعك الدهرَ بصاحب .

•

وقال أعرابيّ: من كانت مطيّتاه الليلَ والنهار سارا به وإن لم يَسِرْ ، وبَلَغا به وان لم يَبلُغ .

•

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول : الزّهادة في الدّنيا مِفتاح

---

١ رنقة : كدرة .

الرَّغبة في الآخرة ، والزَّهادة في الآخرة مِفتاح الرَّغبة في الدُّنيا .

•

وقيل لأعرابيٍّ وقد مَرض : إنك تموت .

قال : واذا مِتُّ فإلى أين يُذهب بي ؟

قالوا : الى الله .

قال : فما كراهتي أن يُذهَب بي الى مَن لم أرَ الخير الاّ منه .

•

وقال أعرابيٌّ : مَن خاف الموت بادر الفوت، ومن لم يُنَحِّ النَّفس عن الشهوات أسرَعت به الى الهلَكات ، والجنّة والنار أمامك .

•

وقال أعرابيٌّ لصاحب له : والله لئن هَمْلَجْتَ[1] الى الباطل إنك لَمطوف عن الحق ، ولئن أبطأت لَيُسرعنَّ اليك ، وقد خَسِر أقوام وهم يَظنُّون أنهم رابحون ، فلا تَغُرَّنك الدُّنيا

---

١ هملجت : مشيت مشية سهلة في سرعة .

فان الآخرة من ورائك .

•

وقال أعرابيّ : خيرٌ من الحياة ما إذا فقدتَه أبغضْتَ له الحياة ، وشرٌّ من الموت ما إذا نزَلَ بك أحببتَ له الموت .

•

وقال أعرابيّ : حَسْبك من فساد الدُّنيا أنّك ترى أسنِمةَ توضع ، وأخفافاً ترفع ، والخيرَ يُطلبُ عند غير أهله ، والفقيرَ قد حلَّ غيرَ محلّه .

•

وقُدّم أعرابيّ الى السلطان ، فقال له : قُل الحقّ والا أوجعتُك ضرباً .

قال له : وأنت فاعمل به ، فوالله لما أوعدك الله على تركه أعظم مما توعِدني به .

•

وقيل لأعرابيّ : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟

قال : الكريم يُسلَّط عليه اللئيم ، والعاقلُ يُسلَّط عليه الجاهل .

وقيل له : أيّ الداعين أحقّ بالاجابة ؟

قال : المَظلوم الذي لا ناصرَ له الا الله .

قيل له : فأيّ الناس أغنى عن الناس ؟

قال : من أفرد الله بحاجته .

•

ونظر عُثمان الى اعرابيّ في شَمْلة ، غائر العَيْنين مُشْرِف الحاجبين ناتىء الجَبْهة ، فقال له : يا أعرابيّ ، أين ربُّك ؟

قال : بالمِرْصاد .

•

الأصمعيّ قال : سمعتُ أعرابياً يقول : اذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقربُ مِن هواك فخالِفه ، فإنّ أكثر ما يكونُ الخطأ مع متابعة الهوى .

قال : وسمعتُ اعرابياً يقول : من نَتَجَ الخير أنْتَج له فِراخاً تَطير بأجنحة السرور، ومن غَرَسَ الشرّ أنبت له نَباتاً مُرًّا مَذاقُه ، قُضْبانه الغَيظ وثَمرَته النَّدم .

•

وقال أعرابيّ : الهوى عاجِلُه لذيذ وآجِلُه وخيم .

•

وقيل لأعرابيّ : إنك لَحسَن الشَّارة .

قال : ذلك عُنوان نِعمة الله عندي .

•

قال الأصمعيّ : رأيتُ أعرابياً امامه شاةٌ ، فقلتُ له : لمن هذه الشاء ؟

قال : هي لله عندي .

•

وقيل لأعرابيّ : كيف أنت في دينك ؟

قال : أخْرِقه بالمَعاصي وأرقَعه بالاستغفار .

•

وقال أعرابيّ : مَن كَساه الحياءُ ثوبَه ، خَفِيَ على الناس عَيْبُهُ .

وقال : بِئس الزادُ التعدّي على العباد .

وقال : التلطف بالحيلة أنفَع من الوَسيلة .

وقال: مَن ثَقُل على صديقه خَفَّ على عدوّه، ومَن أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يَعلَمون .

•

قال: وسمعتُ اعرابياً يقول لابنه وهو يعاتبه: لا تتوَهمنَّ

على مَن يَستدلّ على غائب الأمور بشاهدها الغفلةَ عن أمور يُعاينها فتكونَ بنفسك بدأت وحظّك أخطأتَ .

•

ونظر أعرابيّ الى رجل حسَن الوَجه بَضّه ، فقال : إني أرى وجهاً ما عَلِقه بَرْد وضوء السّحَر ، ولا هو بالذي قال فيه الشاعر :

مِنْ كلّ مُجتهد يُرَى اوصالَهُ
صَومُ النّهارِ ، وسَجْدةُ الأسْحار

•

الأصمعيّ قال : سمعتُ أعرابياً يُنشد :

وإذا أظْهَرْتَ أمراً حسَناً ،
فَليَكُنْ أحْسَنَ منه ما تُسِرّ

فَمُسِرُّ الخَيْرِ مَوسومٌ به ؛
ومُسِرُّ الشّرّ مَوسومٌ بِشَرّ

وقول الأعرابيّ : هذا على ما جاء في حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ما أسرّ امرؤ سريرةً الاّ ألبسه الله رداءَها إنْ خيراً فخير وإن شرّاً فشر .

قال : وأنشدني أعرابيّ :

وما هـذه الأيام إلاّ مُعارةٌ ،
فما اسطعتَ من مَعروفها ، فتَزوّدِ

فإنّك لا تَدري بأيّــة بلدةٍ
تَموتُ ، ولا ما يُحدِثُ الله في غدِ

يَقولون لا تَبْعَد ، ومن يَكُ مُسدَلاً ،
على وَجهِه ، بِشَرٌ من الأرض ، يَبعُد

•

وقال اعرابيّ : أعجز الناس مَنْ قصر في طلب الاخوان ، وأعجز منه مَن ضَيّع مَن ظفر به منهم .

•

وقال أعرابيّ لابنه : لا يَسُرّك أن تَغلب بالشرّ ، فإن الغالب بالشرّ هو المَغلوب .

•

وقال أعرابيّ لأخ له : لقد نَهَيْتُكَ أن تُريق ماءَ وجهك عند من لا ماء في وَجهِه ، فإنّ حَظّكَ مِن عَطيّته السؤال .

•

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول : إنّ حُبّ الخير خيرٌ وإن عَجزتْ عنه المقدرة ، وبُغضَ الشرّ خَير وإن فعلتَ أكثره .

•

وشهد أعرابيّ عنـد سَوّار القاضي بشهادة ، فقـال له : يا أعرابي ، إنّ مَيدانَنا لا يجري من العِتاق فيه إلا الجِياد .

قال : لئن كشفتَ عني لتجدنّي عَثوراً .

فسأل عنه سوّار فأخبر بفَضل وصَلاح، فقال له: يا أعرابيّ، إنك ممّن يجري في ميداننا .

قال : ذلك بسَتر الله .

•

وقال أعرابيّ: والله لولا أنّ المُروءة ثقيل مَحمَلها، شديدة مؤونتها ، ما تَرك اللئام لِلكرام شيئاً .

•

احتُضر أعرابيّ ، فقال له بنوه : عِظنا يا أبانا .

فقال : عاشِروا الناس مُعاشرة إن غِبتم حنّوا إليكم، وإن مِتّم بَكَوا عليكم .

•

ودخل أعرابيّ على بعض المُلوك في شَمْلة شَعر ، فلما رآه أعرضَ عنه ، فقال له : إنّ الشّملة لا تُكلّمك وإنما يُكلّمك مَن هو فيها .

•

ومرّ أعرابيّ بقوم يَدْفِنون جاريةً ، فقال : نِعم الصِّهْرُ ما صاهرتم ! وأنشد :

وَفي الأعْياصِ أكفاءٌ لِلتَبلى ،
وفي لَحْدٍ لها كُفءٌ كَريمٌ[1]

•

وقال أعرابيّ : رُبَّ رَجل سِرُّه منشور على لسانه، وآخر قد التحف عليه قلبَه التحافَ الجناح على الخوافي .

•

ومرّ أعرابيّان برجل صلَبه بعضُ الخُلفاء ، فقال أحدهما : أنبتَته الطاعةُ وحصَدته المعْصية . وقال الآخر : من طلّق الدُّنيا فالآخرةُ صاحبته ، ومن فارق الحقّ فالجِذع راحلتُه .

•

العُتبيّ عن زيد بن عُمارة قال: سمعت أعرابياً يقول لأخيه وهو يَبْتني منزلاً : يا أخي

أنتَ في دار شَتاتٍ ، فتأهّب لِشَتاتِكْ
واجعل الدُّنيا كيَوم صُمْتَه عن شَهَواتك

---

١ الاعياص : اراد بهم كرام الاصل، يقال: هو من عيص كريم ، اي من اصل كريم .

واجْعل الفِطْر، إذا ما نِلْتَه ، يَومَ مماتك
واطلُبِ الفوزَ بِعَيشِ الزُّهْد من طول حياتك

ثم أطرق حيناً ورفع رأسه وهو يقول :

قائدُ الغَفْلة الأمَلْ ، والهَوى قائدُ الزَّلَلْ
قتَلَ الجهْلُ أهْلَه ، ونَجا كلُّ مَن عقَل
فاغْتَنِم دَوْلة السَّلا مة ، واستأنِف العمَل
أيُّها المُبْتَني القُصو رَ، وقد شابَ واكْتَهل
أخْبَرَ الشَّيبُ عنك : إنَّك في آخرِ الأجَل
فعَلامَ الوُقوفُ في عَرصة العَجْز والكَسَل؟
أنتَ في مَنزل ، إذا حلَّه نازلٌ رَحَل
مَنزِلٌ لم يَزَلْ يَضيـق، ويَنْبو بِمَنْ نَزَل
فتأهَّبْ لِرِحْلَةٍ ، ليس يَسْعى بها جَمَل
رِحْلةٍ لم تَزَل، على الدَّهر، مكروهةَ القَفَل[1]

•

---

[1] القفل : الرجوع .

وقيل لأعرابي : كيف كِتمانك للسر ؟
قال : ما جَوفي له إلا قبر .

•

وقال أعرابيّ : إذا أردتَ أنْ تَعْرف وَفاء الرَّجل ، ودَوام عَهْده ، فانظر إلى حَنينه إلى أوطانِه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من زمانه .

•

وقال أعرابيّ : إذا كان الرأيُ عند مَن لا يُقبَل منه ، والسّلاح عند من لا يَسْتعمله ، والمالُ عند مَن لا يُنفقه ، ضاعت الأمور .

•

وسُئل أعرابيّ عن القَدَر ، فقال : الناظرُ في قدَر الله كالناظر في عَين الشمس ، يَعْرف ضَوءها ولا يَقِف على حُدودها .

•

وسُئل آخر عن القدَر ، فقال : عِلم اختصمت فيه العقول ، وتقاول فيه المُختلفون ، وحقّ علينا أن نَرُدّ ما التبَس علينا من حُكمه إلى ما سَبَق من عِلمه .

•

وقال أعرابيّ : تكوير الليل والنهار[1] ، لا تبقى عليه الأعمار ، ولا لأحد فيه الخيار .

•

أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : خرج الحجّاج ذات يوم فأصحر[2] ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتغدّى معنا ؛ فطلبوا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة فأتوه به ؛ فقال له : هلمّ .

قال له : قد دعاني من هو اكرمُ منك فأجبته .

قال : ومَن هو ؟

قال : الله ، تبارك وتعالى ، دعاني إلى الصيام فأنا صائم .

قال : صوْم في مثل هذا اليوم على حرّ !

قال : صُمت ليوم هو أحرّ منه .

قال : فأفطر اليوم وصُم غداً .

قال : ويَضمن لي الأميرُ أن أعيشَ إلى غد ؟

قال : ليس ذلك إليّ .

---

١ تكوير الليل والنهار : أن يلحق أحدهما بالآخر .
٢ أصحر : خرج الى الصحراء .

قال : فكيف تَسألني عاجلاً بآجل ليس إليه سَبيل ؟

قال : إنه طَعام طَيِّب .

قال : والله ما طيَّبَه خَبّازك ولا طبّاخك ، ولكن طَيَّبَته العافية .

قال الحجّاج : تالله ما رأيت كاليوم ، أخرجوه عنّي .

•

أبو الفَضْل الرِّياشي قال : أنشدنا أعرابيّ :

أباكيـــةٌ رُزَينةُ أن أتاهـا
نَعِيِّي ، أم يكون لها اصْطِبارُ

إذا ما أهلُ وُدّي وَدّعوني ،
وراحوا ، والأكُفُّ بها غُبار

وغُودِرَ أعظُمي في لَحْدِ قَبْرٍ ،
تَعاوَرُه الجَنـائبُ والقِطـارُ[1]

تَظَلُّ الرِّيـح عاصفـةً عليـه ،
ويَرْعَى حوله اللَّهَق النَّوَار[2]

---

١ الجنائب ، واحدها جنوب : من الرياح الحارة ، وهي تقابل الشمال . القطار ، واحدها قطر : المطر .

٢ اللهق : الثور الوحشي . النوار : النفور .

فَذاكَ النّأي ، لا الهِجْران حولاً
وحَوْلاً ، ثم تَجْتمع الدّيار

وهذا نظير قول ليْلى الأخيَلية :

لعَمْرُكَ ما الهِجْران أنْ تشحطَ النّوى،
ولكِنّما الهجْران ما غيّبَ القبْرُ

ونظيرُ قول الخنساء :

حسْبُ الخَليلَين كَوْنُ الأرض بينهما،
هذا عليها ، وهذا تحتها رِمَما

وأنشد لآخر :

إذا ما المَنايا أخطأتْكَ ، وصادفَتْ
حَميمَك ، فاعْلم أنّها سَتعُود

•

الرياشي قال : مرّ عمرُ بن الخطّاب بالجبّانة ، فإذا هو بأعرابيّ ، فقال له : ما تَصنع هُنا يا أعرابيّ في هذه الدّيار المُوحشة ؟

قال : وَديعة لي هاهنا يا أمير المؤمنين .

قال : وما وديعتك ؟

قال : بُنيٌّ لي دَفنتُه ، فأنا أخرُج اليه كلّ يوم أندُبه .

قال : فاندُبه حتى أسمعَ .

فأنشأ يقول :

يا غائباً ! ما يؤوبُ مِن سَفَرِه،
عاجَلَهُ موتُـه عـلى صِغَرِه

يا قُرّةَ العَيْن! كُنتَ لي سَكَناً
في طول ليلي، نعم، وفي قِصَرِه

شَرِبْتَ كأساً ، أبوك شارِبُها ،
لا بُدّ يوماً له ، على كِبَرِه

يَشْرَبُهـا والأنامُ كُلُّهـمُ ،
من كان في بَدْوِه وفي حَضَرِه

فالحمدُ لله ، لا شريـكَ له ،
الموتُ في حُكْمِه وفي قَدَرِه

قد قسّم العُمر في العباد ، فما
يَقْدِر خَلْقٌ يَزِيد في عُمرِه

قولهم في المدح

ذكر أعرابيّ قوماً عُبّاداً ، فقال : تركوا والله النعيم لينعّموا ، لهم عَبَرات مُتدافعة ، وزفرات مُتتابعة ، لا تراهم إلا في وجه وَجيه عند الله .

•

وذكر أعرابيّ قوماً، فقال: أدّبتهم الحِكْمَة، وأحْكَمتهم التجارب ، فلم تَغرُرْهم السلامة المنطوية على الهَلَكة ، ورَحل عنهم التَسويفُ الذي به قَطع الناسُ مسافة آجالهم ، فذَلّت ألسنتهم بالوَعد ، وانبسطت أيديهم بالوَجد[1] ، فأحسَنوا المقال ، وشفعوه بالفَعال .

•

وسُئل أعرابيّ عن قومه، فقال: كانوا إذا اصطفّوا سَفرت بينهم السهامُ[2] ، وإذا تصافحوا بالسُيوف فغرت المنايا أفواهَها،

---

١ الوجد : اليسار والسعة .

٢ سفرت بينهم السهام : اي جعلوا السهام سفراء بينهم .

فرُبَّ يوم عارم[1] قد أحسنوا أدبه ، أو حَرْب عَبوس قد ضاحكتَها أسنّتهم ، إنما قومي البَحرُ ما ألقمْتَه التقم .

•

وذكر أعرابيّ قوماً ، فقال : ما رأيتُ أسرَع إلى داعٍ بلَيلٍ على فرس حسيب وجَمَل نجيب منهم ، ثم لا ينتظر الأوَّلُ السابقُ الآخِرَ اللاّحق .

•

وذكر أعرابيّ قوماً ، فقال : جَعلوا أموالهم مناديل أعراضهم[2] ، فالخيرُ بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، فيُعطونها بطيبة أنفُسهم إذا طُلبت اليهم ، ويباشرون المعروف بإشراق الوُجوه إذا بُغي لديهم .

•

وذكر أعرابيّ قوماً ، فقال : والله ما نالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وَطِئناه بأخماص أقدامنا ، وإن أقصى هِممهم لأدنى فَعالنا .

•

وذكر أعرابيّ أميراً ، فقال : إذا وَليَ لم يُطابق بين جُفونه ،

---

١ عارم : شديد .

٢ مناديل اعراضهم : اي يمسحون بها ما قد يدنس أعراضهم .

وأرْسل العُيون على عيونه[1] ، فهو غائب عنهم ، شاهد معهم ، فالمُحْسن راجٍ ، والمُسيء خائف .

•

ودَخل أعرابيّ على رجل من الوُلاة ، فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلني زِماماً من أزِمّتك التي تَجُرُّ بها الأعداء ، فإني مِسعَر حَرب[2] ، ورَكّاب نُجب ، شديد على الأعداء ، ليّن على الأصدقاء ، مُنطوي الحصِيلة[3] ، قليل الثّمِيلة ، نومي غِرار[4] ، قد غذَتني الحربُ بأفاويقها[5] ، وحلَبتُ الدّهر أشطُرَه[6] ، ولا تَمْنعك عنّي الدّمامة[7] ، فإنّ من تحتها شَهامة .

•

وذكر أعرابيّ رجلا ببراعة المَنْطق ، فقال : كان والله بارع

---

١ عيونه : جواسيسه .
٢ مسعر حرب : موقدها .
٣ الحصيلة : البقية من الشيء . وهكذا الثميلة اي الثمالة . يريد انه لا يحمل معه ما يثقله .
٤ غرار : قليل .
٥ الافاويق ، واحدتها فيقة : اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . ويقال: ارضعني افاويق بره ، اي خيار احسانه .
٦ اي جربته وعرفت خيره وشره .
٧ الدمامة : القبح .

المنطق ، جَزْل الألفاظ ، عربيّ اللّسان ، فصيح البيـــان ، رقيق حواشي الكلام ، بَلبل الرّيق ، قليل الحَركات، ساكن الإشارات .

•

وذكر أعرابيّ رجلا ، فقال : رأيتُ رجلا له حِلْم وأناة ، يُحدّثك الحديثَ على مَقاطعه ، ويُنشدك الشّعر على مَدارجه، فلا تسمع له لَحناً ولا إحالة[1] .

•

العُتْبيّ قال : ذكر أعرابيّ قوماً، فقال : آلتْ[2] سُيوفهم ألاّ تقضي ديناً عليهم ، ولا تُضيّع حقّاً لهم ، فما أُخِذ منهم مَرْدود إليهم ، وما أخذوا مَتروك لهم .

•

ومَدَح أعرابيّ رجلا ، فقال : ما رأيتُ عيناً قطّ أخرقَ لظُلمة الليل من عينه ، ولحظة أشبه بلَهيب النار من لحظته، له هِزّة كهِزّة السّيف إذا طرب ، وجُرأة كجُرأة اللّيث إذا غضِب .

•

---

١ احالة الكلام : افساده .
٢ آلت : أقسمت .

ومَدح أعرابيّ رجلاً ، فقال : كان الفَهْمُ منه ذا أُذنين ، والجواب ذا لِسانين ، لم أر أحداً أرْتق لخَلل الرأي منه ، بَعيد مَسافة العقل ومَراد الطّرف ، إنما يَرمي بهمّته حيث أشار اليه الكرم .

•

ومَدح أعرابيّ رجلاً ، فقال : ذاك والله فسيح النّسب ، مستَحكم الأدب، من أيّ أقطاره أتيتَه انتهى اليك بكرم فَعال وحُسن مَقال .

•

ومَدح أعرابيّ رجلاً ، فقال : كانت ظُلْمة ليله كضَوء نهاره، آمراً بإرشاد، وناهياً عن فساد، لحديث السّوء غيرَ مُنقاد.

•

وقال أعرابيّ : إنّ فلاناً خُلقت نَعم للسانه قبل أن يُخلق لسانُه لها ، فما تراه الدهرَ إلاّ وكأنّه لا غنى له عنك ، وإن كنت اليه أحْوج ، إذا أذنبت اليه غفر وكأنّه المُذنب، وإذا أسأتَ اليه أحْسن وكأنه المُسيء .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً، فقال: اشترى والله عِرضه من الأذى،

فلو كانت الدُّنيا له فأنفقها لرأى بعدها عليه حقوقاً ، وكان مِنهاجاً للأمور المُشْكِلة إذا تَناجزَ[1] الناسُ باللائمة .

•

ومَدح أعرابيّ رجلاً ، فقال : كان والله يَغسِل من العار وجوهاً مُسْوَدّة ، ويَفتح من الرّأي عيوناً مُنسدّة .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً ، فقال : ذاك والله يَنفع سِلمه ، ولا يَستمِرّ ظُلمه ، إن قال فعل ، وإنْ وَليَ عدَل .

•

ومدح أعرابيّ رجلاً ، فقال : ذاك والله يُعنى في طلب المكارم غير ضالّ في مَسالك طُرقها ولا مُشتغل عنها بغَيرها.

•

وذكر أعرابي رجلاً ، فقال : يُسدّد الكلمة إلى المَعنى فتمْرُق مُروقَ السّهم من الرميّة ، فما أصاب قتل، وما أخطأ أشوى[2] ، وما عَظْعَظ له سَهم[3] منذ تحرّك لسانه في فيه .

•

---

١ تناجزوا : تبارزوا ، واراد هنا تبادلوا .

٢ أشوى : أصاب الشوى ، كل ما ليس مقتلاً كاليدين والرجلين .

٣ عظعظ السهم : مر مضطرباً ولم يقصد .

وذكر أعرابيٌّ أخاه ، فقال : كان والله رَكوباً للأهوال، غيرَ ألوف لربّات الحِجال ، إذا أرعد القومُ من غير كرٍّ يُهين نفساً كريمة على قومها ، غيرَ مُبقية لغدٍ ما في يَومها .

•

ومدَح رجلٌ رجلاً ، فقال : كأنّ الألسُن رِيضت فما تَنعقد إلاّ على وُدّه ، ولا تَنطق إلا بثنائه .

•

ومدح أعرابيٌّ رجلاً ، فقال : كان والله للإخاء وَصولاً ، وللمال بَذولاً ، وكان الوفاء بهما عليه كفيلاً ، فمَن فاضله كان مَفضولاً .

•

وقيل لأعرابيٍّ : ما البلاغة ؟ قال : التباعُدُ من حَشو الكلام ، والدّلالة بالقليل على الكثير .

•

ومدح أعرابيٌّ رجلاً ، فقال : يُصمّ أذنيه عن استماع الخنى، ويُخرِس لسانه عن التكلّم به ، فهو الماء الشّريب، والمِصقع[1] الخَطيب .

•

---

١ الشريب : العذب . المصقع : البليغ العالي الصوت، من لا يرتج عليه في كلامه.

وذكر أعرابيّ رجلاً، فقال : ذاك رجل سَبق إليّ مَعروفه قبل طَلبي اليه ، فالعِرض وافر ، والوَجْه بمائه ، ومـا أستقلُّ بنعمة إلا أثقلني بأخرى .

•

وذكر أعرابيّ رجلا، فقال : ذاك رَضيع الجُود، والمفطوم به ، عَييّ عن الفَحْشاء، مُعتصم بالتّقوى، إذا خَرِست الألسن عن الرأي حَذَفَ[1] بالصّواب، كما يَحْذف الأريب، فإن طالت الغايةُ ، ولم يكن مِن دونها نِهاية ، تمهّل أمام القوم سابقاً.

•

وذكر أعرابيّ رجلاً ، فقال : إنّ جَليسه لِطيب عِشْرته أطربُ من الابل على الحُداء ، والثّمِل على الغِناء .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً، فقال : كان له عِلم لا يُخالطه جَهْل، وصِدقٌ لا يَشوبه كذِب ، كأنه الوَبْل عند المحْل .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً، فقال : ذاك والله من شجر لا يُخلف ثمره ، ومن بَحر لا يُخاف كدره .

•

---

١ حذف : رمى .

وذكر أعرابيّ رجلًا، فقال: ذاك والله فتى ربّاه الله بالخير ناشئاً فأحسن لِبسه، وزيّن به نفسه.

•

وذكر أعرابيّ رجلا، فقال: ما رأيتُ أعشق للمعروف منه، وما رأيتُ المُنكر ابغضَ لأحدٍ منه.

•

وقدم أعرابيّ البادية، وقد نال من بني بَرْمك، فقيل له: كيف رأيتَهم؟ قال: رأيتُهم وقد أنِسَتْ بهم النّعمة كأنها من بناتهم.

•

قال: وذكر أعرابي رجلا، فقال: ما زال يَبْني المجدَ، ويشتري الحمْد، حتى بَلغ منه الجهد.

•

ودخل أعرابيّ على بعض المُلوك، فقال: إنّ جهلًا أن يقول المادحُ بخلاف ما يَعْرف من الممدوح، وإني والله ما رأيتُ أعشق للمكارم في زمان اللؤم منك. ثم أنشد:

ما لي أرى أبْوابهم مَهْجُورةً،
وكأنّ بابَك مَجْمَعُ الأسْواقِ؟

حابَوْكَ أم هابُوكَ أم شامُوا النَّدى
بيدَيْكَ ، فاجتمعوا مِن الآفاق؟[1]

إنّي رأيتُكَ للمكارمِ عاشقاً ،
والمَكرُماتُ قليلةُ العُشّاقِ

•

وأنشد أعرابيٌّ في مثل هذا المعنى :

بَنَتِ المكارمُ وَسْطَ كفِّكَ بَيْتَها ،
فتِلادُها بكَ للصّديق مُباحُ

وإذا المَكارمُ أغلقت أبوابَها
يوماً ، فأنتَ لقُفْلِها مِفتاحُ

•

وأنشد أعرابيٌّ في بني المُهلَّب :

قَدِمتُ على آل المُهلَّب شاتياً ،
قصِيّاً، بعيدَ الدّار، في زمن المَحْلِ

فما زال بي إلْطافُهم وافتقادُهم
وبِرُّهُمُ ، حتى حَسِبْتُهمُ أهلي

•

---

١ حابوك : مالوا اليك منحرفين عن العدل .

وأنشد أعرابيٌّ :

كأنَّكَ في الكتابِ وَجَدْتَ لاءً
مُحَرَّمَةً عليكَ ، فما تَحِلُّ

وما تدري إذا أعطيتَ مالاً ،
أتُكثِرُ مِن سماحك أمْ تُقِلُّ ؟

إذا دخل الشتاءُ ، فأنت شمسٌ ؛
وإنْ دخل المصيفُ ، فأنتَ ظِلٌّ

•

وقال أعرابيٌّ في مدحِ عُمر بن عبد العزيز :

مُقابَلَ الأعراقِ في الطّابِ الطّابْ
بين أبي العاصِ وآلِ الخطّابْ[1]

•

وأنشد أعرابيٌّ :

لنا جوادٌ أعار النّيلَ نائلَه ،
فالنّيلُ يَشكرُ منه كثرةَ النّيلِ

---

١ مقابل الأعراق : أي شريف من قبل أبيه وأمه . الطاب : الطيب .

إن بارزَ الشمسَ ألفى الشمسَ مُظلِمةً،
أوْ زاحمَ الصُّمَّ ألجاها إلى الميَلِ[1]

أهدى من النجم، إنْ نابتْه مُشكلةٌ،
وعند إمضائه أمضى من السَّيلِ

والموتُ يَرْهبُ أن يَلقى مَنيَّته
في شدّه، عند لفّ الخَيلِ بالخَيلِ

•

١ الصم : أراد بها الجبال العظيمة .

قولهم في الذم

الأصمعي قال : ذكر أعرابيّ قوماً، فقال : أُولئك سُلخت أقفاؤُهم بالهجاء ، ودُبغت وجوههم باللّؤم ، لباسُهُم في الدُّنيا الملامة ، وزادُهم إلى الآخرة النّدامة .

قال: وذكر أعرابيّ قوماً، فقال: هم بُيوت تَدخل حَبواً إلى غير نمارق ولا وسائد ، فُصح الألسن برَدّ السائل ، جُعد الأكُفّ عن النائل .

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول : لقد صَغُر فلاناً في عَيني عِظَمُ الدُّنيا في عينه ، وكأنما يَرى السائلَ إذا أتاه مَلَكَ الموت إذا رآه .

•

وسُئل أعرابي عن رجل ، فقال : ما ظَنُّكم بسكّير لا يُفيق ، يَتّهم الصّديق، ويَعصي الشّفيق، لا يكون في مَوضع إلاّ حُرّمت فيه الصلاة ، ولو أفلتَت كلمة سُوء لم تَصِر إلا اليه ، ولو نزلت لعنةٌ من السماء لم تَقع إلاّ عليه .

•

وذكر أعرابيٌّ قوماً، فقال: أقلُّ الناس ذنوباً إلى أعدائهم، وأكثرهم جُرماً إلى أصدقائهم، يَصومون عن المعروف، ويُفطرون على الفَحشاء.

•

وذكر أعرابيٌّ رجلاً، فقال: إنّ فلاناً ليُعدي بإثمه من تسمّى باسمه، ولئن خيَّبني فلرُبَّ قافية قد ضاعت في طَلب رجل كريم.

•

وذكر أعرابيٌّ رجلاً، فقال: تَغدو اليه مواكب الضّلالة فتَرجع من عنده ببُدورِ[1] الآثام، مُعْدِم مما تُحب، مُثرٍ مما تَكره، وصاحبُ السُّوء قِطعة من النار.

•

وقال أعرابيٌّ لرجل: أنت والله ممن إذا سأل ألحف، وإذا سُئِل سَوَّف، وإذا حدَّث حلَف، وإذا وعَد أخلَف، تَنظُر نَظرَ حَسود، وتُعرِض إعْراضَ حَقود.

•

وسافر أعرابيٌّ إلى رجل فحَرَمه، فقال لمّا سُئل عن سَفره:

---

١ البدور، واحدتها بدرة: كيس فيه الف او عشرة آلاف. واراد هنا الكثرة.

ما رَبِحْنا في سفَرِنا إلا ما قَصَّرنا من صَلاتنا ، فأما الذي لقينا من المواجر ، ولقيتْ منّا الأباعر[1] ، فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حُسْنِ ظنّنا . ثم أنشأ يقول :

رَجَعنا سالمِينَ كما خَرَجنا ،
وما خابت سريّة سالمينا[2]

●

وقال أعرابيّ يهجو رجلاً :

ولمّا رأيتُكَ لا فاجراً
قويّاً ، ولا أنت بالزّاهدِ

ولا أنت بالرّجل المتّقي ؛
ولا أنتَ بالرّجل العابد

عَرضتُك في السُّوقِ ، سُوقِ الرّقيق ،
وناديتُ هل فيك مِن زائد ؟

على رَجُلٍ خائنٍ للصّديق ،
كَفور بأنعُمِه ، جاحِد

---

١ الاباعر : الابل .
٢ السرية : القطعة من الجيش .

فما جاءني رجلٌ واحدٌ،
يَزيد على دِرْهمٍ واحد

سِوى رَجُلٍ زادني دانَقاً،
ولم يكُ في ذاك بالجاهدِ[1]

فَبِعْتُكَ منه بلا شاهدٍ،
مخافةَ رَدِّك بالشّاهد

وأُبْتُ إلى منزِلي غانماً،
وحَلَّ البَلاءُ على النّاقد

•

وذكر أعرابيّ رجلاً، فقال: كان إذا رآني قرَّب من حاجبٍ حاجباً، فأقول له: لا تُقَبِّح وَجْهك إلى قُبحه، فوالله ما أتيتُك لِطَمع راغباً، ولا لخوف راهباً.

•

وذمّ أعرابيّ رجلاً، فقال: عَبْد الفَعال، حُرّ المَقال، عَظيم الرُّواق، دنيء الأخلاق، الدَّهر يَرفعه ونَفْسُه تَضعه.

•

---

١ الدانق: سدس الدرهم

وذمّ أعرابيّ رجلاً ، فقال : ضيّق الصّدر ، صَغير القَدر، عَظيم الكِبر ، قصير الشّبر ، لئيم النّجر[1] ، كثير الفَخر .

•

وقال أعرابيّ : دخلتُ البصرةَ فرأيت ثِياب أحرار على أجساد عَبيد، إقبالُ حظّهم إدْبار حَظّ الكرام، تَشجَر أصوله عند فروعه ، تَشغَلهم عن المعروف رَغبتهم في المُنكر .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً ، فقال : ذاكَ يَتيم المُجالس ، أغنى ما يكون عند جُلسائه ، أبلغُ ما يكون عند نَفسه .

•

وذكر أعرابيّ رجلاً ، فقال : ذلك إلى مَن يُداوي عقلَه من الجهل أحوجُ منه إلى من يُداوي بَدنه من المرض ، إنه لا مَرَضَ أوجع من قلّةَ عَقل .

•

وذكر أعرابي رجلاً لم يُدرك بثأره ، فقال : كيف يُدْرك

---

[1] النجر : الاصل والحسب .

بثأره مَن في صدره من اللُؤم حشوُ مِرفقتـه[1] ، ولو دُقّت بوجه الحِجارة لرَضّها[2] ، ولو خلا بالكَعبة لسَرَقها !

•

وذكر أعرابي رجلاً ، فقال : تسهر والله زوجتُه جُوعاً إذا سَهِر الناسُ شِبَعاً ، ثم لا يَخاف مع ذلك عاجلَ عارٍ ولا آجلَ نار ، كالبهيمة أكلت ما جَمَعت .

•

وسمع أعرابيّ رجلاً يَدعو ، فقال: وَيحك ! إنما يُستجاب لمُؤمن أو مَظلوم ، ولستَ بواحدٍ منهما ، وأراك يَخفّ عليك ثِقل الذُنوب فتَحسُن عِندك مَقابح العُيوب .

•

وذكر أعرابي رجلاً بضَعْفٍ ، فقال : سيّء الرَّويّة ، قليل التّقيّة[3] ، كثير السّعاية ، ضَعيف النّكاية .

•

وذكر أعرابي رجلاً ، فقال : عليه كلَّ يوم من فِعله شاهد

---

١ المرفقة : المخدة.
٢ الرض : الدق .
٣ التقية : الحذر .

بِفِسْقه ، وشهاداتُ الأفعال أعدل من شهادات الرّجال .

•

وذكَر أعرابيّ رجلاً بذِلّة ، فقال : عاش خاملاً ومات مَوتوراً .

وذكر قوماً أُلبِسوا نِعمة ثم عُرّوا منها، فقال: ما كانت النّعمة فيهم إلا طَيْفاً ، لمّا انتبهوا لها ذهبت عنهم .

•

وذمّ أعرابي رجلا، فقال: هو كالعَبد القِنّ[1]، يَسُرّك شاهداً ويسوءك غائباً .

•

ودعت أعرابية على رجل، فقالت : أمكن الله منك عدوّاً حسُوداً ، وفَجع بك صديقاً وَدوداً ، وسلّط عليك همّاً يُضنيك ، وجاراً يُؤذيك .

•

وقال أعرابيّ لرجُل شَريف البَيْت ، دنيء الهمّة : ما

---

[1] العبد القن : الذي كان أبوه مملوكاً لمواليه .

أحوَجَك إلى أن يكون عِرضُك لمن يَصونه ، فتكونَ فوق من أنتَ دونه .

•

وذكر أعرابيٌّ رجلًا ، فقال : إن حدّثته سابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكتَّ عنه أخذ في التُّرّهات .

•

وذكر أعرابيٌّ أميراً ، فقال : يَصِلُ النَّشوة[1] ، ويقضي بالعَشْوة[2] ، ويَقبَلُ الرِّشوة .

•

وذكر أعرابيٌّ رجلًا راكباً هواه ، فقال : هو والله أسرع الى ما يَهواه ، من الأسن[3] الى راكد المياه ، أفقره ذلك أو أغناه .

•

وقال أعرابيٌّ : لبثَ فلاناً أفالني من حُسن ظنّي به فأختم بصَواب إذ بدأتُ بخطأ ، ولكنْ من لم تُحكِمْهُ التّجارب

---

١ يصل النشوة : اي يظل سكران .
٢ العشوة : ركوب الامر على غير بيان .
٣ اسن الماء : تغير طعمه .

أسرع بالمَدح الى من يَستوجب الذمّ ، وبالذمّ الى من يستوجب المدح .

•

وقال أعرابيّ لرجل : هل أنتَ إلا أنتَ لم تتغيّر ، ولو كنت من حديد ووُضعت في أتون مَحْميّ لم تذُب .

•

وسمعتُ أعرابياً يقول لأخيه : قد كنتُ نهيتُكَ أن تدنّس عِرْضك بعِرْض فلان ، وأعلمتُك أنه سَمين المال ، مَهْزول المعروف ، من المَرزوقين فُجاءة ، قصير عمر الغِنى ، طَويل عُمر الفقر .

•

أقبل أعرابيّ إلى سَوّار فلم يُصادف عنده ما أحبّ ، فقال فيه :

رأيتُ لي رُؤيا وعَبّرْتُها ،
وكنتُ للأحْلام عَبّارًا

بأنّني أخبِطُ في ليلتي
كَلْباً ، فكان الكلْبُ سَوّارا

•

وقال أعرابيّ في ابن عم له يُسمّى زِياداً :

مَنْ يُقادِرْ ، مَن يُطافِسْ ، مَن يُناذل بِزِياد؟[1]
مَن يُبادلني قريباً بِبَعيد مِن إياد؟

•

وقال سعيد بن سَلم الباهليّ : مدَحني أعرابيّ ، فاستبطأ الثواب ، فقال :

لكلّ أخي مَدْحٍ ثوابٌ يُعدّه ،
وليس لِمَدْحِ الباهليّ ثوابُ

مَدَحْتُ سَعيداً ، والمَديحُ مهزّةٌ ،
فكانَ كَصَفْوانٍ عليه تُرابُ[2]

وقال أيضاً :

وإنّ مِن غايةِ حِرْص الفتى
طِلابَهُ المَعْروفَ في باهِلَهْ

---

١ يقادر : يباري بالمقايسة في القدر . يطافس : يباري بالقذر . يناذل : يباري بالنذالة .

٢ مهزة : يهز للمعروف . الصفوان : الحجر الصلد الأملس لا ينبت شيئاً .

كَبيرُهم وَغْدٌ ، وَمَوْلودهم
تَلْعَنُه ، من قُبْحِهِ ، القابِلَه

وقال أيضاً :

سَبَكْناهُ ونَحْسَبه لُجَيْناً ،
فأبْدى الكِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

وقال فيه :

لمّا رَآنا فَرَّ بوّابُه ،
وانسَدَّ من غيرِ يَدٍ بابُه

وعِنْده ، مِن مَقْتِهِ ، حاجبٌ
يحْجُبُه ، إن غابَ حُجّابُه

•

وذكر أعرابيّ امرأة قبيحة ، فقال : تُرْخي ذَيْلَها على عُرْقوبَيْ نَعامة ، وتَسْدِل خِمارها على وَجه كالجُعالة[1] .

•

العتْبي قال : سمعتُ أعرابياً يقول : لا تَرك الله مُخّاً في

---

١ الجعالة : الخرقة التي تنزل بها القدر عن النار.

سُلامَي[1] ناقة حَملتني اليك، والداعي عليها أحقُّ بالدُّعاء عليك، إذ كلّفها المسيرَ اليك.

•

وقال أعرابيّ لابن الزُّبير: لا بُوركتْ ناقة حَملتني اليك، قال: إنّ وصاحبها. قوله: إن، يُريد: نعم. قال ابن قيس الرُّقيّات:

ويَقُلْنَ شَيْبٌ قد عَلاكَ،
وقد كَبِرْتَ، فقلتُ: إنّه

يريد: نعم.

•

وذكر أعرابيّ رجلاً، فقال: لا يُؤْنِسُ جاراً، ولا يُؤهل داراً، ولا يُثْقِبُ[2] ناراً.

•

وسأل أعرابيّ رجلاً فحَرمه، فقال له أخوه: نزلتَ والله بوادٍ غير مَمْطور، وبرجُل غير مَبرور، فارتحِل بندم، أو أقِمْ بعَدَم.

•

---

١ السلامي: عظام الفرسن وهو من البعير بمنزلة الحافر من الخيل.
٢ يثقب: يوقد.

وصاحَبَ أعرابيٌّ امرأة ، فقال لها : والله إنك لمُشرفة الأذنين ، جاحظة العَيْنين ، ذات خَلق مُتضائل ، يُعجبك الباطل ، إنْ شَبِعتِ بَطِرْتِ ، وإن جُعتِ صَخِبْتِ ، وإن رأيتِ حسناً دَفَنْتِه ، وإن رأيتِ سيّئاً أذعْتِه ، تُكرمين من حَقَّرك ، وتُحقّرين من أكرَمك .

•

وهَجا أعرابيٌّ امرأته ، فقال :

يا بِكْرَ حَوّاء من الأولادِ ،
وأمَّ آلافٍ مِنَ العِبادِ

عُمْرُكِ مَمْدُود إلى التّنادي ،
فحدّثينا بحديث عاد

والعَهْدِ من فِرْعَون ذي الأوتاد،
يا أقْدَمَ العالَم في البلاد

إنّيَ من شخصك في جهاد

•

وقال أعرابيٌّ في امرأة تزوّجها، وذُكِرَ له أنها شابة طريّة، ودَسّوا اليه عجوزاً :

عَجوزٌ تُرَجّي أن تكون فَتِيَّةً،
وقد نَحَلَ الجَنْبان واحدودبَ الظَّهْرُ

تَدُسُّ إلى العطّارِ سِلعةَ أهلِها،
وهل يُصْلِحُ العطّارُ ما أفسَدَ الدهرُ؟[1]

تَزَوَّجتُها قبلَ المِحاقِ بلَيْلةٍ،
فكانَ مِحاقاً كلُّه ذلكَ الشَّهرُ[2]

وما غرَّني إلاّ خِضابٌ بكَفِّها،
وكُحْلٌ بعَيْنَيْها، وأثوابُها الصُّفْرُ

وقال فيها :

ولا تستطيع الكُحْلَ من ضِيقِ عَيْنِها،
فإن عالَجَتْهُ صارَ فوقَ المَحاجِرِ

وفي حاجِبَيها حَزَّةٌ كغِرارةٍ،
فإن حُلِقا كانت ثلاثُ غرائرِ[3]

---

١ يريد بالسلعة : الدقيق .
٢ المحاق : آخر الشهر القمري .
٣ الحزة : الفرض . الغرارة : الجوالق .

وثديان أمّا واحدٌ فهو مِزْوَد ،
وآخرُ فيه قِرْبة لمسافرِ[1]

•

وقال أعرابيٌّ في سَوداء :

كأنها ، والكُحْلُ في مِرْوَدِها ،
تَكْحَلُ عَيْنَيها ببعض جِلْدِها[2]

وقال فيها :

أشْبَهَكِ المِسْكُ وأشْبَهْتِهِ ،
قائمةٌ ، في لَوْنه ، قاعِدَهْ

لا شكّ ، إذ لَونُكما واحدٌ ،
أنّكما من طِينةٍ واحده

•

وقال كُثيِّر في نُصَيب بن رَباح ، وكان أسْود :

رأيتُ أبا الحَجْناء في الناس حائراً ،
ولونُ أبي الحَجْناء لونُ البَهائمِ

---

١ المزود : وعاء يحمل فيه الزاد .
٢ المرود : الميل يُكتحل به .

تَراه على ما لاحَهُ من سَوادِه،
وإن كان مَظْلوماً ، له وَجْهُ ظالمِ[1]

•

وقال رجل من العُمّال لأعرابيّ : ما أحْسبك تَعرف كم تُصَلي في كل يوم وليلة ؟ فقال له : فإن عرفتُ أتجعل لي على نَفسك مسألة ؟ قال : نعم ؛ قال :

إنّ الصَّلاةَ أرْبعٌ وأربعُ   ثم ثلاثٌ بعدَهُنّ أرْبعُ
ثم صَلاةُ الفَجْرِ لا تُضيّعُ

قال : صدقت . هات مسألتك؟ قال له : كم فِقارُ ظَهْرِك؟ قال : لا أدري ؛ قال : أفتَحْكم بين الناس وتجهل هذا من نَفسك !

•

---

١ لاحه : غيّره .

قولهم في الغزل

ذكر أعرابيّ امرأة ، فقال : لها جلد من لؤلؤ مع رائحة المِسك ، وفي كل عُضو منها شَمْس طالعة .

•

وذكر أعرابيّ امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونها لولا ما تمّ منها وما نقص منه .

•

وقال أعرابيّ في امرأة ودّعها للمسير : والله ما رأيتُ دَمعة تَرقرق من عين بإثمد على دِيباجة خدّ ، أحسن من عَبرة أمْطرتها عينها فأعْشب لها قلبي .

•

وسمعتُ أعرابياً يقول : إنّ لي قَلْباً مَرُوعاً ، وعَيناً دَموعاً ، فماذا يَصنعُ كلّ واحد منهما بصاحبه ، مع أنّ داءهما دَواؤهما ، وسُقْمَهما شِفاؤهما ؟

•

وقال أعرابيّ : دخلتُ البصرةَ فرأيتُ أعْيُناً دُعْجاً ،

وحواجبَ زُجّاً[1] ، يَسْحبن الثياب ، ويَسلُبْن الألباب .

•

وذكر أعرابيّ امرأة ، فقال: خلوتُ بها ليلةً يُريفيها القمر، فلما غاب أرَتْنيه ، قلت له : فما جرى بينكما؟ فقال: أقربُ ما أحلّ الله مما حرّم ، الإشارةُ بغير باس ، والتقرّب من غير مَساس .

•

وذكر أعرابيّ امرأة ، فقال : هي أحسنُ من السماء ، وأطيبُ من الماء .

•

قال : وسمعتُ أعرابياً يقول : ما أشدّ جَولة الرأي عند الهوى ، وفِطامَ النفس عن الصِّبا ، ولقد تقطعتْ كَبدي للعاشقين ، لَلومُ العاذلين قِرَطة[2] في آذانهم ، ولَوْعات الحُبّ حِبَرات[3] على أبدانهم ، مع دُموع على المغاني ، كغُروب السّواني[4] .

•

١ زج : دقيقة .

٢ قرطة ، واحدها قرط : ما يعلّق في شحمة الاذن من درة ونحوها .

٣ حبرات ، واحدتها حبرة : ضرب من برود اليمن ، وملاءة سوداء .

٤ الغروب ، واحدها غرب : الدلو . السواني ، واحدتها سانية: ما سقي عليه من بعير وغيره .

وذكر أعرابي امرأة، فقال: لقد نعِمَتْ عينٌ نظرت اليها، وشقيَ قلبٌ تفجّع عليها، ولقد كنتُ أزورها عند أهلها، فيرحّب بي طرْفُها، ويتجهّمني لِسانُها؛ قيل له: فما بلغَ من حبّك لها؟ قال: إني لذاكرٌ لها وبيني وبينها عَدْوة الطائر، فأجد لذِكرها ريحَ المِسْك.

•

وذكر أعرابيّ نِسوة خَرَجنَ متنزّهات، فقال: وجوه كالدّنانير، وأعناق كأعناق اليَعافير[1]، وأوساط كأوساط الزّنابير، أقبلن الينا بحُجول[2] تَخفِق، وأوشحة تَقلَق، فكم من أسير لهنّ وكم مُطلَق.

•

قال: وسمعتُ أعرابياً يقول: أتبعتُ فلانة الى طرابُلس الشام، والحَريص جاهِد، والمُضِلّ ناشِد، ولو خُضْت اليها النار ما ألِمْتُها.

•

قال: وسمعتُ اعرابياً يقول: الهَوى هَوان، ولكن غُلط

---

١ اليعافير، واحدها يعفور: الغزال.

٢ الحجول، واحدها حجل: الخلخال.

باسمه ، وإنما يَعْرِف ما أقول مَن أبْكَتْه المنازلُ والطُّلول .

•

وقال أعرابيّ : كنت في شبابي أعَضّ على الملامِ عَضّ الجواد على اللّجام ، حتى أخذ الشّيْب بعنان شبابي .

•

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : إنّ لِساني بذِكرها لذَلول، وإنّ حبّها لقلبي لقَتُول ، وإنّ قصير اللّيل بها ليَطول .

•

وصَف أعرابيّ نساءً ببلاغة وجمال، فقال : كلامُهنّ أقتلُ من النّبْل، وأوقع بالقلْب من الوَبل بالمَحل، وفروعهنّ أحسن من فروع النّخل .

•

ونَظر أعرابيّ الى امرأة حَسناء جميلة تُسمّى ذَلْفاء ، ومعها صبيّ يَبكي وكلما بكى قبّلته ، فأنشأ يقول :

يا لَيتَني كنتُ صَبيّاً مُرْضَعا ،
تَحْمِلُني الذّلْفاءُ حَولاً أكْتَعا[1]

---

١ الأكتع : التام .

إذا بَكَيْتُ قَبَّلَتْني أَرْبعا ،
فلا أزال الدَّهرَ أبْكي أجْمَعا

•

وأنشد أبو الحسن عليُّ بن عبد العزيز بمكة لأعرابي :

جاريةٌ في سَفَوانَ دارُها ،
تَمْشي الهُوَيْنى مائلاً خِمارُها[1]

قد أعْصَرَت، أو قد دنا إعْصارُها،
يَطيرُ من غُلْمَتِها إزارُها[2]

•

العُتْبي قال : وصف أعرابيٌّ امرأةً حَسْناء ، فقال : تَبْسم عن حُمْش اللِّثات[3] كأقاحي النَّبات ، فالسعيدُ مَن ذاقه ، والشقيُّ مَن أراقه .

•

وقال العُتْبيّ : خرجتُ ليلةً حين انحدرت النجومُ ، وشالت

---

١ سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .
٢ المعصر : التي قد بلغت عصر شبابها وأدركت . الغلمة : الشهوة .
٣ لثة حمشة : حسنة دقيقة .

أَرْجلها ، فما زِلْتُ أصدع الليلَ حتى انصدع الفجرُ ، فإذا بجارية كأنّها عَلَمٌ ، فجعلتُ أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أما لك ناهٍ من كرَم إنْ لم يكن لك زاجرٌ من عَقل ؟ قلت : والله ما يرانا إلا الكواكبُ ؛ قالت : فأين مُكَوِّكبها ؟

•

ذكر أعرابيٌّ امرأة ، فقال : هي السُّقم الذي لا بُرْء منه ، والبُرْء الذي لا سُقم معه ، وهي أقربُ من الحشى ، وأبعد من السَّما .

•

قال أعرابيٌّ وقد نظر الى جارية بالبَصرة في مأتم :

وَبصْرِيةٍ ، لم تُبْصر العينُ مِثلَها ،
غَدَتْ بِبَياضٍ في ثِيابِ سَوادِ

غَدَوْتِ إلى الصَّحراء تَبْكينَ هالكاً ،
فأَهْلكتِ حيّاً كُنْتِ أشأمَ عادِ

فيا رَبِّ خُذْ لي رَحْمَةً من فُؤادِها ،
وحُلْ بين عَيْنَيها وبين فُؤادي

وقال في جارية وَدَّعها :

مالتْ تُوَدّعني والدمعُ يَغلبها،
كما يَميلُ نَسيمُ الرّيحِ بالغُصُنِ

ثم استمرّت، وقالت، وهي باكيةٌ:
يا ليتَ مَعرفتي إياكَ لم تكُنِ

•

العُتْبي قال: أنشد أعرابيّ:

يا زينَ من وَلدتْ حوّاءُ من وَلدٍ،
لولاكَ لم تَحْسُنِ الدُّنيا ولم تَطِبِ

أنتِ التي مَن أراه اللهُ رُؤيتَها
نالَ الخُلودَ، فلم يَهْرَمْ ولم يَشِبِ

•

وأنشد الرّياشيّ لأعرابي:

من دِمنةٍ خُلقتْ عيناكَ في هَتَنٍ،
فما يَرُدّ البُكا جهْلاً على الدّمَنِ[1]

ما كُنتِ للقَلبِ إلا فِتنةً عَرَضتْ؛
يا حبّذا أنتِ من مَعروضةِ الفِتَنِ!

---

[1] يقول: أمن اهل دمنة بكت عيناك، وماذا يفيد البكاء على الدمن؟

تُسيءُ مَعلَمي، وأجزيها به حَسَناً،
فَمَنْ سِوايَ يُجازي السُّوءَ بالحَسَنِ؟

•

قال: وسمعتُ أعرابياً يصف امرأة، فقال: بيضاء جَعْدَة[1]، لا يَمَسّ الثوب منها إلا مُشاشَةَ[2] كتفيها، وحَلَمَةَ ثَدْيِيها، ورَضْفَتَي[3] رُكبتيها، ورانفتَي[4] ألْيَتيها، وأنشد:

أبت الرَّوادفُ والثُّديّ لقُمْصِها
مَسَّ البُطون، وأن تَمَسّ ظُهورا

وإذا الرِّياح مع العَشيّ تَناوحت،
نَبّهْنَ حاسدةً وهِجْنَ غَيُورا[5]

•

وقال أعرابيّ: ليت فُلانةَ حَظّي من أمَلي، ولرُبّ يوم

---

١ جعدة : غير مسترخية ولا مضطربة .
٢ المشاشة : رأس العظم الممكن المضغ .
٣ الرضفة ، واحدة الرضف : عظام في الركبة كالانامل المضمومة .
٤ الرانفة : الاسفل .
٥ تناوحت : اشتد هبوبها .

سِرْتُه اليها حتى قَبَض الليلُ بَصري دونها ، وإنّ من كلام النّساء ما يقوم مَقام الماء ، فيَشفي من الظمأ .

•

وذكر أعرابيّ امرأة، فقال: تلك شَمْس باهتْ بها الأرض شمسَ سمائها ، وليس لي شفيع في اقتضائها ، وإنّ نفسي لكَتُومٌ لدائها ، ولكنها تَفيض عند امتلائها .

أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شَمْسَ أرْضِيها التي تمّ نُورها ،
فباهت بها الأرَضُون شَمْسَ سمائِها

شكَوْتُ، وما الشكوى لمثليَ عادةٌ،
ولكنْ تَفيضُ النفسُ عند امتلائها

•

وقال أعرابيّ :

شكَوْتُ ، فقالت : كلّ هذا تَبرُّماً
بحُبّي ، أراح الله قَلبَك من حُبّي

فلما كتمتُ الحُبّ قالت : لَشَدّما
صَبَرْتَ، وما هذا بِفِعْلِ شَجِي القَلْب

وأدنو فتقصيني ، فأبعد طالباً
رضاها ، فتعتدّ التباعد من ذنبي

فشكواي تؤذيها وصبري يسوءها،
وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

فيا قوم ، هل من حيلة تعلمونها
أشيروا بها،واستوجبوا الشكر من ربّي؟

•

قولهم في الخيل

الأصمعيّ قال : سمعتُ أعرابياً يقول : خرجَتْ علينا خيلٌ مُستَطيرة النّقع ، كأنّ هواديَها[1] أعلام ، وآذانها أطرافُ أقلام ، وفرْسانها أُسُود آجام .

أخذ هذا المعنى عديّ بن الرّقاع فقال :

يخرُجْن من فُرُجات النّقْع دامية ،
كأنّ آذانها أطرافُ أقلامِ

•

وقال أعرابيّ : خرجْنا حُفاة حين انتعل كلُّ شيء بظلّه ، وما زادُنا إلا التوكل ، ولا مطايانا إلا الأرجل ، حتى لَحِقنا القوم .

•

وذكر أعرابيّ فرَساً وسُرْعته ، فقال : لما خرجت الخيلُ

---

١ هواديها : أعناقها .

أقبل شيْطانٌ في أشْطان، فلما أرْسِلت لمَعَ لمْعَ البرْق، فكان أقربَها اليه الذي تقع عَينه عليه .

•

وقال أعرابيٌّ في فرَس الأعور السُّلَميّ :

مرْ كلَمْعِ البَرْق سامٍ ناظرُه ،
تسْبَحُ أولاه ويَطْفو آخِرُه
فما يَمَسُّ الأرْضَ منه حافِرُه

•

سُئل أعرابيٌّ عن سوابـق الخيل ، فقال : الذي إذا مشى رَدى[1] ، وإذا عدا دَحا[2] ، وإذا استُقبل أقعى ، وإذا استُدبر جَبّى[3] ، وإذا اعتُرض استوى .

•

وذكر أعرابيٌّ خيلًا ، فقال : والله ما انحدرتْ في وادٍ إلا ملأتْ بَطنه ، ولا رَكِبتْ بطْن جَبل إلا أسْهلتْ حَزنه .

•

---

١ ردى : رجم الارض بحوافره .
٢ دحا : رمى في سيره يديه لا يرفع سنبكه عن الأرض .
٣ جبى : انكب على وجهه .

وقال أعرابيّ : خَرجتُ على فرس يختال اختيـــال ابن العشرين ، تَسوف للحِزام[1] ، مُهارش للجام ، فما مَتع[2] النهار حتى أمتعنا برفّ[3] ورَفاهة[4] .

١ تسوف للحزام : اي يملأ الحزام باتساع جنبيه .
٢ متع : ارتفع .
٣ الرف : النضارة ، أراد متعنا بمكان نضر النبت .
٤ الرفاهة : طيب العيش ، واراد هنا الخصب .

قولهم في الغيث

الأصمعيّ قال: قلتُ لأعرابيّ: أي الناس أوْصفُ للغَيث؟ قال: الذي يقول، يعني امرأ القيس:

دِيَمةٌ هَطْلاء فيها وَطَفٌ
طَبَّقَ الأرْضَ تَحَرّى وتَدِرّ[1]

قلتُ: فَبعده مَن؟ قال: الذي يقول، يعني عَبيد بن الأبْرص:

يا مَنْ لِبَرْق، أَبِيتُ الليلَ أرْقُبُه
في عارضٍ مُكْفَهِرّ المُزْنِ، دَلّاحِ[2]
دانٍ مُسِفّ فُوَيْقَ الأرْض هَيْدَبُه،
يكادُ يَدْفَعه مَن قام بالرّاح[3]

•

---

١ الوطف: استرخاء الجوانب من كثرة الماء. طبّق الأرض: غشاها. تحرى، اي تتحرى: تتوخى وتعمد.

٢ دلاح: مثقل بمائه.

٣ الهيدب من السحاب: المتدلي الذي يدنو من الأرض.

ودخل أعرابيّ على سُليمان بن عبد الملك، فقال له: أصابتكَ سماءٌ في وجهك يا أعرابيّ؟

قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، غيرَ أنها سَحابة طَخياء[1] وطَخفاء، كأنّ هواديَها الدّلاء، مُرجَحِنّة[2] النّواحي، موصولة بالآكام، تمسّ هامَ الرّجال، كثيرٌ زجَلها، قاصفٌ رعدُها، خاطفٌ بَرقها، حَثيث وَدْقها[3]، بطيءٌ سيرها، مُنفجر قَطْرُها، مُظلم نَوؤها، قد ألجأت الوحشَ إلى أوطانها، تَبحث عن أصولها بأظلافها، مُتجمّعة بعد شتاتها، فلولا اعتصامُنا يا أميرَ المؤمنين بعِضاه الشّجر، وتعلُّقنا بقُنن الجبال، لكُنّا جُفاء[4] في بَعض الأودية ولَقَم الطّريق[5]، فأطال الله للأمّة بقاءك، ونَسأ لها في أجَلك، فهذا ببركتك، وعادة الله بك على رعيّتك، وصلى الله على سيدنا محمد.

فقال سُليمان: لَعَمْرُ أبيك، لئن كانت بديهةً لقد أحسنت، وإن كانت مُحبّرة لقد أجدت.

---

١ طخياء: مظلمة.
٢ المرجحنة: الثقيلة.
٣ الودق: المطر.
٤ الجفاء: ما يقذفه السيل من الزبد والوسخ.
٥ لقم الطريق: وسطه ومنفرجه.

قال : بل مجبّرة مُزوّرة يا أمير المؤمنين .

قال: يا غلام، أعطه، فوالله لصِدقُه أعجبُ الينا من وصفه.

•

قيل لأعرابيّ : أيّ الألوان أحسن ؟ قال : قصور بيض في حدائق خُضر . وقيل لآخر : أيّ الألوان أحسن ؟ قال : بيْضة[1] في رَوضة عن غِبّ سارية والشمسُ مُكبّدة[2] .

•

وقال أعرابيّ : لقد رأيتُ بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الرّبيع ، فهي تَروع ، واللاّبس لها أروع .

•

العُتبي قال : سَمِعتُ أعرابياً يقول: مَررت ببلدة ألقى بها الصّيّفُ بَعاعه[3] ، فأظهر غديراً يَقصُر الطرفُ عن أرجائه ، وقد نَفت الريحُ القَذى عن مائه ، فكأنه سَلاسل دِرع ذاتِ فُضُول .

•

---

١ يريد بيضة نهار : اي بياضه .
٢ مكبدة : متوسطة السماء.
٣ الصّيّف : مطر الصيف . بعاعه : اي ما يحمله من الماء.

وأنشد أبو عثمان الجاحظ لأعرابيّ :

أينَ إخوانُنا على السّرّاء ،
أين أهلُ القِباب والدّهْناء؟[1]

جاورُونا والأرضُ مُلبَسةٌ
نَوْرَ الأقاحي، يُجاد بالأنْواء

كلّ يوم بأقحُوان جديد ،
تَضحكُ الأرضُ من بُكاء السّماء

•

قال ابنُ عِمران المخزومي: أتيتُ مع أبي والياً على المدينة من قُرَيش وعنده أعرابيّ يقال له ابن مُطَيْر، وإذا مطرٌ جود، فقال له الوالي : صِفْه ؛ فقال : دَعني أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم نزل فقال :

كثُرَتْ لِكثرة وَدْقِه أطْباؤه ،
فإذا تحلّبَ فاضَتِ الأطْباء[2]

---

١ القباب والدهناء : موضعان .
٢ الودق : المطر . الأطباء : الفروع .

٨

ولهُ رَبابٌ هَيْدَبٌ، لرفيقِهِ،
قبلَ التَّبَعُّقِ، دِيمةٌ وَطفاءُ[1]

وكأنَّ بارقَهُ حَريقٌ تلتقي
ريحٌ عليهِ، وعَرْفَجٌ، وألاءُ[2]

وكأنَّ رَيِّقَهُ، ولمّا يَحْتَفِلْ
دونَ السّماءِ، عَجاجةٌ طَخياءُ[3]

مُستَضحِكٌ بِلوامعٍ، مُستَعْبِرٌ
بمدامعٍ، لم تَمْرِها الأقذاءُ

فلهُ، بلا حَزَنٍ ولا بمَسَرّةٍ،
ضَحِكٌ يُؤلّفُ بينَهُ، وبُكاءُ

حَيْرانُ مُتّبعٌ صَباهُ، تقودُهُ،
وجَنُوبُهُ، كَفّتْ لهُ وَرْهاءُ[4]

---

١ الرباب : السحاب الذي فوقه سحاب . التبعق : التصبب بشدة . الديمة : المطر الذي ليس معه رعد ولا برق . وطفاء : قد تدلت ذيولها لكثرة مائها .
٢ العرفج : نبت سهلي سريع الاتقاد . الألاء : شجر حسن المنظر مر الطعم .
٣ الريق : أول المطر . العجاجة : القطعة من الغبار تثيرها الرياح .
٤ ورهاء : ريح في هبوبها عجرفة .

ثَقُلَتْ كُلاهُ، فَبُهِّرَتْ أصْلابُه،
وتَبَعَّجَتْ، عن مائه، الأحْشاءُ[1]

غَدَقٌ تَبَعَّجَ بالأباطِحِ، مُزِّقَتْ
تلكَ السُّيُولُ، وما لها أشْلاءُ

غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ، دوالحُ، ضُمِّنَتْ
حَمْلَ اللِّقاحِ، وكُلُّها عَذراءُ[2]

سُحْمٌ، فَهُنَّ، إذا عَبَسْنَ، فَواحِمٌ
سُودٌ، وهُنَّ، إذا ضَحِكْنَ، وِضاءُ[3]

لو كانَ مِن لُجَجِ السَّواحل ماؤه،
لم يَبْقَ في لُجَجِ السَّواحل ماءُ

•

قال هِشام بنُ عبد الملك لأعرابي: اخرُج فانظر كيف ترى السَّحاب؛ فخَرَج فنَظر، ثم انصرف فقال: سَفائِن وإن اجتمعن بَعَعْن[4].

---

١ الكُلى، واحدتها كلية، وكلية السحابة: أسفلها. بهرت: غلبت. تبعجت: انفرجت.
٢ دوالح: مثقلة بالماء.
٣ سحم: سود.
٤ بع: صب.

قولهم في البلاغة والايجاز

قيل لأعرابيّ : مَن أبلغُ الناس ؟ قال : أحسنُهم لفظاً وأسرعُهم بديهة .

•

الأصمعيّ قال : خطبَ رجلٌ في نِكاح فأكثرَ وطوّل ؛ فقيل : مَن يُجيبه ؟ فقال أعرابيّ : أنا ؛ قيل له : أنت وذاك ؛ فالتفت إلى الخاطب ، فقال : إني والله ما أنا من تخطيطك وتمطيطك[1] في شيء ، قد مَتتّ بحُرمة ، وذكرت حقّاً وعظّمت مَرجوّاً ، فحبلُك موصول ، وفرضُك مقبول ، وأنت لها كُفء كريم ، وقد أنكحناك وسلّمنا .

•

وتكلم ربيعةُ الرأي يوماً فأكثر ، فكأنّ العُجْب داخله

---

١ التخطيط والتمطيط : اراد ترويق الكلام واطالته .

وأعرابيّ الى جَنبه ، فأقبل على الأعرابيّ ، فقال : ما تَعُدُّون البلاغة يا أعرابيّ ؟

قال : قِلّةُ الكلام وإيجاز الصَّواب .

قال : فما تعُدُّون العيّ ؟

قال : ما كُنتَ فيه منذُ اليوم؛ فكأنما ألقمه حجراً .

•

شبيب بن شَيبة قال: لقيتُ أعرابياً في طريق مكة، فقال لي : تكتب ؟

قلتُ : نعم .

قال : ومعك دواة ؟

قلت : نعم .

فأخرج قطعةَ جِراب من كُمّه ، ثم قال : اكتب ولا تَزد حرْفاً ولا تَنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عُقيل الطائي لأمَته لؤلؤة: إنّي أعتقك لوجه الله واقتحام العَقبة، فلا سبيل لي ولا لأحد عليك إلا سبيلُ الوَلاء، والمنّة عليّ وعليك من الله وحدَه ، ونحن في الحقّ سواء .

ثم قال : اكتب شهادتك .

•

رُوي أنّ أعرابيّـاً حضرَ مجلس ابن عبّاس فسَمع عنـده قارئاً يَقرأ : « وكُنتم عَلى شَفا حُفرَة مِن النّـار فأنقذَكم مِنها.» فقال الأعرابيّ: والله ما أنقذكم منها وهو يَرجِعكم اليها. فقال ابن عبّاس : خُذوها من غير فقيه .

•

قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه

قيل لأعرابيّ : ما لك لا تُطيل الهجاء؟ قال : يَكفيك من القِلادة ما أحاط بالعُنق .

•

وقيل لأعرابيّ : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : عُمْر ليلة وأديم يوم .

وقال آخر : سواد ليلة وبَياض يوم .

•

وقيل لأعرابيّ : كيف كِتمانك للسرّ ؟ قال : ما صَدري له إلا قَبر .

•

قال مُعاوية لأعرابيّة : هل من قِرًى ؟ قالت : نعم ؛ قال : وما هو ؟ قالت : خُبز خَمير ، ولبن فَطير ، وماء نَمير .

•

وقيل لاعرابيّ : فيمَ كنتم ؟ قال : كُنّا بين قِدر تفور ، وكأس تَدور ، وحديث لا يحور[1] .

•

وقيل لأعرابيّ : ما أعددتَ للبرد ؟ قال : شِدّة الرّعدة ، وقُرفُصاء القِعدة ، وذرَب المِعْدة .

•

وقيل لأعرابيّ : ما لـك من الولد ؟ قال : قليل خَبيث ؛ قيل له : ما مَعناه ؟ قال : إنه لا أقلّ من واحد ، ولا أخْبث من أنثى .

•

وقال: أضلّ أعرابيّ الطريق ليلاً، فلما طلع القمرُ اهتدى، فرَفع رأسه اليه متشكّراً ، فقال : ما أدري ما أقول لك وما أقول فيك ؟ أقول : رَفعك الله ، فقـد رفعك ، أم أقول : نوّرك الله ، فقد نورك ، أم أقول : حَسّنك الله، فقد حَسنك، أم أقول : عَمّرك الله ، فقد عمّرك ، ولكنّي أقول : جعلني الله فداك .

•

---

١ يحور : يعود .

وقيل لأعرابيّ : ما تقول في ابن العم ؟ قال : عَدوّك وعدوّ عدوّك .

•

وقيل لأعرابيّ ، وقد أدخل ناقته في السُّوق ليبيعَها: صِف لنا ناقتك، قال: ما طَلبتُ عليها قطّ إلا أدركت، وما طُلبتُ إلا فُتّ ؛ قيل له : فلِمَ تَبيعها ؟ قال : لقول الشاعر :

وقد تُخرِج الحاجاتُ ، يا أمّ عامرٍ ،
كرائمَ من رَبٍّ بهنّ ضَنينِ

•

وقيل لأعرابيّ : كيف ابنك ؟ — وكان له عاقاً — قال : عذابٌ لا يقاومه الصّبر ، وفائدة لا يجب فيها الشُّكر ، فليتني قد استودعته القَبر .

•

قيل لشُريح القاضي : هل كلّمك أحد قطّ فلم تطِق له جواباً ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكونَ أعرابيّاً خاصمَ عندي، وجعل يُشير بيديه ، فقلت له : أمْسك فإن لِسانَك أطولُ من يدك ؛ قال :

أسامريٌّ أنتَ لا تُمَسُّ؟

•

وقيل لأعرابيّ : ما عِندكم في البادية طَبيب ؟ قال : حُمر الوحش لا تحتاج الى بَيطار .

•

وقال أعرابيّ يَصف خاتماً : سُيِّف[1] تَدوير حلقتــه ، ودُوِّر كُرسي فِضتّه[2]، وأحكم تَرْكيبه، وأُتقِنَ تدبيرُه، فبه يتمّ المُلك ، ويَنفُـذ الأمر ، ويَكرُم الكِتـاب ، ويَشْرف المكتوب اليه .

•

وقال آخر يَصف خاتَماً :

وأبْيَضَ أمّا جِسْمُهُ فمنوَّرٌ ،
نَقيٌّ ، وأمـا رأسُهُ فَمُعـارُ

ولم يُكْتَسَب إلا لتَسكن وَسْطه
بديعة رأسٍ ، ما عليه خِمار[3]

لها أخَواتٌ أرْبعٌ ، هُنّ مثلُها ،
ولكنّها الصُّغرى وهُنّ كِبار

---

١ التسييف : تنقية الجوانب من النقش .
٢ القضة : الحصاة الصغيرة، واراد القطعة الصغيرة من الحجارة الكريمة التي يجمل بها الخاتم .
٣ اراد ببديعة الرأس : الاصبع .

قولهم في المناكح

يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعيّ قال : تَزَوَّج رجلٌ من الأعراب امرأةً جديدة على امرأة قديمة، وكانت جارية الجديدة تمرّ على باب القديمة فتقول :

وما تَستوي الرِّجْلان: رِجْلٌ صحيحة،
ورِجْلٌ رَمى فيها الزمانُ فَشَلَّتِ

ثم مرّت بعد أيام فقالت :

وما يَستوي الثَّوبان : ثوبٌ به البِلى ،
وثوبٌ بأيْدي البائعين جَديدُ

فخرجت اليها جاريةُ القديمة فقالت :

نَقِّلْ فُؤادك حيثُ شِئْتَ من الهوى،
ما الحبُّ إلاّ لِلحَبيبِ الأوَّلِ

كم مَنْزِلٍ في الأرْضِ يألَفُه الفتى ،
وحَنِينُه أبداً لأوَّلِ مَنْزِلِ

•

الأصمعيّ قال : أخبرني أعرابيّ قال : خَطَبَ منا رجلٌ مَغْموز امرأةً مَغموزة فزَوّجوه ، فقال رجل لوليّ المرأة : تعمّم لكم فلان فزوجتموه ؛ فقال : ما تعمّم لنا حتى تبرْقعنا له.

•

أبو حاتم عن الأصمعي قال : قالت أعرابيّة لبنات عمّ لها : السعيدةُ منكنّ يتزوّجها ابنُ عمّها ، فيمْهرها بتَيسين وكلبَين وعَيرين ورَحَيين فينَبّ التّيسان، ويَنهق العَيران ، وينبَح الكلْبان، وتدور الرّحَيان، فيَمجّ الوادي ، والشقيّة منكنّ من يتزوّجها الحضَريّ ، فيكسوها الحريرَ، ويُطْعمها الخمير، ويَحْمِلها ليلة الزفاف على عود ، تعني سَرْجاً .

•

وقيل لأعرابيّ : كيف حُبّك لزَوجتك ؟ قال: ربما كنتُ معها ، فمدّت يدهـا الى صدري ، فوَدِدْتُ والله أن آجُرّةً خرّت من السّقف فقدّت يدها وضِلعين من أضْلاع صَدري ؛ ثم أنشأ يقول :

لقد كنتُ مُحتاجاً إلى موت زَوجتي،
ولكنْ قرينُ السّوء باقٍ مُعمّرُ

فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً،
وعذّبها فيه نكيرٌ ومُنْكَر

•

وتزوّج أعرابيّ امرأة فطالت صُحبتها له فتغيّر لها، وقد طعَنَت في السنّ ، فقالت له : ألم تَكن تُرضي إذا غَضِبْتُ، وتُعتِب إذا عَتَبتُ، وتَشفق إذا أبيتُ، فما بالُك الآن ؟ قال : ذهب الذي كان يُصلح بيننا .

•

الأصمعيّ قال : كنتُ أختلف إلى أعرابيّ أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنتُ عليه يقول : يا أمامة، ائذني له، فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مراراً فلم أسمعه يذكر أمامة، فقلت له : يَرحمك الله ، ما أسمعك تَذكر أمامة منذ حين ؛ قال : فوَجم وَجمة نَدِمتُ معها على ما كان منّي ، ثم قال :

ظَعنت أمامة بالطلاقِ، ونجوتُ من غُلّ الوَثاقِ
بانَتْ ، فلم يَألم لها قلبي ، ولم تَدْمَع مآقي
ودَواءُ ما لا تشتهيه النفسُ تَعجيل الفِراق

والعيشُ ليس يَطيبَ بيـ نَ اثنين ، من غير اتفاق
لو لم أُرَح بفراقهـــا، لأرَحْتُ نفسي بالاِباق

•

الأصمعيّ قال : تزوّج أعرابيّ امرأة فآذته ، وافتدى منها بحمار وجبّة ، فقدم عليه ابن عمّ له من البادية ، فسأله عنها ، فقال :

خَطبْتُ إلى الشّيطان، للحَيْن، بِنْتَه،
فأدْخلها من شِقْوَتي في حِباليا

فأنقَذني منها حِماري وجُبَّتي،
جَزى الله خيراً جُبتي وحِماريا

•

الأصمعي قال : خاصم أعرابيّ امرأته الى زياد ، فشدّد على الأعرابيّ ، فقال : اصلح الله الأمير ، إنّ خير عُمر الرجل آخره ، يَذهب جهلُهُ، ويثوب حِلمه، ويجتمع رأيه ؛ وإن شرّ عُمْر المرأة آخرُه، يَسوء خُلقها، ويحدّ لسانُها، وتعقَم رَحمها. قال له : صدقتَ ، اسفع[1] بيدها .

•

---

[1] اسفع : خذ .

قال : وذكرتْ أعرابية زوجها ، وكان شيخاً ، فقالت : ذهبَ ذفَره[1] ، وبقي بَخره .

•

الأصمعيّ قال : كان أعرابيّ قبيحٌ طويل خطب امرأة ، فقيل له : أيّ ضَرب تريدها ؟ قال : أُريدها قَصيرة جميلة ، فيأتي ولدُها في جمالها وطولي ، فتزوّجها على تلك الصّفة ، فجاء ولدُها في قِصَرها وقُبحه

•

قدم أعرابيّ من طيىء ، فاحتلب لبَناً ثم قعد مع زوجته يَنتجعان ، فقالت له : مَن أنعم عيشاً أنحن أم بنو مروان ؟ فقال لها : بنو مروان أطيبُ منا طعاماً ، إلا أنّا أرْدأ منهم كُسوة ، وهم أظهر منّا نهاراً ، إلاّ أنّا أظهر منهم ليلاً .

•

الأصمعيّ قال : خاصم أعرابيّ امرأته الى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ! قال : خيراً ، أكبّها الله لوجهها ، ولو أُمر بي إلى السجن .

•

---

١ الذفر : شدة ذكاء الريح من طيب .

الأصمعيّ قال : استشارت أعرابية في رجل تتزوّجه، فقيل لها : لا تفعلي فانه وُكَلَة تُكَلَة ، يأكل خَلله . أي يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلّل .

قال أبو حاتم : هو الخُلالة ، ووُكَلة تُكَلة ، إذا كان يكل أمره إلى الناس ويتّكل عليهم .

•

العتبي قال : خطب الى أعرابيّ رجلٌ مُوسِر إحدى ابنتيه، وكان للخاطب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده .

قال أبوها : ولِمَ ؟

قالت: يومٌ عتاب ويومٌ اكتئاب، يَبلى فيما بين ذلك الشباب.

قالت الصغرى : زوّجْنيه .

قال لها : على ما سَمِعتِ من أختك ؟

قالت : نعم ، يومٌ تَزَيُّن ، ويومٌ تسَمُّن ، وقد تَقر فيما بين ذلك الأعيُن .

•

الأصمعيّ قال : رأيتُ امرأة تُرقّص طفلا لها ، وتقول :

أحِبُّه حُبّ الشّحيح ماله ،
قد كان ذاق الفقر ثم ناله
إذا أراد بَذْلَه بدا له

•

الأصمعيّ قال: قال أعرابيّ في امرأة تزوّجها، وقد تزوّجت قبله خمسةً، وتزوّج هو قبلها أربعاً، فلاحَته[1] يوماً، فقال فيها:

لو لابس الشيطانُ ما أُلابِسُ،
أو مارس الغُولَ التي أُمارسُ

لأصبح الشيطانُ، وهو عابسُ،
زَوّجها أربعةٌ عمارِس[2]

فانْقَلَتوا منها، ومات الخامسُ،
وساقني الحَيْنُ فهانا السّادس[3]

وقال فيها:

بُوَيْزِلُ أعوام أذاعتْ بخمسة
وتَعْتَدُّني، إن لم يَقِ الله، ساديا[4]

---

١ لاحته: نازعته.
٢ زوجها: أي تزوجها. عمارس، واحدها عمروس: الجمل. يريد أربعة مكتملي الشباب أقوياء.
٣ هانا: أي ها أنا
٤ اراد ببويزل أعوام: انها عجوز مسنة. والبويزل تصغير بازل، وهي من النوق ما استكملت الثامنة وطعنت في التاسعة. اذاعت: اهلكت. سادياً: اي سادساً بدل من السين ياء.

ومِنْ قَبْلِها غَيَّبْتُ في التُّرب أرْبعاً،
وأعْتَدُّها ، مُذْ جِئْتُها ، في رَجائيا

كِلانا مُطِلٌّ ، مُشْرِفٌ لِغَنيمة،
يَراها ، ويَقْضي الله ما كان قاضيا

•

وقال أعرابيّ :

أشْكو إلى الله عِيالاً دَرْدَقا ،
مُقَرْقَمِين ، وعَجوزاً شَمْلَقا

الدَّرْدَق: الصِّغار. والمُقَرْقَم: البطيء الشَّباب. والشَّملق: السيئة الخُلق .

•

قولهم في الاعراب

الأصمعيّ قال : قلت لاعرابيّ : أتَهْمِز إسرائيل ؟ قال : إنّي إذاً لرجلُ سَوء ؛ قلت له : أفتجرُّ فلسْطين ؟ قال : إني إذاً لقويّ .

•

وسمع أعرابيّ أبا المكنون النّحويّ ، وهو يقول في دُعائه يَسْتَسقي : اللهم ربّنا وإلهنا وسيدنا ومولانا ، فصلّ على محمد نبيّنا ، ومَن أراد بنا سوءاً فأحِط ذلك السُّوء به كإحاطة القلائد بأعناق الوَلائد، ثم أرْسِخه على هامته كرُسوخ السّجّيل[1] على هام أصحاب الفيل، اللهم اسْقنا غَيْثاً مريثاً مَريعاً مُجلجلاً[2] مُسْحنفراً[3] هَزِجاً[4] سَحّاً سَفوحاً طَبقاً[5] غَدقاً[6] مُثْعَنجراً[7]

---

١ السجيل : حجارة كالمدر ، الطين العالك .
٢ المريع : الذي يخصب . المجلجل : الذي فيه صوت الرعد .
٣ المسحنفر : الكثير الصب .
٤ الهزج : المصوّت .
٥ طبقاً : عاماً .
٦ غدقاً : كثيراً .
٧ المثعنجر : الجاري الذي يملأ الأرض .

صخباً نافعاً لعامّتنا وغيرَ ضارّ بخاصّتنا . فقـال الأعرابيّ : يا خليفة نوح ، هذا الطّوفان وربّ الكعبة ، دَعني حتى آوي إلى جبل يَعصمني من الماء .

•

الأصمعيّ قال : أصابت الأرضَ مَجاعةٌ ، فلقيت رجلاً منهم خارجاً من الصّحراء كأنه جِذع مُحْترق ، فقلت له : أتقرأ من كتاب الله شيئاً ؟ قال : لا . قلت : فأعلّمك ؟ قال : ما شئتَ . قلت : اقرأ : « قُلْ يا أيُّها الكافِرُون . » قال : كُلْ يا أيها الكافرون . قلت : « قُل يا أيها الكافرون » كما أقول لك . قال : ما أجد لساني يَنطلق بذلك .

•

قال : ورأيتُ أعرابياً ومعه بُنيّ له صَغير يُمْسك بفم قِربة وقد خاف أن تَغلبه القِربةُ ، فصاح : يا أبتِ ، أدْرِك فاها ، غَلبَني فُوها ، لا طاقة لي بفيها .

•

قولهم في الدين

قال أعرابيّ : الدَّين ُذلٌّ بالنهار ، وهمٌّ بالليل .

•

وقال أعرابيّ في ُغرَماء له يَطلبونه بدَين :

جاؤوا إليّ غِضاباً يَلْغَطون معاً ، فقلتُ : مَوْعدُكم دارُ ابنِ هَبّار
وما أُواعدُهم إلا لأَدْرأَهم عنّي ، فَيُخرِجني نَقْضي وإمْراري[1]
وما جَلبتُ إليهم غيرَ راحلة تَخْدي بِرَحْلي، وسيفٍ جَفْنُه عاري[2]
إنّ القضاء سَيأْتي دُونه زمن ، فاطْوِ الصّحيفة واحفَظها من النّار

•

الأصمعيّ قال: كان لرجل مِن يَحْصُب على رجل من باهِلة دَين ، فلما حَلّ دَينُه هَرب الأعرابيّ ، وأنشأ يقول :

---

١ ادرأهم : أدفعهم . نقضي : حلي . امراري : عقدي .
٢ تخدي : تسرع .

إذا حلَّ دَيْنُ اليَحْصُبيِّ ، فَقُلْ له:
تَزَوَّدْ بِزَادٍ ، واسْتَعِنْ بدَليلِ
سَيُصْبِحُ فَوْقي أقتَمُ الرِّيش واقعاً
بقالي قَلا ، أو من وراء دَبيل[1]

الأصمعيّ قال : فأخبرني رجلٌ أنه رآه مَقتولاً بقالي قلا وعليه نَسْر أقتَم الرِّيش .

•

الأصمعيّ قال : اختصمَ أعرابيّان إلى بعض الوُلاة في دَين لأحدهما على صاحبه، فجعل المُدَّعى عليه يحلف بالطَّلاق والعِتاق. فقال له المُدَّعي: دَعني من هذه الأيمان، واحلف بما أقول لك: لا تَرك الله لك خُفّاً يتبع خُفّاً ، ولا ظِلْفاً يتبع ظِلفاً ، وحَتَّك من أهلك حتَّ الوَرَق من الشَّجر ، إن لم يكن لي هذا الحقّ قِبلك . فأعطاه حَقّه ولم يَحْلف له .

•

الهيثم بن عَديّ قال : يمين لا يَحلِف بها أعرابيّ أبداً : لا اورَد الله لك صادرة ، ولا أصْدر لك واردة ، ولا حطَطْتَ رَحْلك ، ولا خَلَعتَ نعلَك .

---

١ قالي قلا ودبيل : مدينتان بأرمينية .

قولهم في النوادر والملح

الشيباني قال : خرج أبو العبّاس أميرُ المؤمنين مُتنزّهاً بالأنبار فأمعن في نُزهته وانتبذ من أصحابه ، فوافى خِباءً لأعرابيّ ، فقال له الأعرابيّ : ممّن الرجل ؟

قال : من كِنانة .

قال : من أيّ كنانة ؟

قال . مِن أبغض كنانة الى كنانة .

قال : فأنت إذاً من قريش ؟

قال : نعم .

قال : فمن أيّ قُريش ؟

قال : من أبغض قريش الى قريش .

قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ؟

قال : نعم .

قال : فمن أي ولد عبد المطلب ؟

قال : من أبغض ولد عبد المطلب الى عبد المطلب .

قال : فأنت إذاً أمير المؤمنين ، ووثب اليه . فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

•

الشَّيباني قال : خرج الحجّاج مُتصيِّداً بالمدينة فوقف على أعرابيّ يرعى إبلاً له ، فقال له : يا أعرابيّ ، كيف رأيت سِيرة أميركم الحجّاج ؟

قال له الأعرابيّ : غَشوم ظلوم ، لا حيّاه الله .

فقال : فلِم لا شكوتموه الى أمير المؤمنين عبد الملك ؟

قال : فأظلم وأغشم .

فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيلُ ، فأومأ الحجّاج الى الأعرابيّ ، فأخذ وحُمل ، فلما صار معهم ، قال : مَن هذا ؟

قالوا له : الحجّاج .

فحرّك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجّاج .

قال : ما تشاء يا أعرابيّ ؟

قال : السرُّ الذي بيني وبينك أحِبُّ أن يكون مكتوماً.

قال : فضحك الحجّاج ، وأمر بتخلية سَبيله .

•

الأصمعيّ قال : ولّى يُوسُف بن عُمر صاحبُ العراق

أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدوّ الله ، أكلتَ مال الله .

قال الأعرابيّ : فمالَ من آكُل إذا لم آكُل مال الله ؟ لقد راودتُ إبليس أن يُعطيني فلْساً واحداً فما فعَل .

فضحك منه وخلّى سبيله .

•

الشّيبانيّ قال: نزل عبدُ الله بن جعفر الى خيمة أعرابيّة ولها دجاجة وقد دجَنَت عندها ، فذَبحتها وجاءت بها اليه ، فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لي كنت أدجنها وأعْلفها من قوتي ، وألمسها في آناء الليل ، فكأنما ألمَس بنْتي زلَّت عن كَبدي ، فنَذرتُ لله أن أدفِنها في أكرم بُقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بَطنك ، فأردت أن أدْفِنها فيه .

فضحِك عبدُ الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة دِرهم.

•

ونظر اعرابيّ الى قوم يلتمسون هِلالَ شهر رَمضان ، فقال : والله لئن أريتموه لتُمسكُنّ منه بذِناب[1] عَيش أغبر .

•

---

١ ذناب كل شيء : عقبه ومؤخره .

ونظر أعرابيّ الى رجل سَمين ، فقال : أرى عليك قطيفةً من نَسج أضراسك .

•

قال: وسمعت أعرابياً يقول: اللهم إني أسألك مِيتة كميتة أبي خارجة، أكل بَذَجاً[1]، وشَرِب مُعَسَّلاً، ونام في الشمس، فمات دَفِيئاً شبعان ريّان .

•

محمد بن وضّاح يرفعه الى أبي هُريرة، رضي الله عنه، قال : دخل أعرابيّ المسجد والنبي، صلى الله عليه وسلم ، جالسٌ، فقام يصلي، فلما فرغ قال: اللهم ارْحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً.

فقال النبيّ ، عليه الصلاة والسلام : لقد حجَّرت واسعاً يا أعرابيّ .

قال : وسمعت أعرابياً وهو يقول في الطواف: اللهم اغفر لأمي؛ فقلت له : ما لك لا تذكر أباك؟ فقال: أبي رجلٌ يحتال لنفسه ، وأما أمي فبائسةٌ ضعيفة .

•

---

١ البذج : الحمل .

أبو حاتم عن أبي زيد قال: رأيت أعرابياً كأنّ أنفه كوز من عِظَمه، فرآنا نضحك منه، فقال: ما يُضحككم؟ فوالله لقد كنت في قوم ما كنت فيهم الا أفطس[1] .

قال : وجيء بأعرابيّ الى السُّلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصّته ، وهو يقول : هاؤم اقرأوا كتابيه . فقيل له : يقال هذا يومَ القيامة ؛ قال : هذا والله شرٌّ من يوم القيامة ، إنّ يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيّئاتي، وأنتم جِئتم بسيّئاتي وتركتم حسناتي .

•

قيل لأبي المِخَشّ الأعرابيّ: أيسرك أنك خليفة وأن أمتك حُرّة ؟

قال : لا والله ما يَسرني .

قيل له : ولِمَ ؟

قال : لأنها كانت تَذهب الأمّة وتُضيع الأمّة .

•

اشترى أعرابيّ غلاماً ، فقيل للبائع : هل فيه من عَيب ؟

---

١ الفطس : عرض قصبة الأنف وطمأنينتها .

قال : لا ، إلا أنه يَبُول في الفراش؛ قال : هذا ليس بعيب، إن وجد فراشاً فليَبُل فيه .

•

أخذ الحجّاج أعرابياً لصّاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرّعه بسوط قال : يا رب شكراً ، حتى ضربه سبعمائة سوط . فلقيه أشعب فقال له: أتدري لمَ ضربك الحجّاج سبعمائة سوط؟

قال : لماذا ؟

قال : لكثرة شكرك ، إنّ الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنّكم . »

قال : وهذا في القرآن ؟

قال : نعم .

فقال الأعرابيّ :

يا ربّ لا شكرَ ، فلا تزدني،
أسأتُ في شكريَ ، فاعفُ عنّي
باعد ثواب الشاكرين منّي

•

مرّ أعرابيّ بقوم وهو ينشد ابناً له، فقالوا له: صفه؛ قال: كأنه دنينير، قالوا: لم نره. ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي

وعلى عُنقه جُعل، فقالوا: هذا الذي قلت فيه كأنه دُنينير ؟

فقال : القَرَنْبى في عين أمها حسناء .

والقرَنبى، دُويبة من خَشاش الأرض إذا مسّها أحد تقبّضت فصارت مثل الكُرة .

•

قيل لأعرابي : ما يمنعك أن تغزو؟ قال : والله إني لأبغض الموت على فراشي ، فكيف أمضي اليه رَكضاً !

•

وغزا اعرابيٌّ مع النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ما رأيتَ مع رسول الله في غزاتك هذه ؟ قال : وضع عنا نصفَ الصلاة، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي.

•

جلس أعرابيٌّ الى مجلس أيّوب السّختياني ، فقيل له : يا أعرابيّ ، لعلك قَدَريٌّ ؟

قال : وما القَدرِي ؟

فذكر له محاسنَ قولهم، قال: أنا ذاك، ثم ذكر له ما يَعيب الناسُ من قولهم ، فقال : لستُ بذاك .

قال : فلعلّك مُثبت ؟

قال : وما المُثبت ؟

فذكر مَحاسنهم، فقال أنا ذاك، ثم ذكر له ما يَعيب الناس منهم ، فقال : لستُ بذاك !

قال أيوب: هكذا يَفعل العاقلُ، يأخذ من كلّ شيء أحسنه.

•

الأصمعيّ قال : سمع أعرابيّ جريراً يُنشد :

كاد الهوى يوم سَلْمانَيْن يَقتلني،
وكاد يَقتُلني يوماً بنَعْمانِ[1]

وكاد يَقتُلني يوماً بذي خُشُبٍ ،
وكاد يَقتُلني يوماً بسَلْمانِ

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربعَ مرّات ، لا يموت هذا أبداً .

•

الشَّيباني قال: بلغني أن أعرابيّين ظريفين من شياطين العرب حَطمتهما سَنةٌ فانحدرا الى العراق، فبينما هما يَتماشيان في السُّوق واسم أحدهما خُندان، إذا فارسٌ قد أوطأ دابَّته رِجلَ خُندان،

---

١ سلمانان : من قرى مرو. نعمان : حصن من حصون زبيد من ناحية اليمن.

فقطع إصْبعاً من أصابعه، فتعلّقا به حتى أخذا أرْش[١] الاصبع، وكانا جائعين مَقْرُورَين، فلما صار المال بأيديهما قصدا الى بعض الكرابج[٢] فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما شَبع صاحبُ خُنْدان أنشأ يقول :

فلا غَرْثةٌ، ما دام في النّاس كُرْبَجُ
وما بَقِيَت في رِجْلِ خُنْدان إصْبَعُ[٣]

وهذا شبيه قول أعرابيّة في ابنها ، وكان لها ابن شديد العُرام[٤] ، كثيرُ القِتال للناس ، مع ضَعْف أسْر ، ورقّة عَظْم ، فواثَب مرة فتًى من الأعراب ، فقَطَع الفتى أنفَه ، فأخذت أمّه دِيَة أنفه ، فحَسُن حالها بعد فَقر مُدقِع ، ثم واثَب آخر ، فقطع أذُنَه ، ثم أخَذَتْ دِيةَ أُذُنه ، فزادت في المال وحَسُنَت الحال ، ثم واثَب آخر فقطع شَفَته ، ثم أخذت دِية شفته ، فلما رأت ما صار عندها من الابل والبقر والغنم والمتاع بجوارح ابنها ذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

---

١ الأرش : الدية .
٢ الكرابج ، واحدها كربج : الحانوت .
٣ الغرثة : الجوعة .
٤ العرام : الشراسة .

أحلِفُ بالمَروة ، حِلْفاً ، والصَّفا ،
أنَّكَ خيرٌ من تَفاريق العَصا[1]

فقلت لأعرابي : ما تَفاريق العصا ؟ قال : العَصا تُقطع ساجوراً[2] ، ثم يُقطع السَّاجور أوتاداً ، ثم تُقطع الأوتاد أشِظَّة[3] .

•

الأصمعيّ قال : خرج أعرابيٌّ إلى الحَجّ مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يُريد أهلَه لَقيه ابنُ عمٍّ له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : اعلم أنك لما خرجتَ وكانت لك ثلاثةُ أيام وقع في بيتك الحريقُ .

فرفع الأعرابي يديه الى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يا ربّ ! تأمرنا بعِمارة بَيْتِك وتُخرّب أنت بُيوتنا !

•

وخرجتْ أعرابيّة إلى الحجّ ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبت راحلتُها ، فرفعت يديها الى السماء ، وقالت : يا ربّ ، أخرجْتني من بيتي الى بيتك فلا بيتي ولا بيتك .

---

١ المروة : هي مروة المسعى التي تذكر مع الصفا وهي احد رأسيه اللذين ينتهي السعي اليهما في الحج . والصفا اسم احد جبلي المسعى .
٢ الساجور : خشبة تعلق في عنق الكلب .
٣ أشظة : واحدها شظاظ وهو عود يجعل في عروتي الجوالقين اذا شدّا على البعير .

قولهم في الطعام

الأصمعيّ قال : اصطحب شيْخ وحَـدَثٌ في سَفر ، وكان لهما قُرص في كلّ يوم ، وكان الشيخُ مُنْخلع الأضراس بَطيء الأكل . وكان الحَـدَث يَبْطِش بالقُرْص ثم يجلس يشْتكي العِشْق ، ويتضور الشيخُ جُوعـاً ، وكان الحدَث يُسمّى جعْفراً ، فقال الشيخ :

لقـد رابني من جعْفر أنّ جعفراً
بَطِيشٌ بقرْصي، ثم يَبْـكي على جُمْل[1]
فقلتُ له : لو مسّـك الحبُّ، لم تَبِت
بَطيناً ، ونَسّاكَ الهوى شِدّةَ الأكلِ

•

الأصمعي قال : أنشدني أعرابي لنفسه :

ألا ليت لي خُبْزاً تسَربل رائبـاً ،
وخيْلاً مِن البرْنيّ ، فُرسانها الزُّبْد[2]

---

١ بطيش : شديد البطش .
٢ البرني : أجود التمر .

فأطائبُ ، فيما بينهـنَّ ، شهادةٌ
بِموت كَرِيمٍ ، لا يُعَـدُّ له لَحْد

•

الشيباني عن العُتبيّ عن أبيـه قال : قال أعرابي : كنت أشتهي ثريدة دَكْناء من الفُلفُل ، رَقْطاء من الحِمّص ، ذات حِفَافين من اللحم ، لها جَناحان من العُراق[1]، أضْرب فيها كما يَضْرب وَليّ السُّوء في مال اليتيم .

•

وقال رجل لأعرابيّ : ما يسرني لو بِتَّ ضيفاً لك ؟ فقال له الأعرابي : لو بِتّ ضيفاً لي لأصبحت أبطن من أمك قبل ان تلدك بساعة .

•

حضر أعرابيّ سُفرة سُليمان بن عبد الملك ، فجعل يمرّ إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجب : مما يَليك فكُلْ يا أعرابيّ ؛ فقال : مَن أجدب انتجع. فشقّ ذلك على سُليمان، فقال للحاجب : إذا خرج عنّا فلا يَعُد الينا .

---

١ العراق : العظام اذا لم يكن عليها شيء من اللحم .

وشهد بعد هذا سُفْرته أعرابيّ آخر ، فمرّ الى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يَليك فكُلْ يا أعرابي ؛ قال : مَن أخْصَبَ تَخيَّر . فأعجب ذلك سليمانَ ، فقرّبه وأكرمه وقضى حوائجه .

•

مرّ أعرابي بقوم من الكَتَبة في مُتَنَزه لهم وهم يأكلون ، فسلّم ، ثم وَضع يده يأكل معهم ، فقالوا : أعرفت فينا احداً؟

قال : بلى ، عرفتُ هذا ، وأشار إلى الطعام .

فقال بعض الكُتّاب يصف أكله :

لم أرَ مِثلَ سَرْطه[1] ومَطّه .

قال الثاني : وأكله دَجاجة ببطّه .

قال الثالث : ولَفّه رُقاقه بإقْطِه[2] .

قال الرابع : كأن جالينوس تحت إبْطه .

فقالوا للرابع : أمّا الذي وصفنا من فِعْلِه فمعلوم ، فما يَصْنع جالينوس من تحت إبطه ؟

---

١ السرط : البلع .
٢ الاقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .

قال : يُلْقِمه الجَوارش[1] كلما خاف عليه التُّخمة يَهْضِم بها طعامه .

•

وقال رجل من أهل المدينة لأعرابيّ : ما تأكلون وما تَعافون ؟

قال له الأعرابيّ : نأكل كلّ ما دَبّ وهَبّ إلا أمّ حُبَيْن[2] .

قال المدني : تَهْنِىء أمّ حُبَيْن العافية .

•

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لي لَحْماً ، فاشتروا ، وطَبَخه حتى تَهرّأ ، فأكلَ منه حتى انتهت نفسه ، ولم يُبق إلا عظمه ، وشرَعت إليه عُيون ولده ، فقال : ما انا مُطعمه أحداً منكم إلا من أحسن أكله .

فقال له الأكبر : ألوكه يا أبتِ حتى لا أدعَ فيه للذرّة مَقِيلاً .

قال : لستَ بصاحبه .

---

١ الجوارش : نوع من الحلاوات .

٢ أم حبين : دويبة على خلقة الحرباء عريضة الصدر عظيمة البطن ، وقيل هي أنثى الحرباء .

قال الآخر : ألوكه حتى لا تدري ألِعامه هو أم لعام أول.

قال : لستَ بصاحبه .

قال له الأصغر : أدقّــه يا أبت وأجعل إدامه المخ .

قال : أنت صاحبه وهو لك .

•

بلغني عن محمد بن يزيد بن مُعاوية أنــه كان نازلاً بحلب على الهيثم بن عديّ فبَعث إلى ضيف لهمن عُذْرة أعرابي، فقال له : حدّث أبا عبد الله بما رأيتَ في حَضَر المسلمين من الأعاجيب .

قال : نعم ، رأيتُ أموراً مُعْجبــة ، منها : أنني دخلتُ قرية بكر بن عاصم الهلاليّ ، وإذا أنا بدُورٍ متباينــة ، وإذا خِصَاص[1] بيضٌ بعضها إلى بعض ، واذا بها ناسٌ كثير مُقبلون ومُدْبِرون ، وعليهم ثيــابٌ حكوا بها انواعَ الزَّهر ، فقلت لنفسي : هذا أحد العِيدين ، الفِطْر او الأضحى ، ثم رجع إليّ مـا عَزُبَ من عقلي، فقلت : خرجتُ من أهلي في عَقِب صفَر وقد مضى العِيدان قبل ذلك .

فبينا أنا واقفٌ أتعجّب إذ أتاني رجلٌ ، فأخذ بيدي فأدخلني

---

١ الخصاص، واحدها خص : بيت من شجر وقصب .

بيتاً قد نُجّد ، وفي وَجهه فُرُش مُمهّدة ، وعليها شابٌّ ينال فَرْعُ شَعَره كتفيه ، والناسُ حوله سماطين ، فقلت في نفسي : هذا الأميرُ الذي يُحكي لنا جلوسُه وجلوسُ الناس حولَه ، فقلتُ وأنا ماثلٌ بين يديه : السلامُ عليك أيها الأمير ورحمة الله .

قال : فجذَب رجلٌ بيدي ، وقال : ليس بالأمير ، اجلِس .

قلتُ : فمن هو؟

قال : عَروس .

قلت : واثُكْل أمّاه ! لَرُبّ عَروس بالبادية قد رأيتُه أهون على أصحابه ...

فلم ألبث أن أدخلَت الرجالُ علينا هَنَات مُدوّرات من خشب ، امّا ما خفّ منها فيُحمَل حملاً ، وأما ما ثقُل فيُدحرَج ، فوُضعت أمامنا وحلّق القوم عليها حلَقاً ، ثم أتينا بخِرَق بيض فألقيت عليها ، فهممتُ والله أن أسأل القومَ خِرقةً منها أرقع بها قميصي ، وذلك أني رأيتُ لها نسْجاً مُتلاحماً لا تتبيّن له سدى ولا لُحمة ، فلما بسط القومُ أيديهم ، إذا هو يتمزّق سريعاً ، وإذا صِنْف من الخُبز لا أعرفه .

ثم أتينا بطعام كثير من حُلو وحامض ، وحارّ وبارد ، فأكثرتُ منه وأنا لا أعلم ما في عقِبه من التُخم والبَشم .

ثم أتينا بشراب أحمر في عِساس[1] بيض، فلما نظرتُ اليه، قلتُ: لا حاجة لي به، لأني أخاف أن يَقتلني، وكان إلى جانبي رجلٌ ناصح لي، أحسن الله عني جزاءه، كان يَنصحني بين أهل المجلس، فقال لي: يا أعرابيّ، إنك قد أكثرت من الطعام، فإن شربتَ الماء همَى[2] بطنُك.

فلما ذكر البطنَ ذكرتُ شيئاً أوصاني به الأشياخ، قالوا: لا تزال حيّاً ما دام بطنُك شديداً، فإذا اختلف فأوصِ، فلم أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أملّه حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي، ولا عَهدَ لي به، ولا اقتدار على أمري.

وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي، فجعلتْ نفسي تُحدّثني بهتم أسنانه مرةً وهشم أنفه أخرى.

فبينا نحن كذلك، إذ هجم علينا شياطينُ أربعة: أحدهم قد علّق جُعْبة فارسية مُفتّحة الطرفين، قد شُبّكت بالخيوط، وقد ألبست قطعة فرو، كأنهم يخافون عليها القُرّ، ثم بدا الثاني فاستخرج من كفه هَنَة، فوضع طرفها في فيه

---

١ عساس، واحدها عس: القدح الضخم.
٢ همى: سال.

فضرَط فيها ، ثم جسَّ على حُجْزَتِهـا[1] فاستخرج منها صوتاً مُشاكِلاً بعضُه بعضاً .

ثم بدا الثالثُ وعليه قميصٌ وسخ ، وقد غرَّق رأسه بالدُّهن ، معه مرآتان ، فجعل يُمِرُّ إحداهما على الأخرى .

ثم بدا الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصيرة . فجعل يقفِز صُلبه ويَهُز كَتِفيه ، ثم التَبط بالأرض ، فقلتُ : معتوه وربِّ الكعبة ، ثم ما بَرِح مكانَه حتى كان أغبط القوم عندي .

ثم أرسلت إلينا النساء أنْ أمتِعونا من لَهْوِكُم ، فبعثوا بهم إليهنَّ ، وبقيتْ الأصواتُ تدور في آذاننا .

وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبه له ، فعلَتِ الأصوات له بالدُّعاء ، فخرج فجاء بخَشَبة في يده ، عينُها في صدرها ، فيها خُيُوط أربعة ، فاستخرج من جوانبها عُوداً فوضعه على أُذنه ، ثم زمَّ الخيوط الظاهرة ، فلما أحكمها عرك أُذنها ، فنطق فوها ، فإذا هي أحسن قَيْنَة رأيتُها قط ، فاستخفَّني حتى قُمتُ من مجلسي ، فجلستُ إليه فقلت : بأبي أنتَ وأمي ، ما هذه الدابة ؟

قال : يا أعرابيُّ هذا البَربط .

---

١ الحجزة : موضع شد الازار .

قلت : فما هذه الخيوط ؟

قال : أما الأسفل فزير ، والذي يليه مثنى ، والذي يليه مثلث ، والذي يليه بَمّ ، فقلتُ : آمنت بالله .

•

وقال أعرابيّ : تمرُنا خُرس فُطس ، يغيب فيهنّ الضرس ، كأنّ فاها ألسن الطير ، تقع التمرة منها في فيك فتجد حلاوتها في كعْبيك .

•

وحضرَ أعرابيّ سُفرة سُليمان بن عبد الملك ، فلما أُتي بالفالوذج جعل يُسرعُ فيه ، فقال سُليمان : أتدري ما تأكل يا أعرابيّ ؟

فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقاً هنيئاً، ومُزدرَداً ليّناً ، وأظنه الصّراط المُستقيم الذي ذكره الله في كتابه .

قال : فضَحك سليمان ، وقال : أزيدك منه يا أعرابيّ ، فإنهم يذكرون أنّه يزيد في الدّماغ ؟

قال : كذَبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسُك مثلَ رأس البَغل .

•

قال : ومررت بأعرابيّ يأكل في رَمضان ، فقلت له : ألا تَصوم يا أعرابيّ ؟ فقال :

وصائمٍ هَبَّ يَلْحاني ، فقلتُ له :
اعْمِدْ لِصَوْمِكَ، واترُكْني وإفطاري

واظمأ ، فإني سأرْوى ثم سوف تَرى
مَن ذا يَصير ، إذا مِتْنا ، إلى النّار

•

وحَضَر سُفرة سليمان أعرابيّ ، فنَظر الى شَعرة في لُقمة الأعرابيّ ، فقال: أرى شعرة في لُقمتك يا أعرابي؛ قال: وإنك لتُراعيني مُراعاة من يُبصر الشّعرة في لُقمتي ، والله لا واكلتُك أبداً ؛ فقال : استُرها عليّ يا أعرابي ، فإنها زلةٌ ولا أعود إلى مثلها أبداً .

•

أخبار أبي مهدية الاعرابي

أبو عثمان المازني قال : قال أبو مَهديّة : بلغني أن الأعراب والأعزاب هِجاؤهما واحد؛ قلت: نعم؛ قال: فاقرأ : الأعزاب أشدّ كُفراً ونِفاقاً ، ولا تقرأ : الاعراب، ولا يَغرّك العَزَب وإن صام وصلى .

وتوفي بُنَي لأبي مهديّة صغيرٌ ، فقيل له : ابْشر أبا مَهدية ، فإنا نرجو أن يكون شَفيع صِدق يومَ القيامة .

قال : لا وَكلنا الله الى شفاعته ، إذاً والله يكونُ أعيانـا لساناً ، وأضعفنا حُجة ، ليته المِسكين كفانا نَفسه .

وقيل لأبي مهديّة : أكُنتم تتوضأون بالبادية ؟

قال : نعم والله ، لقد كنّا نتوضأ فتكفي التَّوضئة الرجل منّا الثلاثة الأيام والأربعة .

وقيل لأبي مَهديّة : أتقرأ من كتاب الله تعالى شيئاً؟ قال: نعم ، ثم افتتح يقرأ : « والضُحى والمَّيل ِ إذا سَجى » حتى انتهى الى « ووَجَدَك ضالاً فَهَدى . » فالتفت الى صاحب له

فقال : إنّ هؤلاء العُلوج يقولون : ووَجدك ضالاً[1] فهدى ، والله لا اقولها أبداً .

ولما أسَنّ أبو مهديّة ولي جانباً من اليمامة ، وكان به قومٌ من اليهود أهل عَطاء وجِدة فأرسل اليهم ، فقال : ما عندكم في المَسيح ؟

قالوا : قتلناه وصَلبناه .

قال : فهل غرِمتم دِيته ؟

قالوا : لا .

قال : إذاً والله لا تَبرحوا حتى تَغرموا دِيته .

فأرضوه حتى كفّ عنهم .

وقيل لأبي مهدية : ما أصْبرَكم معشرَ العرب على البَدو ؟

قال : كيف لا يَصبر على البدو مَن طعامُه الشمسُ ، وشرابه الرّيح !

ومات طفل لأبي مهدية ، فقيل له : اصبر يا أبا مهديّة ، فإنه فرَطٌ افترطته[2] ، وخيرٌ قدّمته ، وذُخر أحرزته؛ فقال : بل

---

١ يريد : ضالاً ، بتخفيف اللام ، وهو نوع من الشجر يقال له السدر .
٢ الفرط : الولد لم يبلغ الحلم . افترطه : فقده .

ولد دفنته ، وثكل تعجّلته ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرَح بالمزيد .

قال أبو عُبيدة : سمع أبو مَهدية رجلًا يقول بالفارسيّة : ذود ذود ، فقال : ما يقول هذا ؟ فقيل له : يقول : عَجّل عجّل ؛ فقال : أفلا يقول : حَيَّهَلا ؟

خبر أبي الزهراء

المعلى بن المثنى الشيباني قال: حدثنا سويد بن منجوف قال: أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع تحته أتان له تخب، وعليه ذلاذل[1] وأطمار من سحق صوف، وقد اعتم بما يشبه ذلك، من أشنوه الناس منظراً وأقبحهم شكلاً، وهو يهدر كما يهدر البعير، وهو يقول: ألا سبد ألا لبد[2] ألا مؤو ألا مقر ألا سعدي ألا يربوعي ألا دارمي؟ هيهات هيهات، وما يغني أصل حوض الماء صادياً معنى.

قال سويد: فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذاً وقد تبعه صبيان كثيرون وسواد من سواد الحي، فسمعت سوادياً يقول له: يا عماه يا إبليس، متى أذن لك بالظهور؟

فالتفت اليهم، فقال: منذ سرق آباؤكم.

---

١ الذلاذل: يريد بها قمصاناً رثة.

٢ السبد: من الشعر. اللبد: من الصوف.

قال: وكان معنا أبو حمّاد الخيّاط، وكان من أطلب الناس لكلام الأعراب، واصبرهم على الإنفاق على أعرابيّ يدخل علينا، وكان مع ذلك مَولى لبني تميم، فأتيتُه فأخبرته، فخرج مُبادراً كأني قد أفدته فائدة عظيمة، وقد نزَل الأعرابيّ عن الأتان واستند الى بعض الحيطان، وأخذ قوسَه بيده، فتارةً يُشير بها الى الصّبيان، وتارةً يَذُبّ بها الشّذا[1] عن الأتان، وهو يقول لأتانه:

قد كُنتِ بالأمعز في خِصبٍ خَصِبْ،
ما شئتِ من حَمْض وماء مُنسكِبْ[2]

فرَبُّكِ اليومَ ذليلٌ قد نَصِبْ،
يَرى وُجوهاً حوله ما تَرتقب

ولا عليها نورُ إشراق الحسَبْ،
كأنها الزّنج وعُبْدان العرَب

إلى عُجَيْل كان كالرّغْل السّرِب،
ولو أمِنْتُ اليومَ من هذا اللّجَب[3]

١ الشذا: الذباب.
٢ الأمعز: الأرض الحزنة الغليظة.
٣ الى عجيل: اي اجتمعوا اليه كما يجتمعون الى عجيل. الرغل: البهمة. السرب: الذاهب في الأرض على وجهه.

رَمَيْتُ أفواقاً قَوِيّاتِ النُّصُبْ ،
الرِّيشُ أولاها وأُخراهـا العَقَبْ[1]

قال : فلم يزل أبو حمّاد يُلطِفه ويتلطّف به ويُبجِّله الى أن أدخله منزله ، فمهّد له وحطّه عن أتانه ، ودعا بالعَلَف ، فجعل الأعرابيّ يقول: أين اللّيف والثّليف والوساد والنّجاد؟

يعني باللّيف : الحَصير ، وبالثّليف : عُشبَة عندهم ، يقال لها البُهمى[2] ، وبالوساد : جِلد عَنز يُسلَخ ولا يُشَق ويحشى وبَراً وشَعراً ويُتّكأ عليه ، وبالنّجاد: مِسح شَعَر يُستظَلّ تحته.

قال : فلما نَزَع القَتَب عن الأتان إذا ظهرُها قد دَبِر[3] حتى أضرّت بنا رائحتُه . فجعل الأعرابي يتنهّد ويقول:

إن تَنْحَضي ،أو تَدْبَري، أو تَزْحَري،
فذاكَ من دُؤوبِ لَيلٍ مُسْهِرِ[4]

---

١ الافواق، واحدها فوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر. النصب، واحدها نصاب : مقبض الشيء .
٢ البهمى : نبت تستطيب الغنم اكله .
٣ دبر : عقر .
٤ النحض : ذهاب اللحم . الزحر: اخراج الصوت او النفس بأنين عند عمل او شدة .

أنا أبو الزَّهراء من آل السَّري،
مُشَمَّخ الأنف كريم العُنْصُرِ
إذا أتيتُ خُطَّةً لم أُقْسَرِ[1]

وكان يُسمى الاعرابيّ صَلتان بن عَوسَجة، من بني سَعد بن دارم، ويُكنى بأبي الزَّهراء. وما رأيتُ أعرابياً أعجبَ منه، كان أكثرُ كلامه شعراً، وأمثلَ أعرابيّ سمعتُه كلاماً، إلا أنه ربما جاء باللّفظة بعد الأخرى لا تفهمها.

وكان من أضجر الناس وأسوإهم خُلقاً، وإذا نحن سألناه عن الشيء، قال: رُدُّوا عليّ القوس والأتان، يظنّ أنّا نتلاعب به، وكنّا نجتمع معه في مجلس أبي حمّاد وما منّا إلا من يأتيه بما يشتهيه فلا يُعجبه ذلك، حتى أتيناه يوماً بخِربز[2]، وكانت أمامه، فلما أبصرها تأمّلها طويلاً وجعل يقول:

بُدِّلْتُ، والدَّهرُ قديماً بَدَّلا،
من قَيْضِ بَيض القفْر، فَقعاً حَنْظلا[3]
أخبَثُ ما تُنْبت أرْضٌ مأكلا

---

١ أقسر: أغلب وأقهر.
٢ الخربز: البطيخ.
٣ القيض: قشرة البيضة العليا. الفقع: الرخو من الكمأة، وهو أردؤها.

فكُنّا نقول له : يا أبا الزَّهراء ، إنه ليس بحَنظل ، ولكنه طعام هنيء مريء ونحن نَبدؤك فيه إن شئتَ .

قال : فخُذوا منه حتى أرى .

فبدأنا نأكل وهو يَنظر لا يَطرف ، فلما رأى ذلك بسَط يده ، فأخذ واحدةً ، فنزع أعلاها ، وقوَّر أسفلها ؛ فقلنا له : ما تريد أن تَصنع يا أبا الزهراء ؟

فقال : إن كان السم يابن أخي ففيما ترَون .

فلما طَعمه استخفّه واستعذبه واستحْلاه ، فلم يكن يُؤثر عليه شيئاً ، وما كنا نأتيه بعدُ بغَيره ، وجعل في خِلال ذلك يقول :

هـذا طَعـامٌ طَيِّـبٌ ، يَلـينُ
في الجَوف ، والحَلْقُ له سُكُونُ

الشَّهدُ والزُّبـد بـــه مَعجُونُ

فلما كان الى أيام ، قلتُ له : يا أبا الزهراء ، هل لك في الحمّام ؟

قال : وما الحمّام يابن أخي ؟

قلنا له : دارٌ فيها أبيات حارّ وفاتر وبارد ، تكون في أيها

نْت، تُذهب عنك قشَفَ[١] السَّفر، ويَسقُط عنك هذا الشَّعر.

قال : فلم نزل به حتى أجابنا ، فأتينا بـه الحمّام وأمرنا صاحب الحمّام أن لا يُدخل علينا أحداً ، فدَخل وهو خائفٌ مترقّب لا يَنزع يده من يد أحدنا حتى صار في داخل الحمّام، فأمرنا مَن طَلاه بالنّورة[٢]، وكان جِلده أشعر كجلد عنز، فقَلِق ونازعَ للخروج، وبدأ شَعره يَسقط، فقلنا : أحين طاب الحمام وبدأ شَعرك يسقط تخرُج ؟

قال: يابن أخي ، وهل بَقي إلا أن أنسلخ كما يَنسلخ الأديم في احتدام القَيظ ؟ وجعل يقول :

وهـل يَطيب المـوتُ يا إخواني؛
هل لـكمُ في القوْس والأتانِ؟

خُذوهما منّي بـلا أثمان ،
وخلّصوا المُهجـة يا صِبياني

فـاليومَ لو أبصَرَني جـيراني
عُرْيانَ ، بل أعرى من العُرْيان

١ قشف : قذر .
٢ النورة : حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويحلق به الشعر .

قد سَقط الشَّعْر عن الجُثمان،
حُسِبتُ في المَنْظر كالشَّيطان

قال: ثم خرج مُبادراً، واتَّبعه أحداثٌ لنا لولاهم لخَرج بحاله تلك ما يستره شيء، ولحقناه في وسط البيوت، فأتيناه بماء بارد، فشرب وصبَّ على رأسه، فارتاح واستراح، وأنشأ يقول:

الحمـدُ للمُستَحْمد القهّارِ،
أنْقَذَني من حَرّ بيت النّارِ

إلى ظَليـلٍ ساكِنِ الأوار،
من بعـد مـا أيقنتُ بالدّمار[1]

قال: فدعَونا بكُسوة غير كُسوته فألبسناه، وأتينا به مجلس أبي حمّاد، وكان أبو حمّاد يبيع الحِنطة والتمر وجميعَ الحبوب، وكان يُجاوره قومٌ يَبيعون أنبِذة التمر، وكان أبو الحسن التمّار ماهراً، فإذا خُضنا في النحو وذكرنا الرُّؤاسي والكِسائي وأبا زيد جعل يَنظر بفقه الكلام، ولا يفهم التأويل، فقلنا له: ما تقول يا أبا الزّهراء؟

فقال: يابن أخي، إن كلامكم هذا لا يسد عوزاً مما تتعلمونه له.

---

١ الأوار: الحرّ.

فقال أبو الحسن: ان بهذا تعرف العرب صوابَها من خطئها.

فقال له : ثكِلتَ وأثكلتَ ، وهل تُخطىء العرب ؟

قال : بلى .

قال : على أولئك لعنة الله ، وعلى الذين أعتقوا مثلك .

قال سُويد : وكنت أحدثهم سنّاً، قال : فقلت : جُعِلت فداكَ ، أنا رجل من بني شَيبان وربيعة ، ما نعلم أنّا على مثل الذي أنتَ عليه من الإنكار عليهم .

فقال فيهم :

يُسائلني بيّاعُ تَمْرٍ وجَرْدَقٍ ،
ومازِج أبْوال له في إنائِه[1]

عن الرّفع بعد الخَفْض، لا زال خافضاً،
ونَصْب وجَزْم صِيغ من سُوء رائه

فقلتُ له : هذا كلامٌ جهلتَه ؛
وذو الجَهْل يروي الجهل عن نُظرائه

فقال : بهذا يُعْرف النّحوُ كلّه ؛
يرى أنّني في العُجْم من نُظرائه

---

[1] الجردق : الرغيف .

فأما تَميم ، أو سُلَيم وعامر ،
ومَن حلّ غَمْر الضّال أو في إزائه

ففيهم وعَنهم يُؤثَرُ العلمُ كُلُّه ؛
ودَع عنك من لا يَهتَدي لخطائه

فمن ذا الرُّؤاسيُّ الذي تَذْكرونه ؛
ومن ذا الكِسائي سالحٌ في كِسائه ؟

ومَن ثالثٌ لم أسمع الدهرَ باسمه ،
يُسمونه ، من لؤمـه ، سيبوائه ؟

فكيف يُجيل القول من كان أهلَه ،
ويُنْهدي له من ليس من أوْليائه؟

فلَستُ لبيّاع التّميرات مُغضِياً ،
على الضّيم ، إن وافقتُ بعد عَشائه

ولقد قلنا له: يا أبا الزّهراء، هل قرأتَ من كتاب الله شيئاً؟

قال: أي وأبيك، آياتٍ مُفصلاتٍ، أردّدهن في الصّلوات، آباء وأمهات ، وعمّات وخالات ؛ ثم أنشأ يقول :

قرأتُ قَوْلَ الله في الكتابِ،
ما أنزل الرحمنُ في الأحزابِ

لعُظم ما فيها من الثّواب ؛
الكُفْرَ والغِلْظة في الأعراب

وأنا ، فاعلم ، من ذوي الألباب ،
أومن بالله بـلا ارتياب

بِعَرْشِه المستور بالحِجاب ،
والمَوْتِ والبَعْثِ وبالحِساب

وجنّةٍ فيها من الثّياب ،
ما ليسَ بالبَصْرَةِ في حِساب

وجاحِم يَلْفَحُ ، بالتهاب ،
أوْجُهَ أهْلِ الكُفْرِ والتّباب[1]

ودَفعِ رَحْلِ الطارق المُنْتاب ،
في ليلةٍ ساكنةِ الكِلاب[2]

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، قلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت الكوفة ؟

فقال : يابن أخي ، حَضَراً حاضراً ، ومحلاً آهلاً ، أنكرتُ

---

١ التباب : الهلاك .

٢ أي أهل دفع .

من أفعالكم الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان .

ثم نظر إلى الجبّانة، فقال : ما هذه التلال يابن أخي ؟

قلت له : أجداثُ الموتى .

فقال : أماتوا أم قتلوا ؟

فقلت : قد ماتوا بآجالهم ، مِيتات مُختلفات .

قال : فماذا ننتظر نحن يابن أخي ؟

قلت : مثل الذي صاروا اليه .

فاستعبر وبكى ، وجعل يقول :

يا لَهْفَ نَفسي أنْ أموتَ في بَلدْ ،
قد غابَ عنّي الأهْلُ فيه والوَلدْ

وكل ذي رِحْم شفيق مُعتَقدْ ،
يكون ما كنتُ سقيماً كالرّمد

يا ربّ، يا ذا العَرش ، وفّق للرّشدْ،
ويَسّر الخيْرَ لشيخ مُنحصِد

ثم لم يَلبث الا يسيراً حتى أخذته الحُمّى والبرْسام ، فكنا لا نُبارحه عائدين متفقدين ، فبينا نحن عنده ذات يوم ، وقد اشتد كرْبه وأيقن بالموت ، جعل يقول :

أبْلِغ بَناتي، اليومَ، أبْلغ بالصُّوى،
قد كُنَّ يأمُلْنَ إيَابي بالغِنى

وقد تمنَّيْنَ، وما تُغْني المُنى،
بأنَّ نفسي وردتْ حَوْضَ الرَّدى

يا رَبِّ، يا ذا العرش، في أعلى السما،
إليك قدَّمتُ صيامي في الظَّما

ومن صلاتي في صباح ومِسا،
فعُدْ على شيخ كبيرٍ ذي انحِنا

كفاه ما لاقاه في الدُّنيا كفى

قلنا له: يا أبا الزَّهراء، ما تأمرنا في القوس والأتان، وفيما قَسَمَ الله لك عندنا من رزق؟

فقال: يابن أخي، أما ما قَسم الله لي عندكم، فمردود اليكم، وأما القَوس والأتان فبيعوهما وتصَدَّقوا بثمنهما في فُقراء صَلِبَةَ بني تميم[1]، وما بقي ففي مواليهم.

ثم جعل يقول: اللهم اسمع دُعاء عَبدك اليك، وتضرُّعه

---

[1] صلبة بني تميم: أي من أصلابهم.

بين يديك ، واعرف له حقّ إيمانه بك ، وتصديقه برسلك الذين صلّيت عليهم وسلّمت ، اللهم إني جانٍ مقترف ، وهائبٌ معترف ، لا أدّعي براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياي ، وتجاوزك عني ، اللهم إنك كتبت عليّ في الدنيا التعب والنّصَب ، وكان في قضائك وسابق علمك قبضُ روحي في غير أهلي وولدي ، اللهم فبدّل لي التّعب والنّصَب رَوحاً وريحاناً وجنة نعيم ، إنك مُفضل كريم .

ثم صار يتكلّم بما لا نفقهه ولا نفهمه ، حتى مات رحمه الله . فما سمعتُ دعاء أبلغ من دعائه ، ولا شهدتُ جنازة أكثر باكياً وداعياً من جنازته ، رحمه الله .

•

عود الى كلام الاعراب

وقال أعرابي يصف كساء :

مَن كان ذا بَتٍّ ، فهذا بَتّي
مُقَيِّظٌ ، مُصَيِّفٌ ، مُشَتّي[1]

نَسَجْتُه من نَعَجاتٍ سِتّ

•

وقال أعرابيّ :

قالت سُلَيْمى : ليتَ لي بَعْلاً بِمَنّ
يَغسِلُ رأسي ويُسَلّيني الحَزَنْ[2]

قالت جواري الحيّ : يا سَلْمى وإنْ
كان فقيراً مُعْدِماً ؟ قلت : وإنْ

•

١ البت : ثوب غليظ .
٢ المن : كيل او ميزان . والمعنى انها ترضاه بمهر قليل .

وقال أعرابيّ :

جاريتان ، حلفتْ أمّاهما
أنْ ليس مَغبوناً من اشتراهما

والله لا أخبركم اسماهما
إلا بقولي هكذا : هُما هُما

هما اللتان صادني سهماهما ،
حبّاً ، وحبّا الله من حبّاهما

أماتَ ربّي عاجلاً أباهُما ،
حتى تلاقي مُنيتي مُناهما

•

وقال اعرابيّ :

إنّ لنا لكنّه ، معنّة ، مفنّه[1]

سمعنّة ، نظرنّه ، إلاّ ترَهْ تظنّه

السّمعنّة النّظرنّة : المرأة التي إذا سمعت أو نظرت فلم ترَ شيئاً تظنّت تظنّياً .

•

---

[1] المعنة : المعترضة . المفنة : التي تأتي بفنون من العجائب .

وأنشد أبو عبد الله بن لُبانة لأعرابيّ :

كَرِيمةٌ يُحِبُّهــا أبوهـا ،
مَلِيحةَ العَيْنَيْنِ ، عَذْباً فُوهـا

لا تُحسِنُ السَّبَّ ، وإنْ سَبُّوها

•

ذكروا أنّ أعرابيّاً أتى عَيناً من ماءٍ صافٍ في شهر رمضان، فشَرِبَ حتى رَوِيَ ، ثم أومأ بيده الى السماء فقال :

إنْ كُنْتَ قَدَّرْتَ الصِّيامَ ،
فأعْفِنـــا من شَهْرِ آبِ

أوْ لا ، فإنّــا مُفْطِرون ،
وصابرون على العَــذاب

•

من خيام الاعراب

كتاب العسجدة	٥
قول الاعراب في الدعاء	٧
قولهم في الرقائق	٢٠
قولهم في الاستطعام	٢٧
قولهم في المواعظ والزهد	٤٨
قولهم في المدح	٦٩
قولهم في الذم	٨١
قولهم في الغزل	٩٧
قولهم في الخيل	١٠٧
قولهم في الغيث	١١٠
قولهم في البلاغة والايجاز	١١٦
قولهم في حسن التوقيع وحسن التشبيه . . .	١١٩
قولهم في المناكح	١٢٣
قولهم في الأعراب	١٣١
قولهم في الدين	١٣٣
قولهم في النوادر والملح	١٣٥
قولهم في الطعام	١٤٥
اخبار أبي مهدية الاعرابي	١٥٥
خبر أبي الزهراء	١٥٨
عود الى كلام الاعراب	١٧١

٢٠٠ غ.ل.

V. 4 (no 14)

العقد الفريد

١٤

فيض الخواطر

مكتبة صادر
بيروت

١٤

فيض الخواطر

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

فيض الخواطر

هو كتاب المجتَنَبة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

١٤

فيض الخواطر

مكتبة صادر
بيروت

Near East
PJ
7745
.I15
.I5
v.4
c.1

١٩٥٢/١٢٦

كتاب المجنبة

في الاجوبة

قال أحمد بن محمد بن عبد ربّه : قد مَضى قولُنا في كلامِ الأعراب خاصّة، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الجَوابات التي هي أصعبُ الكلام كلّه مَركباً، وأعزّه مَطلباً، وأغمضه مذهباً، وأضيقه مَسلكاً ؛ لأنّ صاحبَه يُعْجل مُناجاةَ الفِكرة، واستعمال القَريحة ؛ يَرُوم في بَديهة، نَقضَ ما أبرم في رويّة ؛ فهو كمن أُخذت عليه الفِجاج، وسُدّت عليه المَخارج ؛ قد تَعرّضَ للأسنّة، واستهدف للمَرامي، لا يدري ما يُقرَع به فيتأهّب له، ولا ما يَفجؤه من خَصمه فيَقرعه بمثله.

ولا سيّما إذا كان القائلُ قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزِمامه، بعد أن رَوّى فيه واحتَفل، وجَمع خواطره واجتهد، وتَرك الرأي يَغبُّ حتى يَختمر ؛ فقد كَرِهوا الرأي الفَطير، كما كرهوا الجوابَ الدَّبَريّ[1] ؛ فلا يزال في نَسج الكلام

---

[1] الرأي الدبري : هو الذي يسنح أخيراً بعد فوات الحاجة.

واستئناسه ، حتى اذا اطمأن شارده ، وسكن نافره ، صكّ به خَصْمَهُ جملة واحدة .

ثم إذا قيل له : أجِب ولا تُخطىء ، وأسرع ولا تُبْطىء ، تراه يجاوب من غير أناة ولا استعداد ، يُطبّق المَفاصل ، وينفذ الى المَقاتل ؛ كما يُرمى الجَندل بالجندل ، ويُقْرَع الحديد بالحديد ؛ فيَحلُّ به عُراه ، ويَنقُضُ به مرائره ، ويكون جوابه على كلامه ، كسحابة لبّدت عجاجة . فلا شيءَ أعضلُ من الجواب الحاضر ، ولا أعزّ من الخَصْم الألدّ ، الذي يقرع صاحبه ، ويَصْرع مُنازعه

بقول كمِثل النار في الحَطَب الجَزْل

•

قال أبو الحسن : أسرعُ الناس جواباً عند البديهة قريش ثم بقيّة العرب ؛ وأحسنُ الجواب كُلّه ما كان حاضراً مع إصابة معنى وإيجاز لَفظ .

•

وكان يُقال : اتّقوا جوابَ عُثمان بن عفّان .

وقال النبيّ ، عليه الصلاةُ والسلام ، لعمرو بن الأهتم : أخبرني

عن الزِّبْرِقان؛ فقال: مُطاعٌ في أدانيه[1]، شديدُ العارضة، مانعٌ لما وراءَ ظهره.

قال الزِّبرِقانُ: والله يا رسولَ الله، لقد علِم منّي أكثرَ من هذا، ولكن حسَدني.

قال عمرو بنُ الأهتم: أما والله يا رسولَ الله، إنه لزَمِرُ المُروءة[2]، ضيّق العَطَن[3]، أحمقُ الوالد، لئيم الخال؛ والله يا رسولَ الله ما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الأخرى؛ رَضيتُ عن ابن عمّي فقلتُ فيه أحسنَ ما فيه ولم أكْذِب، وسَخِطتُ عليه فقلت أقبحَ ما فيه ولم أكْذِب.

فقال النبيّ، عليه الصلاةُ والسلام: إنّ من البيان لَسِحْراً.

---

١ أدانيه: عشيرته الاقربين.

٢ زمر المروءة: قليلها.

٣ العطن: مبرك الابل، ويكنى به عن ضيق الصدر.

جواب عقيل

ابن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لمّا قَدِم عَقيل بنُ أبي طالب على مُعاوية ، أكرَمه وقرَّبه وقَضى حوائجه وقضى عنه دَينَه ، ثم قال له في بعض الأيام : والله إنّ علياً غير حافظ لك ، قطَع قرابتك وما وَصَلك ولا اصطنعك .

قال له عَقيل : والله لقد أجزل العَطيّةَ وأعظمها ، ووصل القَرابة وحَفِظها ، وحَسُن ظنّه بالله إذ ساء به ظنُّك ، وحَفِظ أمانَته وأصلح رعيّته إذ خُنتم وأفسدتم وجُرتم ، فاكفُف لا أبا لك ، فإنه عما تقول بمَعْزِل .

وقال له مُعاوية يوماً : أبا يزيد ، أنا لك خيرٌ من أخيك عليّ .

قال : صدقتَ ، إنّ أخي آثر دِينَه على دُنياه ، وأنت آثرت دُنياك على دِينك ، فأنتَ خيرٌ لي من أخي ، وأخي خيرٌ لنفسه منك .

وقال له ليلةَ الهَرير[1] : أبا يزيد ، أنتَ الليلةَ معنا .

•

---

١ ليلة الهرير : من ليالي صفين .

قال : نعم ، ويومَ بَدْر كنتُ معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائنٌ حيثُ تركتَ أخاكَ وترغب الى معاوية .

قال : أخونُ مني والله مَن سفك دمه بين أخي وابن عمي أن يكون أحدهُما أميراً .

•

ودخل عَقيلٌ على معاوية ، وقد كُفَّ بَصَرُه ، فأجلسه معاوية على سريره ، ثم قال له : أنتم مَعْشَرَ بني هاشم تُصابون في أبصاركم .

قال : وأنتم معشرَ بني أميَّة تُصابون في بَصائركم .

•

ودخل عُتْبة بن أبي سُفْيان ، فوسَّع له معاوية بينه وبين عَقيل ، فجلس بينهما ، فقال عَقيل : مَن هذا الذي أجْلسَ أميرُ المُؤمنين بيني وبينه ؟

قال : أخوك وابنُ عمك عُتبة .

قال : أمَا إنه إنْ كان أقربَ إليك مني إني لأقْرَبُ لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم، منك ومنه ، وأنتما مع رسول

الله ، صلى الله عليه وسلم ، أرضٌ ونحن سماء .

قال عُتبة : أبا يزيد ، أنت كما وَصَفْتَ ، ورسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، فوق ما ذكرتَ ، وأميرُ المؤمنين عالمٌ بحقك ، ولك عندنا مما تُحِبّ أكثرُ مما لنا عِنْدك مما نَكرَه .

•

ودخل عقيل على مُعاوية ، فقال لأصحابه : هذا عَقيلٌ عمّه أبو لهب .

قال له عَقيل : وهذا مُعاوية عَمَّتُه حَمّالةُ الحَطب .

وقال له مُعاوية يوماً : والله إنّ فيكم لَخَصلة ما تُعجبني يا بني هاشم :

قال : وما هي ؟

قال : لِينٌ فيكم .

قال : لينُ ماذا ؟

قال : هو ذاك .

قال : إيّانا تُعيّر يا مُعاوية ! أجل والله ، إنّ فينا لَلِيناً من غير ضَعْف ، وعِزّاً من غير جَبَروت ؛ وأما أنتم يا بني أمية ، فإنّ لِينكم غَدْر ، وعِزّكم كُفْر .

قال مُعاوية : ما كلّ هذا اردنا يا أبا يزيد .

قال عقيل :

لذي اللبّ، قبلَ اليوم، ما تُقرعُ العصا،
وما عُلّم الانسانُ إلاّ ليَعلَما

قال معاوية :

وإنّ سَفاه الشيخ لا حِلمَ بعده،
وإنّ الفتى بعد السّفاهة يَحلُمُ

وقال مُعاوية لعَقيل بن أبي طالب : لمَ جفَوتمونا يا أبا يزيد ؟

فأنشأ يقول :

إني امرؤ منّي التكرّمُ شيمةٌ،
إذا صاحبي يوماً على الهُون أضمَرا

ثم قال : وايم الله يا مُعاوية ، لئن كانت الدُّنيا مَهّدتك مِهادَها، وأظلّتك بجذافيرها، ومدّت عليك أطناب سُلطانها، ما ذاك بالذي يَزيدك منّي رغبةً، ولا تخشُّعاً لرهبة .

قال مُعاوية : لقد نعتّها أبا يزيد نَعتاً هشّ له قلبي، وإنّني لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ما ردّاني برداء مُلكها ،

وحَباني بفَضيلة عيشها ، إلا لكرامة ادَّخرها لي ؛ وقد كان داودُ خليفةً ، وسليمان مَلِكاً ، وإنما هو المِثال يُحتذى عليه ، والأمور أشباه؛ وايم الله يا أبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريماً ، وإلينا حبيباً ، وما أصبحتُ أُضمر لك إساءة .

•

ويقال إنّ امرأة عَقيل ، وهي بنت عُتبة بن رَبيعة خالة معاوية، قالت لعَقيل : يا بَني هاشم ، لا يُحبُّكم قلبي أبداً ، أين أبي ؟ أين أخي ؟ أين عمّي[1]؟ كأنّ أعناقهم أباريقُ فِضّة .

قال عقيل : إذا دخلتِ جهنم فخُذي على شمالك .

---

١ تشير الى مقتل أبيها عتبة بن ربيعة وأخيها الوليد وعمها شيبة بيد عبيدة بن الحارث وعلي وحمزة يوم بدر .

جواب ابن عباس

رضي الله عنهما لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قُريشُ الشامِ والحجازِ عند مُعاوية وفيهم عبدُ الله بن عبّاس ، وكان جريئاً على معاوية ، حقّاراً له ، فبلغه عنه بعضُ ما غمّه ، فقال مُعاوية : رحم الله أبا سُفيان والعبّاس ، كانا صَفيّين دون الناس ، فحفظتُ الميتَ في الحيّ والحيّ في الميّت .

استعملك عليٌّ يابن عبّاس على البصرة ، واستعمل أخاك عُبيدَ الله على اليمن ، واستعمل أخاك تماماً على المدينة ، فلما كان من الأمر ما كان هنأتكم بما في أيديكم ، ولم أكشفكم عمّا وَعَتْ غرائرُكم ، وقلت : آخذ اليومَ وأعطي غداً مثلَه ؟ وعلمتُ أنّ بدء اللؤم يَضُرُّ بعاقبة الكرَم ، ولو شئتُ لأخذتُ بحلاقيمكم ، وقيّأتكم ما أكلتم ؛ ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرُك به الإبل .

وذنوبكم إلينا أكثرُ من ذُنوبنا إليكم : خذلتم عثمانَ بالمدينة ، وقتلتم أنصارَه يومَ الجمل ، وحاربتموني بصِفّين ؛ ولعَمري

لبنو تَيْم وعَديّ[1] أعظمُ ذُنوباً منّا إليكم ، إذ صَرفوا عنكم هذا الأمر ، وسَنّوا فيكم هذه السُّنّة ؛ فحتّى متى أُغضي الجُفون على القَذى ، وأسحب الذُيول على الأذى ، وأقول : لعلّ الله وعَسى ! ما تقول يابنَ عبّاس ؟

قال : فتكلّم ابنُ عبّاس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صَفيّين مُتقارضين[2] ، لم يكن لأبي من مال إلاّ ما فضَل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكنّ من هَنأ أباك بإخاء أبي أكثرُ ممن هنّأ أبي بإخاء أبيك .

نَصر أبي أباك في الجاهليّة ، وحقَن دَمَه في الإسلام ؛ وأما استعمالُ عليّ إيّانا ، فلِنَفسه دون هَواه ، وقد استعملتَ أنتَ رجالاً لهواك لا لِنَفسك ، منهم ابن الحَضْرميّ على البصرة ، فقُتل ؛ وابنُ بِشر بن أرطاة على اليمن ، فخان ؛ وحَبيب ابن مُرّة على الحجاز ، فرُدّ ؛ والضحّاك بن قيس الفِهْري على الكُوفة ، فحُصِب ؛ ولو طَلبتَ ما عندنا وَقَينا أعراضنا .

وليس الذي يبلغك عنّا بأعظم من الذي يَبلغنا عنك ، ولو وُضع أصغرُ ذُنوبكم إلينا على مائة حَسنة لَمَحقَها ، ولو وُضع

---

١ بنو تيم : قوم أبي بكر . بنو عدي : قوم عمر بن الخطاب .
٢ التقارض : المجازاة .

أدنى عُذْرنا إليكم على مائة سيئة لَحَسَّنها .

وأما خَذَلْنا عثمان ، فلو لزِمَنا نَصْرُه لنصرناه ؛ وأمّا قَتْلنا أنصارَه يوم الجمل ، فعلى خُروجهم مما دَخلوا فيه ؛ وأمّا حَربُنا إيّاك بصِفّين ، فعلى تَرْكك الحقّ وادعائك الباطلَ ؛ وأمّا إغراؤُك إيّانا بتَيْم وعَديّ ، فلو أرَدناها ما غَلَبونا عليها . وسَكَت .

فقال في ذلك ابنُ أبي لَهب :

كانَ ابنُ حَرب عظيمَ القَدر في النّاسِ ،
حتى رَماه بما فيه ابنُ عبّاسِ

ما زال يُهْبِطه ، طَوراً ، ويُصْعِده
حتى استقاد ، وما بالحقّ من باس

لم يَترُكَنْ خُطّةً مِمّا يُذَلّله ،
إلاّ كواه بها في فَروة الرّاس

•

وقال ابنُ أبي مُليكة : ما رأيتُ مِثلَ ابنِ عبّاس ! إذا رأيتَه رأيتُ أصبحَ الناس ، وإذا تكلّم فأعربُ الناس ، وإذا أفتى فأفقه الناس ، ما رأيتُ أكثرَ صواباً ، ولا أحضر جواباً من ابن عبّاس .

•

ابن الكَلْبِيّ قال : أقبل معاويةُ يوماً على ابن عبّاس ، فقال : لو وَلِيتموننا ما أتيتُم إلينا ما أتينا إليكم من التّرحيب والتّقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصَبْري على ما صبرتُ عليه منكم ، وإني لا أُريد أمراً إلاّ أظْمأتم صَدَرَه[1] ، ولا آتي مَعروفاً إلاّ صَغّرتم خطَرَه ، وأُعطيكم العطيّة فيها قَضاءُ حُقوقكم فتأخذونها متكارهين عليها ، تقولون : قد نَقَصَ الحقّ دون الأمل ؛ فأيّ أملٍ بعد ألف ألف أُعطيها الرجلَ منكم ، ثم أكُون أسَرّ بإعطائها منه بأخذها !

والله لئن انخدعتُ لكم في مالي، وذَلَلتُ لكم في عِرضي ، أرى انخداعي كَرماً ، وذُلّي حِلْماً . ولو وَلِيتُمونا رَضينا منكم بالانتصاف، ولا نَسألكم أموالكم، لعلمنا بحالنا وحالكم، ويكون أبغضَها إلينا وأحبّها إليكم أن نُعفيكم .

فقال ابنُ عبّاس : لو وَلينا أحسنّا المُواساة، وما ابتُلينا بالأَثَرة ، ثم لم نَغشِم الحيّ ، ولم نَشتُم الميت ؛ ولستُم بأجود منّا أكُفّاً ، ولا أكرمَ أنفُساً ، ولا أصْونَ لأعراض المروءة؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدُّنيا ، وأعطى في الحق منكم

---

[1] الصدر : الصدور من الماء . اظمأتم صدره : جعلتموه حقيراً لا يغني الوارد ولا يبل ريقاً ولا يشفي ظمأ .

في الباطل، وأعطى على التقوى منكم على الهوى؛ والقَسْم بالسوية والعَدْلُ في الرعيّة يأتيان على المُنى والأمل .

ما رِضاكم مِنّا بالكَفاف ! فلو رَضيتم به منّا لم تَرضَ أنفسنا به لكم، والكَفاف رِضا مَن لا حَقّ له ، فلا تُبخّلونا حتى تَسألونا ، ولا تَلْفِظونا حتى تَذُوقونا .

•

أبو عثمان الحِزاميّ قال : اجتمعت بنو هاشم عند مُعاوية فأقبل عليهم ، فقال : يا بني هاشم ، والله إنّ خيري لكم لَمَمنوح ، وإنّ بابي لكم لمفتوح ، فلا يَقطع خَيري عنكم عِلّةٌ ، ولا يُوصِد بابي دونكم مسألة ، ولما نظرتُ في أمري وأمركم رأيتُ أمراً مُختلفاً ؛ إنكم لَتَرون أنكم أحقُّ بما في يدي منّي ، وإذا أعطيتُكم عطيّة فيها قضاءُ حقّكم ، قُلتم : أعطانا دون حقّنا ، وقَصّر بنا عن قَدْرنا ، فصِرتُ كالمَسلوب، والمَسلوب لا حَمْدَ له ؛ وهذا مع انصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابنُ عبّاس فقال : والله ما مَنحْتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فَتحتَ لنا باباً حتى قَرَعناه ، ولئن قطعتَ عنّا خيرَكَ لَلّهُ أوسعُ منك، ولئن أغلقت دوننا بابك لَنكُفَّنّ أنفسنا عنك .

واما هذا المالُ ، فليس لك منه إلا ما لِرجلٍ من المُسلمين ، ولنا في كتاب الله حقّان : حَقٌّ في الغنيمة ، وحقٌّ في الفيء[1] ، فالغنيمةُ ما غلبنا عليها ، والفَيءُ ما اجتنبناه . ولولا حقُّنا في هذا المال لم يأتِك منّا زائر ، يَحمله خُفٌّ ولا حافر ، أكَفاك أم أزيدك ؟

قال : كَفاني ، فإنك لا تُهَرّ ولا تُنبح .

•

وقال يوماً مُعاوية ، وعنده ابنُ عبّاس : إذا جاءت هاشمٌ بقَديمها وحَديثها ، وجاءت بنو أميّة بأحلامها وسِياستها ، وبنو أسد بن عبد العزّى بِرِفادتها ودِياتها ، وبنو عبد الدّار بحجابها ولوائها ، وبنو مَخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تَيم بصدّيقها وجَوادها[2] ، وبنو عَديّ بفاروقها ومُفكرها[3] ، وبنو سَهْم بآرائها ودَهائها ، وبنو جُمح بشَرفها وأنفتها ، وبنو عامر بن لُؤيّ بفارسها وقَريعها[4] ، فمن ذا يُجلّي في مِضمارها ، ويَجري

---

١ الفيء : ما يعود على المسلمين من اموال المشركين بدون حرب ، بخلاف الغنيمة التي تغنم في الحرب .

٢ صديقها : أبو بكر . جوادها : عبد الله بن معمر القرشي .

٣ فاروقها : عمر بن الخطاب . مفكرها : زيد بن عمرو بن نفيل .

٤ القريع : السيد والرئيس .

الى غايتها ؟ ما تقول يابنَ عبّاس ؟

قال : أقول : ليس حيٌّ يفخرون بأمر إلاّ وإلى جنبهم مَن يَشركهم ، إلاّ قريشاً فإنهم يفخرون بالنبوّة التي لا يُشارَكون فيها ، ولا يُساوَون بها ، ولا يُدفَعون عنها ؛ وأشهد أنّ الله لم يجعل محمداً من قريش إلاّ وقريشٌ خيرُ البريّة ، ولم يَجعله في بني عبد المطّلب إلاّ وهم خير بني هاشم ، ما نُريد أن نَفخر عليكم إلاّ بما تَفخرون به ، إنّ بنا فُتح الأمر وبنا يُختَمُ ، ولك مُلْكٌ مُعجّل ، ولنا مُلْكٌ مُؤجّل ، فإن يكن مُلكُكم قبل مُلكنا فليس بعد مُلكنا مُلكٌ ، لأنّا أهلُ العاقبة ، والعاقبةُ للمتّقين .

●

أبو مِخْنف قال : حجّ عمرو بنُ العاص فمرّ بعبد الله ابن عبّاس فحسَده مكانه وما رأى من هَيبة الناس له ومَوقِعه من قلوبهم ، فقال له : يابن عبّاس ، ما لك إذا رَأيتني ولّيتني القَصَرة[1] ، وكأنّ بين عينيك دَبرة[2] ، وإذا كنتَ في ملإٍ من الناس كنتَ الهَوهاة[3] الهُمَزة[4] !

١ القصرة : أصل العنق والرقبة .
٢ دبرة : قرحة .
٣ الهوهاة : الاحمق .
٤ الهمزة : العيّاب .

فقال ابنُ عبّاس : لأنك من اللئام الفَجَرة ، وقُرَيش الكرام البَررة ، لا يَنطِقون بباطلٍ جَهِلوه ، ولا يَكتمُون حقّاً عَلِموه ، وهم اعظمُ الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً .

دخلتَ في قريش ولستَ منها ، فأنت الساقطُ بين فِراشَين ، لا في بني هاشم رَحلُك ، ولا في بني عَبد شمس راحلتُك ، فأنت الأثيم الزنيم[1] ، الضّالّ المُضِلّ ، حَمَلك مُعاوية على رِقاب الناس ، فأنت تَسطو بحِلمه وتَسمو بكَرَمه .

فقال عمرو : أما والله إني لَمَسرور بك ، فهل يَنفعني عندك ؟

قال ابنُ عبّاس : حيث مال الحقُّ مِلْنا ، وحيثُ سَلَك قصَدنا .

•

المدائني قال : قام عمرو بن العاص في مَوسم من مَواسم العرب ، فأطرى مُعاوية بنَ أبي سفيان وبني أُمية وتناول بني هاشم ، وذَكر مَشاهده بصِفّين .

واجتمعت قُرَيش ، فأقبل عبدُ الله بن عبّاس على عَمرو ،

---

١ الزنيم : الدعي.

فقال : يا عمرو ، إنك بِعتَ دِينك من مُعاوية ، وأعطيتَه ما بيدك ، ومنّاك ما بيد غيرك ، وكان الذي أخذ منك أكثرَ من الذي أعطاك ، والذي أخذتَ منه دون الذي أعطيتَه ، حتى لو كانت نفسُك في يدك ألقيتَها ، وكلٌّ راضٍ بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصرُ في يدك كدّرها عليك بالعَذْل والتنقُّص .

وذكرتَ مَشاهدَك بصِفّين ، فوالله ما ثقُلتْ علينا يومئذ وطأتك ، ولقد كُشِفت فيها عورتُك ، وإنْ كنتَ فيها لطويلَ اللّسان ، قصيرَ السّنان ، آخرَ الخيل إذا أقبلتْ ، وأولها إذا أدبرتْ ، لك يَدان: يدٌ لا تبسُطها الى خير ، وأخرى لا تقبضها عن شرٍّ ؛ ولسانٌ غادر ذو وَجهين ، ووجهان : وجهٌ مُوحش ، وَوجه مؤنس .

ولعمري إنَّ من باع دينَه بدُنيا غيره ، لحريٌّ أن يطول عليها نَدمُه . لك بيانٌ وفيك خَطل ، ولك رأي وفيك نَكَد ، ولك قَدْر وفيك حَسد ، وأصغر عَيب فيك أعظمُ عَيب في غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما في قُريش أثقلُ عليَّ مسئلةً ، ولا أمرُّ جواباً منك ، ولو استطعتُ ألاّ أجيبك لفعلتُ ، غيرَ أني لم أبِع دِيني من مُعاوية ، ولكن بعتُ الله

نَفسي، ولم أنسَ نَصيبي من الدُّنيا ؛ وأمّا ما أخذتُ من مُعاوية وأعطيته ، فإنه لا تُعلَّم العَوان الخِمْرة[1] .

وأمّا ما أتى إليَّ معاويةُ في مِصر ، فإنّ ذلك لم يُغيّرني له ؛ وأمّا خِفّة وَطأتي عليكم بصفّين ، فلِمَ استثقلتم حَياتي واستبطأتم وَفاتي ؟ وأمّا الجُبن، فقد علمتْ قريش أنّي أوّل من يُبارز ، وأمرُ من يُنازل ؛ وأمّا طُول لساني ، فإنّي كما قال هِشام بن الوليد[2] لعُثمان بن عفّان ، رضي الله عنه :

لساني طويلٌ ، فاحترس من شَذاته
عليك ، وسَيفي من لسانيَ أطْول[3]

وأمّا وَجْهاي ولِساناي ، فإني ألقى كلَّ ذي قَدْر بقَدْره ، وأرمي كلَّ نابح بحَجَره ، فمن عَرف قَدْرَه كفاني نفسَه ، ومَن جهل قَدْرَه كَفيتُه نَفسي . ولعَمْري ما لأحدٍ من قُريش مثلُ قَدْرِك ما خلا مُعاوية ، فما يَنفعني ذلك عندك ؟ وأنشأ عمرو يقول :

---

١ مثل يضرب للمجرب العارف بأمره . ومعناه ان المرأة المتزوجة تعرف كيف تتقنع بمنديلها ، لا تحتاج الى من يعلمها .
٢ هشام بن الوليد : هو أخو خالد بن الوليد .
٣ الشذاة : الحدّة .

بَني هاشم ما لي أراكم ، كأنّكم
بيَ اليومَ جُهّالٌ ، وليس بكم جَهلُ

ألم تَعلموا أنّي جَسُورٌ على الوغى ،
سريعٌ الى الداعي ، إذا كَثُرَ القَتلُ

وأوّلُ مَن يَدعو نَزالِ ، طَبيعةٌ ،
جُبِلتُ عليها، والطّباع هو الجَبْلُ[1]

وأني فَصَلتُ الأمرَ ، بعد اشتباهه ،
بدُومةَ ، إذ أعيا على الحَكَم الفَصْلُ[2]

وأنّيَ لا أعيا بأمْرٍ أريدُهُ ؛
وأني ، إذا عَجّت بِكارُكُمُ ، فَحْل

•

محمد بن سَعيد عن إبراهيم بن حُوَيْطب قال : قال عمرُو ابن العاص لعبد الله بن عبّاس بعد قَتْل عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : إنّ هذا الأمرَ ، الذي نحن فيه وأنتم ، ليس

---

١ الطباع : الطبع . الجبل : الخلقة .
٢ دومة : يريد دومة الجندل وبها كان التحكيم بين علي ومعاوية .

بأوّل أمر قادَه البَلاءُ ، وقد بَلَغ الأمرُ بنا وبكم الى ما ترى، وما أبقت لنا هذه الحربُ حَياةً ولا صَبْراً ، ولسنا نقول : ليتَ الحربَ عادتْ ، ولكنّا نقول : ليتَها لم تكُن كانت ، فانظُر فيما بَقِي بغير ما مضى، فإنك رأسُ هذا الأمر بعد عليّ ، فإنك أميرٌ مُطاع ، ومأمور مُطيع ، ومُشاوَر مَأمون ، وأنت هو .

•

مجاوبة بني هاشم

وبني عبد شمس لابن الزبير

١

الشّعبيّ قال : قال ابنُ الزُّبير لعبد الله بن عبّاس : قاتلتَ أمَّ المؤمنين وحَواريَّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأفتيتَ بزواج المُتعة .

فقال : أمّا أمّ المؤمنين فأنت أخرجتَها وأبوك وخالُك ، وبنا سُمّيتْ أمَّ المؤمنين ، وكُنّا لها خيرَ بَنين ، فتجاوز الله عنها .

وقاتلتَ أنت وأبوك عليّاً ، فإن كان عليّ مؤمناً ، فقد ضَلَلْتم بقتالكم المؤمنين ، وإنْ كان عليّ كافراً ، فقد بُؤتم بسُخْط مِن الله بفِراركم من الزّحف .

وأمّا المُتعة ، فإنّ عليّاً ، رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، رَخّص فيها فأفتيتُ بها ، ثم سمعتُه يَنهى عنها فنهيتُ عنها ، وأولُ مِجْمَر سَطَع في المُتعة مِجْمَر آل الزُّبير[1] .

•

---

١ المجمر : ما يوضع فيه الجمر . والمراد بالمتعة هنا متعة الحج .

دخل الحسنُ بن عليّ على معاوية ، وعنده ابن الزُّبير وأبو سَعيد بن عَقيل بن أبي طالب ، فلمّا جَلس الحسنُ ، قال معاوية: يا أبا محمد ، أيهما كانَ أكبرَ : عليّ أم الزُّبير ؟

قال : ما اقربَ ما بينهما ! عليّ كان أسنّ من الزُّبير ، رحم الله علياً .

فقال ابن الزبير : ورحم الله الزبير .

فتبسّم الحسن . فقال أبو سَعيد بن عَقيل بن أبي طالب : دَعْ عنك علياً والزُّبير ، إنّ علياً دعا الى أمر فاتُّبع ، وكان فيه رأساً ، ودعا الزُّبير الى أمر كان فيه الرأسُ امرأةٌ ، فلمّا تراءت الفِئتان والتقى الجمعان نَكَص الزُّبير على عَقِبيه وأدبر مُنهزماً قبل أن يَظهر الحقُّ فيأخذَه أو يَدحض الباطلُ فيتركه ، فأدركه رجل لو قِيس ببعض أعضائه لكان أصغر ، فضرب عنقه وأخذ سَلَبه وجاء برأسه[1] .

ومضى عليٌّ قُدُماً كعادته مع ابن عمّه ونبيّه ، صلى الله عليه وسلم ، فرَحم الله علياً ولا رَحم الزُّبير .

فقال ابنُ الزُّبير : أما والله لو انّ غيرك تكلّم بهذا يا أبا سَعيد لَعَلِم .

---

[1] يشير الى عمرو بن جرموز الذي قتل الزبير يوم الجمل .

قال : إنّ الذي تُعرّض به يَرغب عنك .

وأُخبرت عائشة بمقالتهما ، فمرّ أبو سعيد بفِنائها فنادته : يا أحول يا خَبيث ! أنت القائل لابن اختي كذا و كذا ؟

فالتفت أبو سَعيد فلم يَرَ شيئاً ، فقال : إنّ الشيطان ليَراك من حيث لا تراه .

فضَحِكت عائشةُ وقالت : لله أبوك ! ما أخبث لسانك !

•

الشّعبي قال : دخل الحُسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مَوْلى له يقال له ذَكْوان ، وعند مُعاوية جماعةٌ من قُريش فيهم ابنُ الزُّبير ، فرَحّب مُعاوية بالحُسين وأجْلسه على سَريره ، وقال : ترى هذا القاعدَ ، يعني ابنَ الزُّبير ، فإنه ليُدركه الحسدُ لبني عبد مناف .

فقال ابنُ الزُّبير لمعاوية : قد عَرَفنا فضلَ الحُسين وقَرابته من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لكنْ إن شِئتَ أن أعْلمك فضلَ الزُّبير على أبيك أبي سُفيان فعلت .

فتكلّم ذكوانُ مولى الحُسين بن عليّ ، فقال : يابن الزُّبير ، إنّ مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا يكون طَلْق اللّسان ، رابطَ الجَنان ، فإن نَطق نَطق بعِلْم ، وإن صَمت صَمت

بحِلْم ، غيرَ أنه كَفَّ الكلام وسَبَق الى السِّنان ، فأقرّتْ بفَضْله الكرام ، وأنا الذي أقول :

فِيم الكـلامُ لسابقٍ في غـايةٍ ؛
والنـاسُ بـين مُقَصّر ومُبَلّدِ

إنّ الذي يَجْري لِيُـدْرِك شأوَه ،
يُنْمى بغـيرِ مُسوّدٍ ومُسدّد

بل كيف يُدْرَك نُورُ بـدرٍ ساطعٍ ،
خـيرِ الأنامِ ، وفرعِ آل محمـد !

فقال مُعاوية : صَدَق قولُك يا ذَكوان ، أكثر الله في مَوالي الكِرام مِثلَك .

فقال ابنُ الزُّبير : إنّ أبا عبـد الله سَكَتَ ، وتكلّم مولاه ، ولو تكلّم لأجَبناه ، أو لكَفَفنا عن جوابه اجلالاً له ، ولا جوابَ لهذا العبد .

قال ذَكوان : هذا العبدُ خيرٌ منك ، قال رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم : مولى القوم منهم . فأنا مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابنُ الزُّبير بن العوّام بن خُويلد ، فنحن أكرمُ ولاءً وأحسن فعلاً .

قال ابنُ الزُّبير : إني لست أجيب هذا ، فهاتِ ما عندك يا معاوية .

فقال مُعاوية : قاتلك الله يابنَ الزُّبير ! ما أعياك وأبغاك ! أتفخر بين يدي أمير المُؤمنين وأبي عبد الله ! إنّك أنت المُتعدّي لِطَورك[1] ، الذي لا تَعرف قَدْرَك ، فقِسْ شِبرك بفِترك ، ثم تعرّف كيف تقع بين عِرانين بني عَبد مَناف .

أما والله لئن دُفِعْتَ في بُحور بني هاشم وبني عبد شمس لقطّعتْك بأمواجها ، ثم لترمينّ بك في لُججها . فما بقاؤك في البحور إذا غمرتْك ، وفي الأمواج إذا بَهَزَتْك[2] ! هنالك تعرف نفسَك ، وتَندم على ما كان من جُرأتك ، وتمنّى ما أصبحتَ فيه من امان ، وقد حِيل بين العَير والنَّزَوان .

فأطرق ابن الزُّبير ملياً ، ثم رفع رأسه فالتفت الى من حوله ، ثم قال : أسألكم بالله ، أتعلمون أنّ أبي حواريُّ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، وأن أباه أبا سُفيان حاربَ رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأن أمّي أسماءُ بنت أبي بَكْر الصدّيق ، وأمّه هِند آكلة الأكباد ، وجدّي الصدّيق ، وجدّه[3] المَشدوخ ببدر ورأسُ الكفر ، وعمّتي خديجة ذات

---

١ الطور : الحد بين الشيئين . المتعدي لطوره : الذي جاوز حده وقدره .
٢ البهز : الدفع الشديد .
٣ يريد عتبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه .

الخطر والحَسب ، وعمَّته أمّ جَميل حمّالةُ الحَطَب ، وجدّتي صفيّة[1] ، وجدّته حمامة ، وزَوْجَ عمّتي خيرُ ولد آدم محمدٌ ، صلى الله عليه وسلم ، وزوج عمّته شرُّ ولد آدم أبو لهب سَيصلى ناراً ذات لهب، وخالتي عائشة امّ المؤمنين، وخالته أشقى الأشقين[2] ، وأنا عبدُ الله وهو مُعاوية .

قال له معاوية : ويحك يابن الزُّبير ! كيف تَصف نفسك بما وصفتَها ؟ والله ما لك في القديم من رياسة، ولا في الحديث من سياسة ، ولقد قُدْناك وسُدْناك قَديماً وحَديثاً ، لا تستطيع لذلك انكاراً ، ولا عنه فِراراً ، وإنّ هؤلاء الخُصوم ليعلمون أن قريشاً قد اجتمعت يوم الفِجار على رياسة حرب بن أمية ، وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضُون بإمارته غير مُنكرين لِفَضْله ولا طامعين في عَزله ، إنْ أمرَ أطاعوا ، وإن قال أنْصتوا، فلم تزَل فينا القيادةُ وعِزُّ الولاية حتى بَعث الله، عزّ وجلّ، محمداً، صلى الله عليه وسلم، فانتخبه من خير خَلْقه ، من أسرتي لا من أسرتك، وبَني أبي لا بني أبيك ، فجحدته قريش أشدّ الجُحود، وأنكرته أشدّ الإنكار، وجاهدته أشدّ الجهاد،

---

١ صفية بنت عبد المطلب .
٢ هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة .

إلاّ مَن عصم اللهُ من قُريش ؛ فما ساد قُريشاً وقادهم إلاّ أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفِئتان تَلتقي ، ورئيس الهُدى منّا ورئيس الضّلالة منّا ، فمَهديّكم تحت راية مَهديّنا ، وضالّكم تحت راية ضالّنا ، فنحنُ الأربابُ وأنتم الأذناب ، حتى خلّص الله أبا سفيان بن حَرب بفَضْله من عَظيم شِرْكه ، وعَصمه بالاسلام من عبادة الأصنام ، فكان في الجاهليّة عظيماً شأنُه ، وفي الاسلام مَعروفاً مكانُه ، ولقد أُعْطِي يومَ الفتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك ، وإنّ مُنادِيَ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نادى : مَن دخل المَسجد فهو آمِن ، ومن دخل دارَ أبي سُفيان فهو آمن ؛ وكانت دارُه حَرَماً ، لا دارُك ولا دارُ ابيك .

وأما هِنْد ، فكانت امرأة من قُريش ، في الجاهليّة عظيمة الخطر ، وفي الاسلام كريمة الخَبر .

وأمّا جَدُّك الصدّيق ، فبِتَصديق عبد مناف سُمّي صِدّيقاً لا بتَصْديق عبد العُزّى .

وأما ما ذكرتَ من جَدّي المَشْدوخ ببدر ، فلعَمري لقد دعا الى البِراز هو وأخوه وابنُه ، فلو بَرزتَ إليه أنتَ وأبوك ما بارزُوكم ولا رَأوكم لهم أكفاء ، كما قد طَلب ذلك غيرُكم فلم يَقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بني أبيهم ، فقضى الله

مَنَاياهم بأيديهم ، فنحن قَتلنا ونحن قُتلنا ، وما أنت وذاك .

وامّا عمّتك أمّ المؤمنين ، فبنا شَرُفت وسُمّيت أمّ المؤمنين ، وخالتك عائشة مثلُ ذلك . وأمّا صَفيّة ، فهي أدْنتك من الظلّ ولولاها لكُنتَ ضاحياً .

وأمّا ما ذكرت من عمّك[1] وخال أبيك[2] سيّد الشهداء ، فكذلك كانوا رَحمهم الله ، وفخرُهم وإرثُهم لي دونك ، ولا فخر لك فيهم ، ولا إرثَ بينك وبينهم . وأما قولك أنا عبدُ الله وهو معاوية ، فقد علمتْ قُريش أيّنا أجودُ في الأزَم[3] وأمضى في القُدُم[4] وأمنع للحُرَم .

لا والله ما أراك مُنتهياً حتى تَرُوم من بني عبد مناف ما رامَ أبوك ، فقد طالبهم بالذُّحول[5] ، وقدم إليهم الخُيول ، وخَدَعتم أم المؤمنين ، ولم تراقبوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ مَددتم على نسائكم السُّجوف ، وأبرزتم زوجته للحُتوف ، ومُقارعة السُّيوف ، فلمّا التقى الجمعان نكص

١ السائب بن العوام .

٢ حمزة بن عبد المطلب .

٣ الازم : الشدائد .

٤ القدم : المضي أمام أمام في الحرب .

٥ الذحول ، واحدها ذحل : الثأر .

أبوكَ هارباً ، فلم يُنْجِهِ ذلك أن طحنَه أبو الحُسَين بكَلْكَلِه طَحْنَ الحَصِيد بأيدي العبيد .

وأما أنت، فأفلتَّ بعد أن خمشتْكَ بَراثنُه ونالتك مخالبُه. وايم الله ، ليقومَنَّكَ بنو عبد مَناف بثقافها أو لتصبحنَّ منها صِياح أبيك بوادي السِّباع[1]، وماكان أبوكَ المرهوبَ جانبُه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أكِيلة سِرْحانٍ ، فريسة ضَيْغَمٍ ،
فقَضْقَضه بالكفِّ منه ، وحَطَّما[2]

•

نازع مَروانُ بن الحكَم يوماً ابنَ الزُّبير عند مُعاوية ، فكان هَوى مُعاوية مع مَروان، فقال ابنُ الزُّبير : يا معاوية ، إنَّ لك حقاً وطاعة ، وإنَّ لك صِلة وحُرمة ، فأطِع الله نُطِعْك، فإنه لا طاعة لك علينا إنْ لم تُطِع الله، ولا تُطْرِق إطراق الأُفعوان في أصول السَّخبر[3].

•

وقال مُعاوية يوماً وعنده ابنُ الزُّبير ، وذُكر له مروان

---

١ وادي السباع : بين البصرة ومكة ، فيه قُتل الزبير .
٢ الأكيلة : كالفريسة . قضقضه : كسره .
٣ السخبر : شجر تألفه الحيات، الواحدة سخبرة، والمعنى لا تتغافل عما نحن فيه .

فقال : إنْ يَطْلب هذا الأمرَ فقد يَطمع فيه مَن هو دُونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فَوقــه ، وما أراكم بمُنتَهين حتى يَبعَثَ الله عليكم من لا تَعطِفه قَرابـة ، ولا تردّه مَودّةٌ ، يسُومكم خَسْفاً ، ويُوردكم تلفاً .

قال ابنُ الزُبير : إذاً والله نُطلق عِقـال الحرب بكتائب تمور كرِجل[1] الجَراد ، حافاتها الأسَل ، لها دَوِيٌّ كدويِّ الرّيح ، تَتبــع غِطْرِيفاً من قُرَيش ، لم تكن أُمُّــه براعية ثَلّة[2] .

قال مُعاوية : أنا ابنُ هِنْد ، أطلقتُ عِقال الحرب، وأكلت ذرْوة السَّنام، وشربتُ عُنفوان المَكْرع[3]، وليس للآكل بَعدي إلاّ الفِلذة ، ولا للشارب إلاّ الرَّنْق[4] .

---

١ الرجل : القطعة العظيمة من الجراد .
٢ الثلة : جماعة الغنم .
٣ اراد بعنفوان المكرع : اول الماء ، والمكرع ، من الكرع : ماء السماء .
٤ الرنق : الماء الكدر .

مجاوبة الحسن

ابن علي لمعاوية وأصحابه

وفد الحسنُ بن عليّ على معاوية ؛ فقال عمرو لمعاوية : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الحسن لفه[1] ، فلو حملتَه على المِنبر فتكلّم وسَمِع الناسُ كلامَه عابُوه وسَقط من عيونهم .

ففَعَل . فصعِد المِنبر وتكلّم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم ابناً لنبيّكم ما بين لابتَيها[2] لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإن أدري[3] لعلّه فِتنة لكم ومتاع الى حين .

فساء ذلك عَمراً وأراد أن يَقطع كلامَه ، فقال له : أبا محمد ، أتَصِف الرُّطَب ؟

فقال : أجل ، تُلقحه الشّمال ، وتُخرجه الجَنوب ، وتُنضجه الشّمس ، ويَصبغه القمر .

قال : أبا محمد ، هل تَنعت الخِراءة ؟

---

١ الفه : العي .

٢ اللابة: الحرة ، وقوله بين لابتيها ، اي بين لابتي المدينة وهما حرتان تكتنفانها .

٣ ان ادري : ما ادري .

قال : نعم ، تُبعد المَشي في الأرض الصَّحْصح[1] حتى تَتوارى من القَوم ، ولا تَستقبل القِبلة ولا تَستدبرها ، ولا تَستنجِ بالقُمامة والرِّمّة ، يريد الرَّوث والعَظْم ، ولا تَبُلْ في الماء الرَّاكد .

•

بينما مُعاوية بن أبي سُفيان جالسٌ في أصحابه إذ قيل له : الحسنُ بالباب ، فقال معاوية : إنْ دخل أفسد علينا ما نحن فيه .

فقال له مروان بن الحَكَم : ائذن لي، فإني أسأله ما ليس عنده فيه جَواب .

قال مُعاوية : لا تَفعل ، فإنهم قَومٌ قد أُلهِموا الكلامَ ، وأذِن له .

فلما دَخل وجَلس ، قال له مَروان : أسْرعَ الشيبُ الى شاربك يا حسن ، ويُقال إنّ ذلك من الخُرْق .

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكنّا ، معشر بني هاشم ، أفواهُنا عَذبةٌ شِفاهُنا ، فنساؤنا يُقْبِلن علينا بأنفاسهنّ وقُبَلِهِنّ ، وأنتم معشرَ بني أمية فيكم بَخَر شديد ، فنساؤكم

---

١ الصحصح : ما استوى من الأرض .

يصْرِفن أفواههنّ وأنفاسهنّ عنكم الى أصداغكم ، فإنما يَشيب منكم موضعُ العِذار من أجل ذلك .

قال مَروان : إنّ فيكم يا بني هاشم خَصْلةَ سوء .

قال : وما هي ؟

قال : الغُلْمة .

قال : أجل ، نُزعت الغُلْمة من نسائنا ووُضعت في رجالنا ، ونُزِعت الغُلْمة من رجالكم ووُضعت في نِسائكم ، فما قام لأموية إلاّ هاشميّ .

فغَضِب مُعاوية ، وقال : قد كنتُ أخبرتكم فأبيتم حتى سَمِعتم ما أظلم عليكم بَيتكم ، وأفسد عليكم مَجلِسكم .

فخَرج الحسنُ وهو يقول :

ومارستُ هذا الدّهرَ خمسين حِجّةً ،
وخَمساً أُزَجّي، قائلا بعد قائلِ[1]

فلا أنا في الدُّنيا بلغتُ جَسيمَها ،
ولا في الذي أهْوى كدحتُ بطائلِ

وقد شَرَعتْ دوني المَنايا أكُفّها ،
وأيقنتُ أنّي رَهْن مَوتٍ مُعاجلِ

●

---

١ أزجي : أدفع .

قال الحسن بن عليّ لحبيب بن مَسْلمة الفِهْري : رُبَّ مَسير لك في غَيرِ طاعة الله .

قال : امّا مَسيري الى أبيك فلا .

قال : بلى ، ولكنّك أطعتَ مُعاوية عن دُنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دُنياك لقد قَعد بك في آخرتك ، ولو كنتَ إذ فعلتَ شرّاً قُلتَ خيراً كنتَ كما قال الله، عزّ وجلّ : « خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سيّئاً » ، ولكنّك كما قال الله : « بَل رانَ على قُلوبِهم ما كانوا يَكسِبُون . »

•

قَدِم عبدُ الله بن جعفر على عبد الملك بن مَروان ، فقال له يحيى بنُ الحَكَم : ما فعلتْ خَبيثة[1] ؟

فقال : سُبحان الله ! يُسمّيها رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم، طَيْبة وتُسمّيها خَبيثة ! لقد اختلفتما في الدُّنيا وستَختلفان في الآخرة .

قال يحيى : لأن أموت بالشام أحبُّ إليّ مِن أن أموت بها .

---

١ يريد المدينة .

قال : اخترت جوار النّصارى على جِوار رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

قال يحيى : ما تقول في عليّ وعثمان ؟

قال : أقول ما قاله مَن هو خيرٌ منّي فيمن هو شرٌّ منهما : « إن تُعذّبهم فإنّهم عِبادُك وإن تَغفِرْ لهم فإنّك أنت العزيزُ الحكيم . »

•

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

قال مُعاوية يوماً وعنده الضَّحَّاك بن قَيس وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص : ما أعجبُ الأشياء ؟

قال الضحَّاك بن قيس : إكْداء العاقل وإجداء الجاهل .

وقال سعيدُ بن العاص : أعجبُ الأشياء ما لم يُرَ مثلُه .

وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء غَلَبة مَن لا حقّ له ذا الحقّ على حقّه .

فقال معاوية : أعجب من هذا أن تُعطي مَن لا حقّ له ما ليس له بحق من غير غَلَبة .

•

حضر قومٌ من قُريش مجلسَ مُعاوية ، فيهم عمرو بن العاص وعبدُ الله بن صفْوان بن أمية وعبدُ الرحمن بن الحارث ابن هشام . فقال عمرو : أحمد الله يا مَعْشرَ قُريش إذ جعل أمْرَكم الى من يُغْضي على القَذى ، ويتصامُّ عن العَوراء ، ويجرُّ ذيلَه على الخَدائع .

قال عبدُ الله : لو لم يكن كذلك لَمَشينا إليه الضَّراء[1]، ودَببنا إليه الخَمَر[2]، ورَجونا أن يقوم بأمرنا من لا يُطْعمك مالَ مصر .

قال معاوية : يا معشر قُريش ، حتى متى لا تُنصِفون من أنفسكم ؟

قال عبدُ الرحمن بن الحارث : إن عَمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك ، ولو أغضبتك هذه .

قال : إن عَمراً لي ناصح .

قال عبدُ الرحمن : فأطعِمْنا مثلَ ما أطعمته ، وخُذْنا بمثل نَصيحته ؛ إنا رأيناك يا مُعاوية تَضرب عوامَّ قُريش بأياديك في خواصّها ، كأنّك ترى أن بكرامها قوَّتك دون لئامها ، وإنك والله لتُفرغ في إناء فَعْم من إناء ضخم ، وكأنك بالحرب قد حلَّ عِقالُها عليك مَن لا يَنظُرك .

قال مُعاوية : يابن أخي ، ما أحوج أهلَك إليك ، فلا تَفجعهم بنفسك . ثم أنشد :

---

١ الضراء : الشجر الملتف .

٢ الخمر : كل ما واراك من شجر أو بناء أو غيره ، وهذا كناية عن الختل .

أغَرَّ رجالاً من قريش تتايَعوا،
على سَفه، منّي الحَيا والتّكرُّمُ[1]

•

وقال مُعاوية لابن الزُّبير: تُنازعني هذا الأمرَ كأنّك أحقُّ به منّي!

قال: لِمَ لا أكون أحقَّ به منك يا مُعاوية، وقد اتّبع أبي رسولَ الله، صلى الله عليه وسلم، على الايمان، واتّبع الناسُ أباكَ على الكُفر.

قال له مُعاوية: غَلِطت يابن الزُّبير، بعث الله ابنَ عمّي نبيّاً، فدعا أباكَ فأجابه، فما أنت إلا تابع لي، ضالاًّ كنتُ أو مَهديّاً.

•

العُتبيّ قال: دعا مُعاويةُ مَروانَ بن الحكم، فقال له: أشِر عليّ في الحُسين.

قال: تخرجه معك الى الشام فتَقطعه عن اهل العراق وتَقطعهم عنه.

قال: أردتَ والله أن تستريح منه وتَبتَليني به، فإن

---

١ تتايعوا: اسرعوا الى الشر.

صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره ، وإن أسأتُ إليه كُنْتُ قد قطعتُ رحمه .

فأقامه ، وبعث الى سعيد بن العاص ، فقال له : يا أبا عثان ، أشِر عليّ في الحُسين .

قال : إنك والله ما تخاف الحسين إلاّ على مَن بَعدك ، وإنك لتُخلّف له قِرناً إن صارعه ليَصرعنّه ، وإنْ سابقه ليَسبقنّه ، فَذَرِ الحُسين منبتَ النّخلة ، يشرب من الماء ، ويَصعد في الهواء ، ولا يَبلغ الى السماء .

قال : فما غيّبك عنّي يوم صِفّين ؟

قال : تَحمّلتُ الحُزم ، وكُفيتَ الحَزم[1] ، وكنتُ قريباً ، لو دعوتَنا لأجبناك ، ولو أمرت لأطعناك .

قال معاوية : يا أهل الشام ، هؤلاء قومي وهذا كلامهم .

---

١ الحزم ، بضم الحاء ، واحدها حزام : ما يُشد به وسط الدابة ، ويريد انه تحمل شؤون النقل والحمولة. الحزم، بفتح الحاء: ضبط الأمر واحكامه والأخذ فيه بالثقة .

مجاوبة بين بني أمية

قال: لما أخرج أهلُ المدينة عمرو بن سعيد الأشدق، وكان واليهم بعد الوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان، قال عمرو ابن سَعيد لمعاوية: إنّ الوليد بن عُتبة هو الذي أمر أهل المدينة بإخراجي، فأرسِلْ إليه وتوثّقه.

فأرسل إليه مُعاوية، فلما دخل عليه، قال له عمرو: أوليد، أنت أمرت بإخراجي؟

قال: لا، ورَحِمك أبا أمية، ولا أمرتُ أهلَ الكوفة بإخراج أبيك، بل كيف أطاعني أهلُ المدينة فيك إلا أن تكون عَصيتَ الله فيهم، إنك لتَحلُّ عُرَى مُلك شَديدةً عُقدتها، وتَمري أخلاف فيقة[1] سريعة دِرّتها، وما جَعل الله صالحاً مُصْلِحاً كفاسد مُفْسِد.

•

جلس يوماً عبدُ الملك بن مَروان وعند رأسه خالدُ بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعند رجليه أمية بن عبد الله بن

---

١ تمري: تمسح. الفيقة: اللبن يجتمع في الضرع ما بين الحلبتين.

خالد بن أسيد، وأُدخلت عليه الأموالُ التي جاءت من قِبَل الحجّاج حتى وُضعت بين يديه، فقال: هذا والله التّوفير وهذه الأمانة! لا ما فعل هذا، وأشار الى خالد، استعملتُه على العراق فاستعمل كلّ مُلِطّ[1] فاسق، فأدّوا إليه العَشرة واحداً، وأدّى إليّ من العَشرة واحداً.

واستعملتُ هذا على خُراسان، وأشار الى أمية، فأهدى إليّ بِرْذونين حَطِمَين[2]، فإن استعملتكم ضَيّعتم، وإن عزلتكم قلتم استخفّ بنا وقَطع أرحامنا.

فقال خالدُ بن عبد الله: استعملتَني على العراق وأهلُه رجلان: سامع مُطيع مُناصح، وعدوّ مُبْغض مُكاشح، فأما السامع المُطيع المُناصح، فإنّا جَزَيناه ليزداد وُدّاً الى وُدّه، وأمّا المُبغض المُكاشح، فإنّا دارَيْنا ضِغْنه، وسَللنا حِقده، وكَثّرنا لك المَودّة في صدور رَعيّتك؛ وإنّ هذا جَبَى الأموالَ، وزَرع لك البَغضاءَ في قلوب الرّجال، فيُوشك أن تَنبُت البغضاء، فلا أموالَ ولا رجال.

---

١ الملط: الذي يمنع الحق.

٢ حطمين: هزيلين قد أسنّا فضعفا.

فلما خَرج ابنُ الأشعث قال عبدُ الملك : هذا والله ما قال خالد .

•

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشامَ فأتى عمّته آمنة بنتَ سَعيد بن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيدَ بن مُعاوية ، فدخل عليه خالد فرآه ، فقال له : ما يَقدَم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلاّ اختار المُقام عندنا على المدينة .

فظَنّ محمدٌ أنه يُعرّض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قَدِم من المدينة قومٌ على النّواضح[1] فسَلَبوك مُلْكك ، وفرّغوك لطَلب الحديث ، وقراءة الكتب ، ومُعالجة ما لا تَقْدر عليه ، يعني الكيميا ، وكان يَعْملها .

•

لما عَزَل عُثمانُ عمرو بنَ العاص عن مِصر وولاّها عبدَ الله بن أبي سَرْح ، دخل عليه عمرو وعليه جُبّة ، فقال له : ما حَشْوُ جُبّتك يا عمرو ؟

قال : أنا .

قال : قد علمتُ أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن

---

١ النواضح : الابل يستقى عليها الماء ، واحدها ناضح .

اللّقاح دَرّت بعدك ألبانُها بمصر ؟
قال : لأنكم أعجفتم أولادها .

•

وقع بين ابن لعُمَر بن عبد العزيز وابن لسُليمان بن عبد الملك كلامٌ ، فجعَل ابنُ عمر يذكر فضلَ أبيه ؛ قال له ابنُ سليمان : إن شئتَ فأقلِل وإن شئت فأكثِر ، ما كان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبي . لأن سُليمان هو وَليّ عُمَر بن عبد العزيز .

•

ذَكَرُوا أنّ العبّاس بن الوليد وجماعةً من بني مَروان كانوا عند هِشام ، فذكروا الوليدَ بن يزيد فحمّقوه وعابُوه ، وكان هِشام يُبغضه، ودخل الوليدُ، فقال له العبّاس بن الوليد: كيف حُبّك للرُّوميات ؟ فإن أباك كان مشغوفاً بهن .

قال : إني لأحبّهن ، وكيف لا يُحبَبْن وهُنّ يَلِدْن مِثلَك ؟

قال : اسكُت فلستَ بالفحل يأتي عَسْبُه[1] بمثلي .
قال له هِشام : يا وليد، ما شرابك ؟
قال : شرابك يا أميرَ المؤمنين ؛ وقام فخرج .

---

[1] العسب : النسل .

فقال هشام : هذا الذي تزعمون أنه أحمق .

وقرّب الى الوليد بن يزيد فرسه ، فجمع جراميزه[1] ووثب على سرجه ، ثم التفت الى ولدٍ لهشام بن عبد الملك ، فقال : يُحسن أبوك أن يصنع مثلَ هذا ؟

قال : لأبي مائةُ عبد يصنعون مثلَ هذا .

فقال الناسُ : لم يُنصِفه في الجواب .

•

خطَب عبد الملك بن مروان بنتَ عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فقالت : والله لا تزوّجني أبا الذُّباب . فتزوّجها يحيى بن الحكم. فقال عبدُ الملك ليحيى : أما والله لقد تزوّجتْ أسْود أفوه[2] .

قال يحيى : أما إنّها أحبّتْ منّي ما كرهت منك .

كان عبدُ الملك رديءَ الفم يَدْمى فيقع عليه الذُّباب ، فسُمّي أبا الذُّباب .

---

١ الجراميز من الانسان : جسده وأعضاؤه . وجمع جراميزه : تقبّض ليثب .
٢ الأفوه : الواسع الفم .

الجواب القاطع

نَظَرَ ثابتُ بن عبد الله بن الزُبير الى أهل الشام ، فقال : إنّي لأبغض هذه الوُجوه .

قال له سَعيد بنُ عثمان : تُبغضهم لأنّهم قتلوا أباك .

قال : صدقتَ ، ولكنّ الأنصار والمهاجرين قتلوا أباك .

•

وقال الحجّاج لرجل من الخوارج : والله إنّك مِن قومٍ أبغِضهم .

قال له : أدْخل اللهُ أشَدَّنا بُغضاً لصاحبه الجنّة .

•

وقال ابنُ الباهليّ لعمرو بن مَعديكرب : إنّ مُهرَكَ لَمُقْرِف[1] .

قال : هَجينٌ[2] عَرَفَ هَجيناً مثلَه .

•

وقال الحجّاج لامرأة من الخوارج : والله لأعُدّنّكم عدّاً

---

[1] المقرف من الخيل : الذي أمه عربية وأبوه غير عربي .

[2] الهجين : ما كان أبوه عربياً وأمه غير عربية .

ولأحصُدَنّكم حصداً .

قالت له : الله يَزْرع وأنت تَحصُد ، فأين قُدْرة المَخلوق من الخالق ؟

●

وأُتِيَ الحجّاج بامرأة من الخَوارج ، فقال لأصحابه : ما تَقُولونَ فيها ؟

قالوا : عاجِلْها القَتلَ أيها الأمير .

قالت الخارجيّة : لقد كان وُزراءُ صاحبِك خَيراً من وُزرائك يا حجّاج .

قال لها : ومن صاحبي ؟

قالت : فِرعون ، استشارهم في موسى ، فقالوا : أرْجِه وأخاه .

●

وأُتِيَ زِياد برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فيّ وفي أمير المؤمنين ؟

قال : أمّا الذي تُسمّيه أميرَ المؤمنين فهو أميرُ المشركين ؛ وأما أنت ، فما أقول في رَجُل أوّله لِزَنْية وآخره لِدَعْوة ؟ فأمر به فقُتِل وصُلِب .

●

قال الأشعثُ بن قَيس لشُريح القاضي : لَشَدّ مـــا ارتفعت !

قال : فهل رأيت ذلك ضرّك ؟

قال : لا .

قال : فأراكَ تَعرِف نِعمة الله عليك وتَجهلها على غيرك .

•

نازع محمدُ بن الفَضل بعضَ قَرابته في ميراث، فقال له : يابن الزّنديق .

قال له : إن كان أبي كما تقول وأنا مثلُه ، فلا يَحِلُّ لك أن تُنازعني في هذا الميراث ، إذ كان لا يرث دِينٌ دِيناً.

•

وأُتِي الحجّاج بامرأة من الخوارج ، فجعـل يكلّمها وهي لا تَنظُر إليه ، فقيل لهـــا : الأميرُ يُكلّمـكِ وأنت لا تَنظُرين إليه !

قالت : إني لأستحي أن أنظر الى من لا ينظُر الله إليه !
فأمر بها فقُتِلت .

•

لَقي عثمانُ بن عفان عليّ بن أبي طالب ، فَعاتبـه في شيء

بلغه عنه ، فسكت عنه عليّ ؛ فقال له عثمان : ما لك لا تقول ؟

قال له علي : ليس لك عندي إلاّ ما تحب وليس جوابُك إلاّ ما تكره .

•

وتكلم الناسُ عند مُعاوية في يزيد ابنه ، إذ أخذ له البيعة ، وسَكتَ الأحنفُ ، فقال له : ما لك لا تقول أبا بَحر ؟

قال : أخافك إن صدقتُ ، وأخافُ الله إن كذبتُ .

•

قال مُعـــاوية يوماً : أيها الناس ، إنّ الله فَضّل قُريشاً بثلاث ، فقال لنبيه ، عليه الصلاةُ والسلام : « وأنذِرْ عَشيرتَك الأقربين » فنحن عشيرته ، وقـال : « وإنّه لَذِكرٌ لك ولِقومك » فنحن قومُه ، وقال : « لإيلافِ قُرَيش إيلافهم » الى قوله « الذي أطعمهم من جُوع وآمَنَهـم مِن خَوف » ونحن قُريش .

فأجابه رجلٌ من الأنصار ، فقال : على رِسْلك يا مُعاوية ، فإن الله يقول : « وكَذّب به قَومُك » وأنتم قومُه ، وقال : « ولمـا ضُرِب ابنُ مَريم مَثلًا إذا قَومُك منه يَصِدُّون » وأنتم قومُه ، وقال الرسولُ ، عليه الصلاةُ والسلام : « يا ربِّ إنّ

قَومي اتخذُوا هذا القُرآن مَهجُوراً » وأنتم قومه ، ثلاثةٌ بثلاثة ، ولو زِدْتنا لزدناك ؛ فأفحمه .

•

وقال مُعاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهلَ قَومك حين ملّكوا عليهم امرأة !

فقال : أجهلُ من قَومي قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم : « اللهمّ إنْ كان هذا هُو الحقّ مِن عِندك فأمطِر عَلينا حِجارةً مِن السّماء أو ائتنا بعَذابٍ أليم » ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

•

مجاوبة الامراء والرد عليهم

قال مُعاوية لجارية بن قُدامة : ما كان أهونَك على أهْلِك إذ سَمّوكَ جارية !

قال : ما كان أهونَك على أهلك إذ سَمّوك مُعاوية ! وهي الأنثى من الكلاب .

قال : لا أمٌ لك !

قال : أمّي ولَدتْني للسُّيوف التي لَقيناكَ بها في أيدينا .

قال : إنك لتُهَدّدني .

قال : إنك لم تَفتَتِحْنا قَسْراً ، ولم تَمْلِكنا عَنوةً ، ولكنّك أعطيتنا عَهداً وميثاقاً ، وأعطيناك سَمْعاً وطاعة ، فإن وَفّيت لنا وفّينا لك ، وإن فَزِعْت الى غير ذلك ، فإنّا تَركنا وراءَنا رجالاً شِداداً ، وألسِنَةً حِداداً .

قال له مُعاوية : لا كَثّر الله في الناس أمثالَك .

قال جارية : قُل مَعروفاً وراعِنا ، فإنّ شرّ الدُّعاء المُحتَطب .

•

عَدَّد مُعاوية بنُ أبي سُفيان على الأحنف ذُنوباً، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، لا تَرُدَّ الأمورَ على أعقابها ، أمَا والله إنَّ القُلوب التي أبغضناك بها لَبَيْنَ جَوانحنا ، والسُّيوفَ التي قاتلناك بها لعلى عَواتقنا ، ولئن مَدَدْتَ فِتْراً من غَدْر لَنمُدَّنَّ باعاً من خَتْر ، ولئن شئتَ لَتَستَصْفِيَنَّ كَدَر قلوبنا بصَفْو حِلْمك .

قال : فإني أفعل .

•

قال مُعاويةُ لعَديّ بن حاتم : ما فَعلت الطَّرفات يا أبا طَريف ؟ يعني أولادَه .

قال : قُتلوا .

قال : ما أنصَفَك ابنُ أبي طالب إذ قُتل بَنُوك معه وبَقِي له بَنُوه .

قال : لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبَقيتُ أنا بعده .

قال له معاوية : ألم تَزْعم أنه لا يُخْنق في قتل عثمان عَنْز ؟ قد والله خُنِق فيه التَّيس الأكبر .

ثم قال معاوية : أمَا إنه قد بقيتْ من دَمه قَطْرة ولا بد أن أتْبعها .

قال عديّ : لا أبا لك ! شِم السيفَ[١] ، فإنّ سَلّ السيفِ يَسُلُّ السيفَ .

فالتفت مُعاوية الى حَبيب بن مسلمة ، فقال : اجعلها في كتابك فإنها حِكمة .

•

الشّيبانيّ عن أبي الحُباب الكِنْدِيّ عن أبيه : أن مُعاوية ابن أبي سُفْيان بينما هو جالس وعنده وُجوه النـاس إذ دَخل رجلٌ من أهل الشام ، فقام خَطيباً ، فكان آخرَ كلامه أن لَعن عليّاً .

فأطرق الناسُ وتكلّم الأحنف ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا القائلَ ما قال آنفاً لو يعلم أنّ رضاك في لَعْن المُرسَلين للَعنهم ، فاتّقِ الله ودَع عَنـكَ عليّاً ، فقد لقي ربّه ، وأُفرِدِ في قَبره ، وخلاَ بعمله ، وكان والله المُبرّزَ بسَبْقِه ، الطاهرَ خُلقه ، المَيمونَ نقيبتُه[٢] ، العظيمَ مُصيبتُه .

فقال له مُعاوية : يا أحنف ، لقد أغضيتَ العينَ على القَذى ،

---

١ شم السيف : اغمده .

٢ ميمون النقيبة : مبارك النفس مظفر فيا يحاول .

وقلت بغير ما ترى ، وايم الله لتصعدنّ المِنبر فلتلعنّه طوعاً أو كَرْهاً .

فقال له الأحنف : يا أميرَ المؤمنين ، إن تُعفِني فهو خيرٌ لك ، وإن تَجْبُرْني على ذلك فوالله لا تَجري به شفتاي أبداً .

قال : قُمْ فاصعَد المِنبَر .

قال الأحنف : أمَا والله مع ذلك لأُنصفنّك في القَول والفعل .

قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني ؟

قال : أصعدُ المِنبَر فاحمد اللهَ بما هو أهلُه ، وأُصلّي على نبيّه ، صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس، إنّ اميرَ المؤمنين مُعاوية أمَرني أن ألعن علياً ، وإنّ علياً ومُعاوية اختلفا فاقتَتلا ، وادّعى كلٌّ واحد منهما أنه بُغِي عليه وعلى فِئته ، فإذا دعوتُ فأمّنوا رَحمكم الله .

ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتُك وأنبياؤك وجميعُ خلقك الباغيَ منهما على صاحبه ، وألعن الفئةَ الباغية ، اللهم العنهم لعناً كثيراً ، أمّنوا رحمكم الله ؛ يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقُص منه حرْفاً ولو كان فيه ذَهابُ نفسي .

فقال معاوية : إذن نُعْفيك يا أبا بَحْر .

•

وقال مُعاوية لِعَقيل بن أبي طالب : إنّ عليّا قد قَطعك ووصلتُك ، ولا يُرضيني منك إلاّ أن تَلْعنه على المِنبر .

قال : أفعل .

فأصعد فصَعِد ، ثم قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إنّ أميرَ المؤمنين مُعاوية أمرني أن ألعن عليّ بن أبي طالب ، فالعنوه ، فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين .

ثم نَزل . فقال له مُعاوية : إنك لم تُبيّن أبا يزيد مَن لعنتَ بيني وبينه .

قال : والله لا زدتُ حَرفاً ولا نَقصت آخر ، والكلام الى نيّة المتكلّم .

•

الهيثم بن عديّ قال : قال مُعاوية لأبي الطُّفيل : كيف وجْدُك على عليّ ؟

قال : وَجدُ ثمانين مُثْكِلا .

قال : فكيف حُبُّك له ؟

قال : حُبّ أم موسى ، وإلى الله أشكو التّقصير .

وقال له مرة أخرى : أبا الطُّفيل .

قال : نعم .

قال : أنت من قَتَلة عثمان ؟

قال : لا ، ولكنّي ممن حضَره ولم يَنصُره .

قال : وما مَنَعك من نَصره ؟

قال : لم يَنصُره المُهاجرون والأنصار فلم أنصُره .

قال : لقد كان حقّه واجباً ، وكان عليهم أن يَنصُروه .

قال : فما منعك من نُصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمّه ؟

قال : أوَما طلبي بدمه نُصرة له ؟

فضحك أبو الطفيل وقال : مَثَلك ومَثَل عثمان كما قال الشاعر :

لأعرفنّك بعد الموتِ تَندُبني ،
وفي حَياتِيَ ما زوّدتني زادًا

•

العُتبيّ قال : صَعِد مُعاوية المِنبر فوَجد من نفسه رِقّة ، فقال بعد أن حمِد الله وأثنى عليه : أيها الناسُ ، إنّ عُمَر ولاّني أمراً مِن أمره ، فوالله ما غَشَشتُه ولا خُنتُه ، ثم

ولاّني الأمر مَن بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً ، فأحسنتُ والله وأسأتُ ، وأصبتُ وأخطأت ، فمن كان يَجْهلني فإني أعرّفه بنفسي .

فقام إليه سَلمة بن الخطل العَرجيّ ، فقال : أنصفت يا مُعاوية ، وما كُنتَ مُنْصفاً .

قال : فغضب مُعاوية ، وقال : ما أنتَ وذاك يا أحْدب ؟ والله لكأني أنظر إلى بيتك بمَهْيعة ، وبطُنُب تَيْس ، وبطُنُب بَهْمة . بفِنائه أعنز عَشْر ، يُحتلبن في مثل قَوّارة حافر العَيْر ، تَهْفو الريحُ منه بجانب كأنه جناح نسر .

قال : رأيتَ والله ذاك في شرّ زماننا إلينا ، ووالله إنّ حَشوه يومئذ لحسبٌ غير دَنِس ، فهل رأيتني يا مُعاوية أكلتُ مالاً حراماً أو قتلتُ امرأً مُسلماً ؟

قال : وأين كنتُ أراك وأنت لا تَدِبّ إلا في خَمر ، وأي مُسلم يَعْجِز عنك فتَقْتله ؟ أم أيّ مال تَقوى عليه فتأكله ؟ اجلس لا جلستَ .

قال : بل أذهب حتى لا تَراني .

قال : إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها .

فمضى . ثم قال مُعاوية : رُدّوه عليّ .

فقال الناس : يُعاقبه .

فقال له : أستغفر الله منك يا أحدب ، والله لقد بَرَزْتَ في قَرابتك ، وأسلمتَ فَحَسُن إسلامُك ، وإنّ أباك لسيد قومه ، ولا أبرح أقول بما تُحب ، فاقعُد .

•

الأوزاعيّ قال : دخل خُرَيم النّاعم على مُعاوية فَنَظر إلى ساقَيْه ، فقال : أيّ ساقين لو أنّهما على جارية !

قال : في مثل عَجيزتك يا أميرَ المؤمنين .

قال معاوية : واحدةٌ بأخرى والبادي أظلم .

•

دخل عَطاء المُضْحك على عبد الملك بن مَرْوان ، فقال له : أما وجدتْ لك أمُّك اسماً إلا عطاء ؟

قال : لقد استكثرتُ من ذلك ما استكثرته يا أميرَ المؤمنين ، ألا سمَّتني باسم المُباركة ، صلوات الله عليها ، مَريم .

•

قال مُعاوية لصُحار بن العبّاس العبديّ : يا أزْرق .

قال : البازي أزْرق .

قال : يا احمر .

قال : الذّهب أحمر .

قال : ما هذه البلاغة فيكم عبدَ القَيس ؟

قال : شيء يختلج في صدورنا فتَقذِفه ألسنتُنا كما يقذِف البحر الزّبد .

قال : فما البلاغة عندكم ؟

قال : أن نقول فلا نُخطىء ، ونُجيب فلا نُبطىء .

•

وقال عبدُ الله بن عامر بن كُرَيز لعبد الله بن حازم : يابن عَجْلَى .

قال : ذاك اسمُها .

قال : يابن السّوداء .

قال : ذاك لونُها .

قال : يابن الأمَة .

قال : كل أنثى أمَة ، فاقصد بذَرْعك لا يَرْجع سَهمُك عليك ، إنّ الإماء قد وَلَدتك .

•

دخل عبيدُ الله بن زياد بن ظَبْيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما هذا الذي يقول الناس ؟

قال : وما يقولون ؟

قال : يقولون إنك لا تُشبه أباك .

قال : والله لأنا أشبهُ به من الماء بالماء، والغُراب بالغُراب، ولكن أدُلك على من لم يُشبه أباه .

قال : مَن هو ؟

قال : من لم تُنْضِجه الأرحام ، ولم يُولد لتمام ، ولم يُشبه الأخوال والأعمام .

قال : ومن هو ؟

قال : ابن ُعمي سُويد بن مَنجوف .

وإنما أراد عبدَ الملك بن مروان ، وذلك أنه وُلد لستة أشهر .

•

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعاً يَقْعد فيه ، فعلم أن ذلك فُعِل به على عَمْد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اتّق الله !

قال : أومثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله ؟

قال زيد : إنه لا يَكْبُر أحدٌ فوقَ أن يوصَى بتقوى الله ، ولا يَصْغر دون أن يوصي بتقوى الله .

قال له هشام : بلغني أنك تُحدّث نفسَك بالخلافـة ولا تَصْلُح لها لأنك ابن أمَة .

قال زيد : أمّا قولك إني أحدث نفسي بالخلافة ، فلا يَعلم الغَيْبَ إلا الله ؛ وأمّا قولُك إني ابن أمَة ، فهذا إسماعيلُ بن إبراهيم خليل الرحمن ، ابنُ أمَة ، من صُلبه خيرُ البَشر محمد، صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ، ابن حُرّة ، أخرج من صُلْبه القِرَدةُ والخَنازيرِ وعَبدة الطاغوت .

قال له : قم .

قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره .

فلما خرج من عنده قال : ما أحبّ أحدٌ قط الحياة إلا ذَلّ .

قال له حاجبه : لا يَسمع هذا الكلام منك احد .

وقال زيدُ بن عليّ :

شَرّده الخَوْفُ وأزْرى بـه ،
كذاكَ مَن يَكره حَرّ الجلاد

مُحتفيَ الرّجلَين يشكو الوَجى ،
تَقْرعه أطرافُ مَرْوٍ حِداد[1]

---

[1] المرو : حجارة بيضاء رقيقة .

قد كان في الموت له راحةٌ؛
والموتُ حَتْمٌ في رِقاب العِباد

ثم خرج بخراسان فقُتل وصُلب في كُناسة. وفيه يقول سُدَيف بن مَيْمون في دولة بني العباس:

واذكُروا مَقْتل الحُسَين وزَيْداً،
وقَتيلًا بجانب المِهْراسِ[1]

يُريد حمزةَ بن عبد المطّلب المَقْتول بأحد.

•

دخل رجلٌ من قَيْس على عبد الملك بن مَرْوان فقال: زُبيريّ! والله لا يحبُّك قلبي ابداً.

قال: يا أمير المؤمنين، إنما يَجْزع من فَقْدِ الحُبّ النّساء، ولكنْ عَدْلاً وإنْصافاً.

•

وقال عمر بن الخطّاب لأبي مَريم الحنفيّ، قاتل زيد بن الخطّاب: والله لا يُحبك قلبي أبداً حتى تُحِبّ الارضُ الدمَ.

قال: يا أمير المؤمنين، فهل تَمْنعني لذلك حقّاً؟

قال: لا.

قال: فحسبي.

•

---

١ المهراس: ماء بأحد.

دخل يزيدُ بن أبي مُسلم على سُليمان بن عبد الملك ، فقال له : على امرىء أوطأك رَسَنك وسَلّطك على الأمة لعنةُ الله .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك رأيتني والأمرُ مُدبر عني ، ولو رأيتني والأمر مُقبل عليّ لعَظُم في عَينك ما استصغرت مني .

قال : أتظن الحجّاج استقرّ في قَعْرِ جَهنم أم هو يَهوي فيها ؟

قال : يا أمير المُؤمنين ، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك ، فَضَعْه من النار حيثُ شئت .

•

وقال مروان بن الحكم لزُفر بن الحارث : بَلغني أنّ كِندة تَدّعيك .

قال : لا خيرَ فيمن لا يُتّقى رهبةً ولا يُدّعى رَغبة .

•

قال مَرْوان بن الحكم للحسن بن دُلجة : إني أظنك أحمق.

قال : ما يكون الشّيخ إذا أعمل ظَنّه ؟

•

وقال مروان لحُويطب بن عبد العزّى ، وكان كبيراً مُسناً : أيها الشيخ ، تأخر إسلامُك حتى سَبقك الأحداث .

فقال : الله المُستعان ، والله لقد هممت بالإسلام غيرَ مرّة

كلُّ ذلك يَعُوقني عنه أبوك وينهاني ويقول : يَضع مِن قَدْرك ، وتَتْرك دين آبائك لدين مُحْدَث ، وتَصير تابعاً .

فسكت مَروان .

•

قال عبدُ الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزُّبير أبوك كان اعلمَ بك حيثُ كان يَشْتُمك .

قال : يا أمير المؤمنين ، إنما كان يَشْتُمني لأنني كنتُ أنهاه أن يُقاتل بأهْل المدينة وأهل مكة ، فإن الله لا يَنْصر بهما ؛ أما أهلُ مكة فأخرجوا النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم ، وأخافوه ، ثم جاؤوا إلى المدينة فآذَوْه ، حتى سَيَّرهم ، يعرّض بالحَكم بن أبي العاصي طَريدِ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وأما أهل المدينة فَخذلوا عُثمان حتى قُتل بين أظهرهم ولم يَدْفعوا عنه .

قال له : عليك لعنةُ الله !

•

جلس مُعاوية يُبايع الناسَ على البَراءة من عليّ ، فقال له رجل من بني تميم : يا أميرَ المؤمنين ، نُطيع أحياءكم ولا نَبْرأ من مَوْتاكم .

فالتفت مُعاوية الى زِياد فقال : هذا رجلٌ فاستَوْصِ به .

•

قال مُعاوية يوماً : يا معشر الانصار ، لِمَ تَطلُبون ما عِندي ، فوالله لقد كُنتم قليلاً معي كثيراً مع عليّ ، ولقد فَلَلتم حَدّي يوم صِفّين ، حتى رأيتُ المَنايا تتلظّى من أسنّتكم ، ولقد هَجَوْتُموني بأشدّ من وَخز الأسل ، حتى إذا أقام الله منّا ما حاولتم مَيْلَه ، قلتم ارْعَ فينا وصيّة رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، هيهات ! أبى الحَقين العِذْرة[1] .

فأجابه قيسُ بن سَعد ، قال : أما قولُك جِئناك نَطلب ما عندك ، فبالإسلام الكافي به اللهُ لا بما تمتّ به إليك الأحزاب .

وأما استقامةُ الأمر ، فعلى كُره منّا كان .

وأما فَلُّنا حَدَّك يوم صِفّين ، فأمرٌ لا نَعتذر منه .

وأما عداوتُنا لك ، فلو شئتَ كَفَفتَها عنك .

وأمّا هِجاؤنا إيّاك ، فقول يَثبُت حقّه ، ويَزول باطلُه .

وأمّا وصيّة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فمن يُؤمن به يَحفظها من بعده .

---

١ أبى الحقين العذرة : مثل يضرب لمن يعتذر ولا عذر له . والحقين : اللبن المحقون في الوطب . العذرة : العذر .

وأما قولك : يأبي الحَقِين العِذْرة ، فليس دون الله يد تَحْجزك منّا ، فدُونك أمرَك يا مُعاويَة ، فإنما مَثلُك كما قال الشاعر :

يا لَـكِ من قُبَّرةٍ بمَعْمَرِ ،
خَلا لكِ الجوُّ ، فبِيضي واصفِري

•

وقال سُليمان بنُ عبد الملك ليزيد بن المُهلّب : فيمن العزُّ بالبَصرة ؟

قال : فينا وفي حُلفائنا من رَبيعة .

قال سليمان : الذي تحالفتما عليه أعزّ منكما .

•

مَرَّ عمر بن الخطاب بالصبيان يَلعبون وفيهم عبدُ الله بن الزُّبير ، ففرُّوا ، وَثَبت ابنُ الزُّبير ؛ فقال له عمر : كيف لم تَفِرّ مع اصحابك ؟

قال : لم أجترم فأخافَك ، ولم يكن بالطَّريق من ضِيق فأوسعَ لك .

•

وقال عبد الله بن الزُّبير لعديّ بن حاتم : متى فُقِئت عينُك ؟

قـال : يومَ قُتِل أبوك ، وهَرَبتَ عن خالتـك[1] ، وأنا للحق ناصِر وأنت له خاذِل .

وكان فُقئت عينه يومَ الجمل .

•

وقال هارون الرشيد ليزيدَ بن مَزْيد : ما أكثرَ الخطباء في ربيعة !

قال : نعم ، ولكنّ منابرَهم الجُذُوع .

•

كان المِسْوَر بن مَخْرمة جليلًا نبيلًا ، وكان يقول في يزيدَ ابن مُعاوية : إنه يشرب الخمر . فبلغه ذلك ، فكتب الى عامله بالمدينة أن يَجلِدَه الحدّ ، ففعل . فقال المِسوَر في ذلك :

أيَشرَبُها صِرْفاً ، يَفُضُّ خِتامَها ،
أبو خالدٍ ، ويُجلَدُ الحدّ مِسْوَرُ؟

•

قال سُليمان بن عبد الملك لعَديّ بن الرّقاع : أنشِدني قولك في الخمر :

---

١ خالته : عائشة ، وهي أخت أمه أسماء .

كُمَيت إذا شُجَّت، وفي الكأس وردةٌ،
لهـا في عِظام الشاربـين دَبِيبُ

تـُريك القَذى من دُونها، وهي دُونه،
لِوَجْه أخيهـا، في الإناء، قُطُوبُ

فأنشده. فقال له سُليمان: شربتَها وربِّ الكعبة.

قال عديّ: والله يا أميرَ المؤمنين، لئن رابَكَ وَصْفي لها قد رابتني مَعرِفتُك بها.

فتضاحكا وأخذا في الحديث.

•

الأصمعيّ قال: لما وَلِيَ بِلالُ بن أبي بُرْدة البصرةَ بَلَغ ذلك خالدَ بن صَفوان، فقال: سَحابـةُ صَيفٍ عن قَليل تَقشَّعُ.

فبلغ ذلك بِلالاً فدعا به، فقال له: أنتَ القائل:

سَحابة صَيفٍ عن قليل تَقشَّع؟

أما والله لا تَقشَّع حتى يصيبك منها شُؤبوب بَرَد؛ فضَربه مائةَ سوط.

وكان خالد يأتي بلالاً في ولايته، ويَغْشاه في سُلطانـه،

ويَعتابه اذا غاب عنه ، ويقول : مـــا في قَلب بِلال من الايمان إلاّ مـا في بيت أبي الزُّرد الحَنفي من الجواهر . وأبو الزُّرد رجل مُفلِس .

•

دخل عُتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد ابن عبد الله القَسريّ بعد حِجاب شَديد ، وكان عُتبـة رجلاً سخيّاً ، فقال له خالد ، يُعرّض به : إنّ ها هنا رجالاً يُداينون في أموالهم ، فإذا فَنيتْ يُداينون في أعراضهم .

فعلم القُرشيّ أنه يُعرّض به ، فقـال : أصلح الله الأمير ، إنّ رجالاً تكون أموالُهم أكثرَ من مُروآتهم ، فأولئك تَبقى أموالهم ، ورجالاً تكون مُروآتهـم أكثرَ من أموالهم ، فإذا نَفدت ادّانوا على سعَة ما عند الله .

فخَجِل خالدٌ وقال : أما إنك منهم ما عَلِمتُ .

•

كان شَريك القاضي يُشاحن الربيعَ صاحبَ شُرطة المهديّ ، فحمل الربيعُ المهديّ عليه ، فدَخل شريك يوماً على المهديّ ، فقال له المهديّ : بَلَغني أنك وُلدتَ في قَوصرة[1] .

---

١ يريد بالقوصرة : وعاء من قصب .

فقال : وُلدتُ يا أميرَ المؤمنين بخراسان والقواصر هناك عزيزة .

قال : إني لأراك فاطمياً خبيثاً .

قال : والله إنّي لأحبّ فاطمةَ وأبا فاطمة ، صلى الله عليه وسلم .

قال : وأنا والله أحبهما ، ولكني رأيتُك في منامي مصروفاً وجهك عنّي ، وما ذاك إلاّ لبغضك لنا ، وما أراني إلا قاتلك لأنكَ زنديق .

قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الدّماء لا تُسفَك بالأحلام ، وليست رؤياك رؤيا يوسفَ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، وأما قولُك بأني زنديق ، فإنّ للزنادقة علامةً يُعرفون بها .

قال : وما هي ؟

قال : بشُرب الخمر والضّرب بالطُّنبور .

قال : صدقتَ أبا عبد الله ، وأنت خيرٌ من الذي حمَلني عليك .

•

قال عمرُ بن الخطاب لعمرو بن العاص لما قَدِم عليه من

مِصر : لقد سِرْتَ سِيرَةَ عاشق .

قال : والله ما تأبطتني الإماء[1] ، ولا حملتني البَغايا في غُبّرات المآلي[2] .

قال عمر : والله ما هذا جوابُ كلامي الذي سألتُك عنه ، وإنّ الدّجاجة لتَفْحص في الرّماد فتضع لغير الفحل ، والبَيْضة منسوبة إلى طَرْقها[3] .

وقام عمر فدخل . فقال عمرو : لقد فَحُش علينا أميرُ المؤمنين .

•

وقال المُنذر بن الجارود العَبديّ لعمرو بن العاص : أيّ رجل أنتَ لو لم تَكُنْ أُمّك . بمن هي ؟

قال : أحمد الله إليك ، لقد فكّرتُ فيها البارحةَ ، فجعلتُ أنقّلها في قبائل العَرب ، فما خطرت لي عبدُ القيس ببال .

•

قال خالدُ بن صَفوان لرجل من بني عبد الدار ، وسَمعه

---

١ أي انه لم تتولّ الاماء تربيته .
٢ غبرات المآلي : بقايا خرق الحيض .
٣ يعرض بأم عمرو وكانت مغنية في مكة .

يَفْخر بموضعه من قُريش ، فقال له خالد : لقد هَشمتك هاشم ، وأمَّتك[1] أمية ، وخَزَمتك مَخزوم ، وجَمَحتك جُمح ، وسَهَمتك[2] سَهم ، فأنت ابنُ عبد دارها ، تَفتح الأبواب إذا أُغلقت ، وتُغلقها إذا فُتحت .

١ أمّه : أصاب أم رأسه .
٢ سهمتك : قرعتك وغلبتك .

جواب في هزل

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفيّ، وهو والي الكُوفة، جَدْيٌ يُوضع على مائدته، فحضره أعرابيٌّ فمدّ يده الى الجَدْي، وجعل يُسرع فيه، فقال له المُغيرة: إنّك لتأكله بحَرْدٍ[1] كأنّ أمّه نطحتْك.

قال: وإنك لمُشْفِق عليه كأنّ أمه أرْضعتك.

•

كان إبراهيمُ بن عبد الله بن مُطيع جالساً عند هِشام، إذ أقبل عبدُ الرحمن بن عَنْبسة بن سَعيد بن العاص أحمرَ الجُبّة والمِطْرف والعِمامة، فقال إبراهيم: هذا ابنُ عَنْبسة قد أقبل في زينة قارُون.

قال: فَضَحِكَ هشام. قال له عبدُ الرحمن: ما أضحكك يا أميرَ المؤمنين؟

فأخبره بقول إبراهيم. فقال له عبدُ الرحمن: لولا ما أخاف

---

[1] حرد الرجل: اذا اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهمّ به.

من غَضبه عليك وعليّ وعلى المُسلمين لأجبتُه .

قال : وما تخاف من غَضبه ؟

قال : بلغني أن الدّجّال يَخرج من غَضْبة يَغضَبها ، وكان إبراهيم أعْور .

قال إبراهيمُ : لولا أن له عِندي يداً عظيمة لأجبتُه .

قال : وما يده عندك ؟

قال : ضَربه غلامٌ له بمُدية فأصابه ، فلما رأى الدم فَزِع ، فَجَعل لا يَدْخل عليه مَمْلوك إلا قال له : أنت حُرّ ، فدخلتُ عليه عائداً له ، فقلت له : كيف تجدك ؟

قال لي : أنت حُرّ .

قلت له : أنا إبراهيم .

قال لي : أنت حُر .

فَضَحِك هشامٌ حتى استلقَى .

•

ولقي رجلٌ من قُريش ، كان به وَضَح ، حارثةَ بن بَدر ، وكان مُغرماً بالشراب ، فقال له : أشعرت أنه بُعث نبيّ لهذه الأمة يُحِلُّ الخمر للناس ؟

قال : إذاً لا نُصدّق به حتى يُبرىء الأكمه والأبرص .

•

دخل الزّبرقانُ بن بَدْر على زِياد ، فسلّم تسليماً جافياً ، فأدناه زياد فأجلسه معه ، ثم قال له : يا أبا عيّاش ، الناس يَضحكون من جَفائك .

قال : ولِمَ ضَحِكوا ؟ فوالله إنْ منهم رجلٌ إلاّ ودّ أني أبوه دون أبيه لغِيّة كان أو لِرِشْدة .

•

اجتمع رَجل كَوسج[1] مع رجل مُسْبِل[2] ، فقال المُسبِل : « والبَلد الطيّب يَخرُج نَباتُه بإذن ربّه والذي خَبُثَ لا يَخرُج إلاّ نَكِداً . »

قال الكَوسجُ : قُلْ لا يَستوي الخبيثُ والطيّب ولو أعجبك كَثْرة الخبيث .

•

مَرّ مَسلمة بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بمُوسوس على مَزْبلة ، فقال له الموسوس : لو رآك أبوك آدم لقرّت عينُه بك .

---

١ الكوسج : الذي لا شعر على عارضيه .
٢ مسبل : مرسل لحيته .

قال له مَسْلمة : لو رآك أبوك آدم لأذهبتْ سَخنـةُ عينه بك قَرَّةَ عينه بي !

وكان مَسلمة من أحضر الناس جواباً .

•

خرج إبراهيم النَّخعي وقام سُليمان الأعمش يمشي معه ، فقال إبراهيم : إنَّ الناس إذا رَأونا قالوا : أعْور وأعمش !

قال : وما عليك أن يَأثموا ونُؤْجَر .

قال وما عليك : أن يَسلموا ونَسلم .

•

وقال شَدَّاد الحارثيّ : لقيتُ أسودَ بالبادية ، فقلتُ : لمن أنت يا أسود ؟

قال : لسيِّد الحيّ يا أصلع .

قلتُ : ما أغضبَك من الحق ؟

قال لي : الحقُّ أغضبك ؟

قلت : أوَلستَ بأسود ؟

قال : أوَلستَ بأصلع ؟

•

أدخلَ مالكُ بن أسماء السِّجن ، سِجن الكوفة ، فجلس

إليه رجلٌ من بني مُرّة فاتكأ عليه المُرّي يُحدّثه ، ثم قال : أتدري كم قَتلنا منكم في الجاهلية ؟

قال : أما في الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منّا في الاسلام .

قال : ومن قتلنا منكم في الاسلام ؟

قال : أنا ، قد قتَلتني بنَتَن إبطيك .

•

مَرّت امرأةٌ من بني نُمير على مَجلس لهم في يوم رِيح ، فقال رجلٌ منهم : إنها لَرَسْحاء[1] .

قالت : والله يا بني نُمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر ، قال الله، تبارك وتعالى: «قُلْ للمُؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم .» وقال الشاعر :

فغُضّ الطَّرْفَ إنّك من نُمير

•

قيل لشُريح : أيهما أطيب : الجَوزنيق أم اللّوزنيق[2] ؟
قال : لستُ أحكم على غائب .

•

---

١ الرسحاء : القليلة لحم العجز والفخذين .

٢ الجوزنيق واللوزنيق : من الحلواء ، يعمل أولهما من الجوز ، وثانيهما يشبه القطائف ويعمل بدهن اللوز .

هشام بن القاسم قال : جَمعني والفَرزدق مجلسٌ فتجاهلتُ عليه فقلتُ : مَن الكَهل ؟

قال : وما تَعرفني ؟

قلتُ : لا .

قال : أبو فِراس .

قلتُ : ومَن أبو فِراس ؟

قال : الفرزدق .

قلت : ومَن الفرزدق ؟

قال : وما تعرف الفرزدق ؟

قلت : لا أعرف الفرزدق إلاّ شيئاً يفعله النساء عندنا يَتَشهّون به كهيئة السَّويق .

قال : الحمد لله الذي جعلني في بطون نسائكم يَتَشهّون بي .

•

عُمارة عن محمد بن أبي بكر البصري قال : لما مات جعفر ابن محمد قال أبو حنيفة لشَيطان الطاق : مات إمامُك، وذلك عند المهدي ؛ فقال شيطانُ الطاق : لكنّ إمامك من المُنظَرين الى يوم الوقت المَعلوم .

فضَحِك المهديّ من قوله، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

•

لقي خالدُ بن صَفوان الفرزدقَ ، وكان كثيراً ما يُداعبه ، وكان الفرزدق دَميماً ، فقال له : يا أبا فِراس ، ما أنت بالذي لمّا رَأينه أكبَرْنه وقَطّعْن أيديهن .

قال له : ولا أنت أبا صَفوان بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها : « يا أبَتِ استأجِرْه إنّ خيرَ مَن استأجرتَ القويُّ الأمين . »

•

باع رجل ضَيعة من رجل، فلما انتقد المالَ قال للمُشتري : أمَا والله لقد أخذتَها كثيرة المَؤونة ، قليلة المَعونة .

قال له المُشتري : وأنت والله أخذتَها بطيئةَ الاجتماع ، سريعةَ الافتراق .

•

واشترى رجل من رجل داراً ، فقال لصاحبها : لو صبرتَ لاشتريت منك الذّراع بعشرة دنانير .

قال له البائع : وأنت لو صبرتَ لاشتريتَ مني الذراع بدِرهم .

•

وكان بالرّقة رجل يُحدّث بأخبار بني اسرائيل ، فقال له الحجّاج بن حَنتَمة : كيف كان اسم بقرة بني اسرائيل ؟

قال : حَنتَمة .

فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : أين وجدتَ هذا ؟.

قال : في كتاب عَمرو بن العاص .

•

وقال رجل للشعبي : ما كان اسم امرأة إبليس ؟

قال : إنّ ذلك نكاح[1] ما شهدناه .

•

ودخل رجلٌ على الشّعبيّ فوجده قاعداً مع امرأة ، فقال : أيكما الشّعبي ؟

قال : الشّعبي هذه ، وأشار الى المرأة .

•

كان مَعْن بن زائدة ظنيناً في دِينه ، فبعث الى ابن عيّاش المَنتوف بألف دينار ، وكتب إليه : قد بعثتُ إليك بألف دينار ، اشتريتُ بها منك دِينك فاقبِض المال واكتُب اليّ بالتّسليم .

فكَتب إليه : قد قبضتُ المالَ وبِعتُك به ديني خلا التّوحيد ، لِما عَلِمتُ من زُهدِك فيه .

•

---

١ النكاح : الزواج .

بَعث بلالُ بن أبي بُرْدة في ابن أبي عَلْقمة المَمْرور ، فلما أُتي به قال : أتدري لمَ بعثتُ إليك ؟

قال : لا أدري .

قال : بعثتُ إليك لأضحك بك .

قال : لئن فعلت لقد ضَحك أحدُ الحَكَمين من صاحبه .

يُعرّض له بجدّه أبي موسى ، فغَضِب منه بلالٌ وأمر به الى الحَبس. فكلّمه الناسُ وقالوا : إنّ المجنون لا يُعاقَب ولا يُحاسَب .

فأمر باطلاقه وأن يُؤتى به إليه. فأتي به في يوم سَبت وفي كُمّه طرائف أُتحِف بها في الحَبس، فقال له بِلال : ما هذا الذي في كُمّك ؟

قال : من طَرائف الحَبس .

قال : ناولني منها .

قال : هو يوم سَبت ليس يُعطى فيه ولا يُؤخذ .

يُعرّض بعمّة كانت له من اليَهود .

•

• دخل حسّان بن ثابت على عائشة ، رضي الله عنها ، فأنشدها :

حَصانٌ ، رزانٌ ، ما تُزَنُّ بريبةٍ ،
وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحوم الغوافلِ

قالت له : لكنّك لستَ كذلك ؛ وكان حسّان من الذين جاؤوا بالإفك[1] .

•

نظر رجلٌ من الأزد الى هلال بن الأحوز حين قَدِم من قَنْدابيل ، وقد أطافت به بنو تميم ، فقال : انظُروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى .

فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا ضِدّ عيسى ، عيسى كان يُحيي الموتى وذا يُميت الأحياء .

•

خرج سعيدُ بنُ هشام بن عبد الملك يوماً بحِمْص في يوم مطر عليه طَيْلَسان وقد كاد يمسّ الأرض ، فقال له رجلٌ وهو لا يعرفه : أفسدتَ ثوبَك يا عبد الله .

قال : وما يضرُّك ؟

قال : وَدِدتُ أنك وهو في النار .

قال : وما ينفعك ؟

•

---

١ الافك : الكذب .

لمّا قدِم الحجّاجُ العِراقَ والياً عليها خرج عُبيد الله بن ظبْيان مُتوكّئاً على مولًى له وقد أضرّ به الفالِجُ، فقال: قدِم العراقَ رجلٌ على دِيني.

فقال له حُضَين بن المُنذِر الرّقاشيّ: فهو إذاً مُنافق.

قال عبيد الله: إنه يقتل المنافقين.

قال له حُضَين: إذاً يقتلك.

•

لما قدِم عبدُ الملك بن مروان المدينة نزل دارَ مروان، فمرّ الحجّاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالسٌ في المسجد، وعلى الحجّاج سيف محلّى، وهو يخطِر مُتبختراً في المسجد، فقال له رجلٌ من قُريش: مَن هذا التّخطارة؟

فقال خالدٌ: بَخٍ بَخٍ! هذا عمرو بن العاص.

فسمعه الحجّاج فمال إليه، فقال: قلتَ: هذا عمرو بن العاص! والله ما سرّني أنّ العاص ولدني ولا ولدتُه، ولكن إن شئتَ أخبرتُك من أنا، أنا ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قُريش، والذي ضرب مائة ألفٍ بسيفه هذا، كلّهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب الخمر، حتى أقرّوا أنه خليفة.

ثم ولّى وهو يقول: هذا عمرو بن العاص!

•

قال رجلٌ من بني لِهْب لِوَهْب بن مُنَبِّه : ممّن الرجل؟

قال : رجل من اليمن .

قال : فما فعلتْ أمّكم بلقيس ؟

قال : هاجرتْ مع سُليمان لله ربّ العالمين ، وأمّكم حمّالة الحطب في جِيدها حبْل من مَسَد .

•

وقال رجل لابن شُبْرمة : مِن عندنا خَرج العِلمُ إليكم .

قال : نعم ، ثم لم يَرْجع إليكم .

•

نَظر يزيدُ بن منصور ، خالُ المهديّ ، إلى يزيدَ بن مَزْيد ، وعليه رداءٌ يمانٍ وهو يَسْحبه ، فقال : ليس عليك غَزْله ، فاسْحب وجُرّ .

قال له : على آبائك غَزْلُه ، وعليّ سَحْبُه .

فشكاه إلى المهديّ ؛ فقال : لم تَجد أحداً تتعرّض له إلا يزيدَ بن مَزْيد !

•

دخل أبو يَقْظان القَيْنيّ على يزيدَ بن حاتم ، وهو والي مِصْر ، وعنده هاشمُ بن حُديج ، فقال له يزيد : حَرّكه ، وعلى أبي اليَقْظان حلّة وَشْي وكِساء خزّ .

فقال هاشم: الحمدُ لله أبا اليَقْظان، لبِستم الوَشْي بعد العَباء.

قال: أجل، نحوكون وتلبَس، فلا عَدِمتم هذا منّا، ولا عَدِمْنا هذا منكم.

•

وقال رجلٌ من العرب: رأيتُ البارحةَ الجنّة في مَنامي، فرأيتُ جَميع ما فيها من القُصور، فقلتُ: لمن هذه؟ فقِيل لي: للعرب.

قال له رجلٌ من المَوالي: أصَعِدْتَ الغُرَف؟

قال: لا.

قال: تلك لنا.

•

قال عبدُ الله بن صَفْوان، وكان أمِّيّاً، لعبد الله بن جَعفر بن أبي طالب: أبا جعفر، لقد صِرْتَ حُجّةً لِفتْيانِنا علينا، إذا نَهيناهم عن المَلاهي قالوا: هذا ابنُ جَعْفر سيِّد بني هاشم يَحْضُرها ويتخذها.

قال له: وأنت أبا صَفوان صِرت حُجة لِصبْياننا علينا، إذا لُمْناهم في تَرْك المَكْتب قالوا: هذا أبو صَفْوان سيِّد بني جُمح لا يقرأ آيةً ولا يَخُطّها.

•

قال مُعاوية لعبد الله بن عامر : إن لي إليك حاجة .

قال : بحاجةٍ تقضيها يا أميرَ المؤمنين ، فَسَلْ حاجتك .

قال : أريد أن تَهب لي دُورك وضِياعك بالطَّائف .

قال : قد فعلتُ .

قال : وَصَلَتك رَحِم ، فَسَلْ حاجتك .

قال : حاجتي إليك أن تردّها عليّ يا أميرَ المُؤمنين .

قال : قد فعلتُ .

•

وقال رجل لثُمامة بن أشرس : إنّ لي إليك حاجةً .

قال : وأنا لي إليك حاجة .

قال : وما حاجتُك ؟

قال : فتَقْضيها ؟

قال : نعم .

فلما توثّق منه قال : فإن حاجتي إليك ألاّ تسألني حاجة .

جواب في فخر

سَعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتادة قال : تفاخر عمرو بن سَعيد بن العاص وخالدُ بن يزيد بن مُعاوية عند عبد الملك بن مَروان ، فقال عبدُ الملك لشيخ من موالي قُريش : اقضِ بينهما .

فقال الشيخُ : كانَ سعيد بن العاص لا يَعتمّ أحدٌ في البلد الحَرام بلون عِمامته ، وكان حَرْب بن أمية لا يُبْكى على أحد من بني أمية ما كان في البلد شاهداً ، فلما مات سعيد وحَرْبٌ شاهدٌ لم يُبكَ عليه .

•

قال الأبرش الكلبيّ لخالد بن صَفْوان : هلُمّ أفاخرْك ، وهما عند هشام بن عبد الملك .

قال له خالد : قُل .

فقال له الأبرش : لنا رُبع البيت ، يُريد الرُّكن اليَمانيّ ، ومنّا حاتم طيّىء ، ومنّا المُهلّب بن أبي صُفرة .

فقال خالد بن صفوان : منا النبيّ المُرسل ، وفينا

الكِتاب المُنَزَّل، ولنا الخليفة المُؤمَّل .

قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضريّاً بعدك .

•

ونزل بأبي العباس قومٌ من اليمن من أخواله من كَعب ، ففخروا عنده بقَديمهم وحَديثهم ، فقال أبو العباس لخالد بن صَفوان : أجب القوم .

فقال : أخوال أمير المؤمنين .

قال : لا بد ان تقول .

قال : وما أقول يا أميرَ المُؤمنين لقوم هم بين حائك بُرد ، ودابغ جِلد، وسائِس قِرْد ، مَلَكتهم امرأة ، ودَلَّ عليهم هُدهد ، وغَرَّقتهم فأرة ! فلم يَقُم بعدها ليمانيّ ، قائمة .

•

قال عبدُ الملك بن الحجّاج : لو كان رجل من ذهب لكُنتُه .

قال له رجلٌ من قُريش : وكيف ذلك ؟

قال : لم تَلِدْني أمَة بيني وبين آدم ما خلا هاجَر .

فقال له : لولا هاجَر لكُنت كَلباً من الكِلاب .

•

دخل عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر على عبد الملك بن مروان

وعليه حِبرة صَدآء[1] عليها اثر الحمائل، فقال له أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد : يا أبا حفص، أيُّ رجل أنت لو كنتَ من غير مَن أنت منه من قريش ؟

قال : ما أحب أني من غير مَن أنا منه ، إنّ منّا لسيّد الناس في الجاهلية عبدَ الله بن جُدْعان ، وسيّد الناس في الاسلام أبا بكر الصدّيق ، وما كانت هذه يدي عندك ، إني استنقذت أمهاتِ أولادك من عدوّك أبي فُديك بالبحرين، وهُنّ حبالى ، فولدن في حجابك .

•

قال عبدُ الرّحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمُعاوية : أما والله لو كنّا بمكة على السواء لعلمتَ !

قال مُعاوية : إذاً كنتُ أكون مُعاوية بن أبي سفيان ، مَنزلي الأبطح[2] ، يَنشقّ عنّي سَيلُه ، وكنتَ عبدَ الرحمن ابن خالد، منزلُك أجياد[3] ، أعلاه مَدَرة ، وأسفله عَذِرة .

•

تنازع الزبير بن العوّام وعثمان بن عفّان في بعض الأمر ، فقال الزبير : أنا ابن صَفيّة .

---

١ صدآء : عليها صدأ الحديد .
٢ الأبطح : كل مسيل فيه دقاق الحصى ، والأبطح يضاف الى مكة والى منى .
٣ أجياد : موضع بمكة يلي الصفا .

قال عثمان : هي أذنتك من الظلّ ، ولولا ذاك لكنت ضاحياً .

•

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : يا هذا ، إنّك تتطاول بهاشم كأنّك جمعتها ، وهي تعتدّ في أكثر من خمسة آلاف .

قال له محمد بن الفضل : إنّ كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فَضْل واحدها .

•

فخر مولى لزياد بزياد عند مُعاوية . قال له مُعاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبُك شيئاً بسيفه إلاّ أدركتُ أكثرَ منه بلساني .

•

وقال رجل من مَخزوم للأحوص محمد بن عبد الله الأنصاري : أتعرف الذي يقول :

ذهبتْ قُريشٌ بالمكارم كُلّها ،
والذُّلُّ تحت عمائم الأنصارِ ؟

قال : لا ولكنّي أعرفُ الذي يقول :

النـاسُ كَنَّوه أبا حَكَمٍ ،
واللهُ كَنّـاه أبا جَهْـلِ

أبقتْ رياستُـه ، لأسرتـه ،
لُؤْمَ الفُروع ورِقّة الأصـل

•

سأل رجلٌ من قُريش رجلاً من بني قَيس بن ثعلبـة : ممن أنت ؟

قال : من ربيعة .

قال له القُرشيّ : لا أثر لكم ببطحاء مكّة .

قال القيسيّ : آثارُنا في أكنـاف الجَزيرة مَشهورة ، ومَواقفنا في يوم ذي قار معروفة ، فأمّا مكّة فسواءٌ العاكفُ فيها والبادي ، كما قال الله تبارك وتعالى .

فأفحمه .

•

قال الأشعث بن قيس لشُرَيح القاضي : شَدَّ ما ارتفعتَ !

قال : فهلْ ضرّكَ ؟

قال : لا .

قال : فأراك تَعرف نعمةَ الله على غَيرك ، وتَجهلها على نَفسِك .

•

قال سليمانُ بن عبد الملك ليزيد بن المُهَلَّب : فيمن العِزُّ بالبَصرة ؟

قال : فينا ، وفي أحلافنا من رَبيعة .

قال له سليمان بن عبد الملك : الذي تحالفتُما عليه أعزُّ منكما .

•

قَدِم أعرابيٌّ البصرة فدخل المسجدَ الجامع، وعليه خُلقان[1] وعمامة قد كَوَّرها[2] على رأسه ، فرَمى بطَرفه يَمنةً ويسرةً ، فلم يرَ فِتيةً أحسنَ وُجوهاً ولا أظهر زيّاً من فِتيةٍ حَضروا حَلْقة عُتبة المَخزوميّ ، فدنا منهم وفي الحَلقة فُرْجة فطبَّقها[3]، فقال له عُتبة : ممن أنت يا أعرابيّ ؟

قال : من مَذحِج .

---

١ خلقان : ثياب بالية .
٢ كوّرها : لفها .
٣ طبقها : سدها وغطاها .

قال : مِن َزيدها الأكرمين ، أو من ُمرادها الأطيبين ؟

قال : لستُ من زيدها ولا من ُمرادها .

قال : فممن أنت ؟

قال : فإني من ُحماةِ أعراضها ، وزَهرة رياضها بني ُزبيد .

قال : فأُفحم عُتبة حتى َوضع قَلَنسُوته عن رأسه ، وكان أصلع ، فقال له الأعرابيّ : فأنت يا أصلع ، ممن أنت ؟

قال : أنا رجل من قُريش .

قال : فمن بيت نُبوّتها أو من بيت تملكتها ؟

قال : إني من َريحانتها بني مَخزوم .

قال : والله لو تَدْري لمَ ُسمّيت بنو مَخزوم ريحانة قريش ، ما فخرت بها أبداً ، إنما سميت ريحانة قُريش لِخَور رجالها ، ولين نسائها .

قال عتبة : والله لا نازعتُ أعرابيّاً بعدك أبداً .

•

َوضع فيروز بن ُحصَين يدَه على رأس نُميلة بن مالك بن أبي عُكابة عند زياد ، فقال : َمن هذا العبد ؟

قال : أنت العبد ، ضَربناك فما انتصرت ، ومَننّا عليك فما َشكرت .

•

اجتمعت بَكر بن وائل الى مالك بن مِسْمَع لأمرٍ أراده مالك ، فأرسل الى بَكر بن وائل وأرسل الى عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان ، فأتى عُبيد الله ، فقال : يا أبا مِسْمع ، ما منعك أن تُرسل إليّ ؟

قال : يا أبا مَطر ، ما في كنانتي سَهْم أنا أوثق به منّي بك .

قال : وإنّي لفي كِنانتك ! أمَا والله لئن كنتُ فيها قائماً لأطولنّها ، ولئن كنتُ فيها قاعداً لأخرِقنّها .

•

نازع مالكُ بن مِسْمع شَقيق بن ثَور ، فقال له مالكٌ : إنما شرّفك قَبرٌ بتُسْتَر .

قال شَقيق : لكن وضعك قَبرٌ بالمُشقَّر .

وذلك أنّ مِسْمعاً أبا مالك جاء الى قوم بالمُشقّر ، فَنبحه كَلبُهُم فقتَله ، فقتلوه به ، فكان يقال له : قتيل الكلاب . وأراد مالكٌ قبر مَجزأة بن ثَور ، أخي شَقيق ، وكان استُشهد بتُستر مع أبي مُوسى الأشعريّ .

•

قال قُتيبة بن مُسلم لهُبيرة بن مَشروح : أي رجل أنت لو كانت أخوالُك من غير سَلول ! فبادِلْ بهم .

قال : أصلح الله الأمير ! بادِل بهم مَن شئت وجنّبني باهلة .

وكان قُتيبة من باهلة .

•

جواب ابن أبي دواد

قال أحمدُ بن أبي دُواد لمحمد بن عبـد الملك الزيات عند الواثق : اضوي أي اسكت ، بالنّبطية .

فقال له : لماذا والله ؟ ما أنا بنَبطيّ ولا بدَعيّ .

قال له : ليس فوقك أحد يَفضُلك، ولا دونك أحد تَنزل إليه ، فأنت مُطّرح في الحالتين جميعاً .

•

ودخل أحمد بن أبي دُواد على أشناس ، فقـال له : بلغني انك افسدت هذا الرجل ، يعني محمد بن عبد الملـك ، وهو لنا صديق ، فأحب أنْ لا تأتينا .

قال له ابن أبي دُواد : أنت رجل صَنَعَتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .

•

قال أحمدُ بن أبي دواد : دخلتُ على الواثق ، فقـال : ما زال قومٌ اليومَ في ثَلْبك ونَقْصك .

فقلت : يا امير المؤمنين ، لكل امرىء منهم مـا اكتسب

من الإثم ، والذي تولّى كِبْرَه منهم له عذاب عظيم ، فالله وليّ جزائه ، وعِقابُ أمير المؤمنين مِن ورائه ، وما ضاع امرؤ أنت حائطُه ، ولا ذلّ مَن كنت ناصرَه ، فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبا عبد الله :

وسَعى إليّ ، بعَيبِ عَزّةَ ، نِسوةٌ
جَعل المليكُ خُدودَهنّ نِعالَها

●

وقال أبو العيناء الهاشمي : قلتُ لابن أبي دُواد : إن قوماً تَضافروا عليّ .

قال : « يدُ الله فَوق أيديهم . »

قلتُ : إنهم جماعة .

قال : « كم من فِئةٍ قليلةٍ غَلبَتْ فِئةً كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين . »

قلتُ : إنّ لهم مكراً .

قال : « ولا يَحيقُ المَكرُ السّيىء إلاّ بأهله . »

قال أبو العيناء : فحدّثت به أحمدَ بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يرى ابنُ أبي دواد إلاّ أنّ القرآن إنما أُنزل عليه .

أجوبة متنوعة

خطب خالدُ بن عبد الله القسريّ ، فقال : يا أهل البادية ، ما أخشنَ بلدَكم ! وأغلظَ معاشَكم ! وأجفى أخلاقكم ! لا تَشهدون جُمعة ، ولا تُجالسون عالماً .

فقام إليه رجل منهم دَميم ، فقال : أمّا ما ذكرت من خُشونة بلدنا ، وغِلَظ طعامنا ، وجفاء أخلاقنا فهو كذلك ؛ ولكنّكم معشَر أهل الحَضر فيكم خِصال هي شرٌّ مِن كل ما ذكرت .

قال له خالد : وما هي ؟

قال : تَنقُبون الدُّور وتَنبِشون القُبور .

قال : قبّحك الله وقبّح ما جِئت به !

•

وسأل أعرابيٌّ شيخاً من بني مَروان وحولَه قومٌ جلوس ، فقال : أصابَتْنا سَنةٌ ولي بضعَ عشرةَ بنتاً .

فقال الشيخُ : أما السَّنة ، فوددتُ والله أنّ بينكم وبين السماء صفيحةً من حديد ؛ وأمّا البنات ، فليتَ الله أضعفهنّ

لك أضعافاً كثيرة، وجعلك مقطوع اليدين والرّجلين ليس لهن كاسبٌ غيرُك .

قال : فنظر الأعرابيّ ملياً ، ثم قال : ما أدري ما اقول لك ! ولكني أراك قبيحَ المنظر ، لئيمَ المَخبر .

•

قال عبدُ الله بن الزُّبير لعَديّ بن حاتم : متى فُقِئت عينك ؟

قال : يومَ طعنتُك وأنت مُولٍّ .

•

فيض الخواطر

كتاب المجنبة	٥
جواب عقيل	٨
جواب ابن عباس	١٣
مجاوبة بني هاشم	٢٥
مجاوبة الحسن	٣٥
مجاوبة بين معاوية وأصحابه	٤٠
مجاوبة بين بني أمية	٤٤
الجواب القاطع	٤٩
مجاوبة الامراء والرد عليهم	٥٤
جواب في هزل	٧٦
جواب في فخر	٩٠
جواب ابن ابي دواد	٩٩
اجوبة متنوعة	١٠١

١٠٠ غ.ل.

v.4 (no.15)

العقد الفريد

١٥

أدب المنابر

مكتبة صادر
بيروت

١٥

أدب المنابر

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ ، الخ . . . .

•

أدب المنابر

هو كتاب الواسطة من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم
كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

١٥

أدب المنابر

مكتبة صادر
بيروت

Near East

PJ
7745
.I15
.I5
v.4
c.1

١٩٥٢/١٢٧

كتاب الواسطة

في الخطب

قال أبو عمر احمدُ بن محمد بن عبد ربّه : قد مضى قولُنا في الأجوبة وتباين النّاس فيها على قدر عُقولهم ، ومبلغ فِطَنِهم ، وحُضورِ أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعَون الله وتوفيقه في الخُطب التي يُتخيَّر لها الكلامُ ، وتفاخرت بها العربُ في مَشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة على مَنابرهم ، وشُهرت بها في مواسمهم ، وقامت بها على رؤوس خُلفائهم ، وتَباهت بها في أعيادهم ومَساجدهم ، ووصَلَتْها بِصَلَواتهم ، وخوطب بها العوام ، واستُجزلت لها الالفاظ ، وتُخيِّرت لها المعاني :

اعلم أنّ جميع الخُطب على ضَرْبين : منها الطِّوال ، ومنها القِصار ؛ ولكُلّ ذلك موضع يليق به ، ومكانٌ يَحْسُن فيه .

فأول ما نبدأ به من ذلك خُطبُ النبيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، ثم السَّلف المُتقدمين ، ثم الجِلّة من التابعين ، والجِلّة من الخُلفاء الماضين ، والفُصحاء المتكلّمين ، على ما سقط إلينا ، ووقع عليه اختيارُنا .

ثم نذكر بعضَ خُطب الخَوارج ، لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة مَنطقهم ، كخُطبــة قطريّ بن الفُجاءة في ذمّ الدنيا ، فإنها معدومة النّظير ، مُنقطعة القَرين ، وخُطبــة أبي حمزة التي سمعها مالكُ بن أنس ، فقال : خَطَبنا أبو حمزة بالمدينة خُطبة شكّكَ فيها المُستبصر ، وردّ بها المُرتاب .

ثم نسمح بصَدرٍ من خُطب البادية وقَول الأعراب خاصّة ، لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، ومَوارده ومَصادره .

•

قال عبدُ الملك بن مَروان لخالد بن سَلمة القُرَشيّ المَخزومي : مَن أخطبُ الناس ؟

قال : أنا .

قال : ثم مَن ؟

قال : أنا .

قال : ثم من ؟

قال : شيخُ جُذام ، يعني رَوْح بن زِنباع .

قال : ثم مَن ؟

قال : اخيفش[1] ثقيف ، يعني الحجاج .

---

[1] كان الحجاج ضعيف البصر فوصف بالاخيفش، تصغير الاخفش وهو الضعيف البصر الضيق العين .

قال : ثم مَن ؟

قال : أميرُ المؤمنين .

•

وقال مُعاوية لما خَطب الناسُ عنده فأكثروا : والله لأرميَنَّكم بالخَطيب المِصْقع ، قُمْ يا زِياد .

وقال محمدٌ كاتب المَهديّ ، وكان شاعراً راوية ، وطالباً للنحو علاّمة ، قال : سمعتُ أبا دُواد يقول ، وجرى شيء من ذِكر الخُطَب وتَحبير الكلام ، فقال : تَلخيص المَعاني رِفْق ، والاستعانة بالغَريب عَجْز ، والتشادق في غير أهل البادية نَقص ، والنَّظر في عُيون الناس عيّ ، ومَسح اللّحية هُلك ، والخُروج عمّا بُني عليه الكلامُ إسهاب .

قال : وسمعتُه يقول : رأسُ الخَطابة الطَّبع ، وعَمودها الدُّرْبة ، وحَلْيها الإعراب ، وبَهاؤها تَخيُّر اللفظ ، والمحبّة مقرونة بقلّة الاستكراه .

وأنشدني بيتاً له في خُطباء إياد :

يَرْمون بالخُطَب الطِّوال ، وتارة
وَحْيَ المَلاحظ خِيفةَ الرُّقباء

وأنشدني في عيّ الخَطيب واستعانتـــه بِمَسْح العُثْنون وفَتْل الأصابع :

مَليءٌ ببُهْر والتفات وسُعْلةٍ
ومَسْحةِ عُثْنون وفَتْـل الأصابعِ

•

مرّ بِشْر بن المُعتمر بإبراهيم بنِ جبلة بن مَخْرمة السّكوني الخَطيب ، وهو يُعَلّم فتْيانهم الخَطابة ، فوقف بِشْرٌ يستمع ، فظنّ إبراهيم أنه إنما وَقف ليَسْتفيـــد أو يكون رجلاً من النظّارة . فقال بشر : اضربوا عما قال صَفْحـاً ، واطووا عنه كَشْحاً .

ثم دفع إليهم صحيفة من تَنْميقه وتَحْبيره ، فيها : خُـــذ من نفسك ساعـة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهراً ، وأشرف حَسَباً ، وأحسن في الاسماع ، وأحلى في الصُــدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكلّ عينٍ وغُرّة من لَفظ شريف ، ومعنى بديع .

واعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيك يومُك الأطول بالكدّ والمُطاولة ، والمُجاهدة بالتّكليف والمُعاودة ، ومهما أخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قصــداً ، وخَفيفاً على

اللسان سَهلًا ، كما خَرج من يَنبوعه ، ونَجم من مَعدنه .

وإياك والتوعّرَ ، فإن التوعّر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يَستهلك معانيك ويَشين ألفاظَك . ومَن أراد معنًى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ؛ ومن حقهما أن تصونهما عما يُفسدهما ويُهجّنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترتهن نفسك بمُلابستهما وقضاء حقهما .

وكن في ثلاث منازل : وإن أولى الثلاث أن يكون لفظُك رشيقاً عذباً ، وفخماً سهلًا ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً إما عند الخاصة ، إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة ، إن كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المَنفعة مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العاميّ والخاصيّ ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولُطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، على أن تُفهم العامة معاني الخاصة ،

وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تَلطف عن الدهماء[1] ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغُ التام .

فقال له إبراهيم بن جبلة : جُعلتُ فداكَ ، أنا أحوجُ إلى تعلّمي هذا الكلام من هؤلاء الغِلْمة .

•

١ الدهماء : جماعة الناس .

خطبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب اليه ؛ ونعوذ بالله من شرور انفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسوله .

أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستَفتِح بالذي هو خير .

أما بعد ، أيها الناس ، اسمعوا مني أبيّن لكم ، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيها الناس ، إن دماءَكم وأموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربّكم ، كحُرمةِ يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلّغتُ ، اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها الى الذي ائتمنه عليها ، وإنّ رِبا الجاهلية مَوضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمّي العبّاس بن عبد المطلب ، وإن دماء الجاهليّة موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة

ابن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسقاية .

والعَمدُ قَوَدٌ[1] ، وشبه العَمد ما قُتل بالعصا والحجر ، ففيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهليّة .

أيها الناس ، إنّ الشيطان قد يَئِس أن يُعبَد في أرضكم هذه ولكنّه رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تُحقّرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النّسيء زيادة في الكفر ، يُضَلُّ به الذين كفروا ، يُحِلّونه عاماً ويُحَرّمونه عاماً ، ليواطئوا عدّةَ ما حرّم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خَلق الله السموات والأرض ، وإن عدّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتابَ الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرُم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد .

أيها الناس ، إنّ لنسائكم عليكم حقّاً ، وإنّ لكم عليهن حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطِئْنَ فَرْشَكم غيركم ، ولا يُدخلن

---

[1] القود : القصاص ، قتل القاتل عمداً .

أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضُلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مُبرّح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رِزقُهن وكُسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عواني لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فُروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً .

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة فلا يَحل لامرئ مالُ أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد .

فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تَضلّوا : كتابَ الله ، ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد .

أيها الناس ، إنّ ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كُلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمُكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربيّ على عجميّ فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلّغت ؟

قالوا : نعم .

قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبَه من الميراث ، ولا يجوز لوارث

وصية ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثّلث ، والولدُ للفراش وللعاهر الحَجر ، من ادّعي إلى غير أبيه أو تولّى غيرَ مواليه ، فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطبة أبي بكر يوم السقيفة

أراد عُمر الكلام ، فقال له أبو بكر : على رِسْلك ! ثم حَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، نحن المُهاجرون أوّلُ الناس إسلاماً ، وأكرمُهم أحساباً ، وأوسطُهم داراً ، وأحسنُهم وجوهاً ، وأكثر الناس وِلادةً في العرب ، وأمسُّهم رَحِماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسلمنا قبلكم ، وقُدّمنا في القرآن عليكم ، فقال تباركَ وتعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . »

فنحنُ المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا في الدّين ، وشركاؤنا في الفَيء ، وأنصارُنا على العدوّ ، آويتم وآسيتم ، فجزاكم اللهُ خيراً ، فنحنُ الامراء وأنتم الوزراء ، لا تدين العرب إلاّ لهذا الحيّ من قرَيش ، فلا تنفَسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب ايضاً :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنّي قد وُلّيتُ عليكم ، ولستُ بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني، وان

رأيتموني على باطل فسدّدوني . أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم .

ألا إنّ أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذَ الحقّ له ، وأضعفَكم عندي القويُّ حتى آخذَ الحقّ منه . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أخرى :

فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيّه عليه الصلاة والسلام ، قال : إنّ أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك .

فرفع الناسُ رؤوسهم .

فقال : ما لكم أيها الناسُ ، إنّكم لطَعّانون عَجِلون . إن من الملوكِ مَن إذا مَلك زهّده الله فيما بيده ، ورغّبه فيما بيد غيره ، وانتقصه شطر أجله ، وأشربَ قلبه الاشفاقَ ، فهو يحسد على القليل ، ويتسخّط الكثير ، ويَسأم الرخاء ، وتنقطع عنده لذة البقاء ، لا يستعمل العِبرة ، ولا يسكن الى الثقة ، فهو كالدرهم القَسيّ[1] والسّراب الخادع ، جَذِل الظاهر ، حزين الباطن ؛ فاذا وَجَبَت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظلّه[2] ،

---

١ القسي : الرديء الزائف .

٢ وجبت نفسه ، ونضب عمره ، وضحا ظله : كلها كناية عن الموت .

حاسبه الله فأشدّ حسابه ، وأقلّ عفوه .

ألا إن الفقراء هم المَرحومون ، وخيرَ الملوك مَن آمن بالله وحكم بكتابه وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإنكم اليوم على خِلافة نبوة ، ومَفرِق محجّة ، وسترون بعدي مُلكاً عَضُوضاً[1] ، ومَلِكاً عَنوداً ، وأمة شَعاعاً ، ودماً مُفاحاً[2] ، فإن كانت للباطل نَزْوَة ، ولأهل الحق جَوْلة ، يعفو بها الأثر ، ويَموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن ، واعتصموا بالطاعة . وليكن الإبرام بعد التّشاور ، والصّفقة بعد طول التناظر . أيّ بلاد خَرْشَنة[3] ؟ إنّ الله سيَفتح لكم أقصاها ، كما فتح عليكم أدناها .

وخطب أيضاً فقال :

الحمد لله أحمده واستعينه ، وأستغفره وأومن بـه وأتوكل عليه ، وأستهدي الله بالهُدى ، وأعوذ به من الضّلال والرّدى ، ومن الشك والعَمى . مَن يَهْدِ الله فهو المُهتد ، ومن يُضْلل فلن تَجد له وليّاً مُرْشداً .

---

١ عضوض : فيه استبداد وعسف .
٢ امة شعاع : متفرقة. مفاح : مراق .
٣ خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم اتخذها لبلاد الروم كلها ، من باب استعمال الجزء للكل .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، له المُلك وله الحَمد يُحيي ويُميت ، وهو حَيٌّ لا يَموت ، يُعزّ مَن يشاء ، ويُذِلُّ مَن يشاء ، بيده الخَير وهو عَلى كلِّ شيء قدير .

وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسله بالهُدى ودين الحق ليُظهره على الدين كلّه ولو كَرِه المشركون إلى الناس كافّة رحمةً لهم وحُجة عليهم ، والناسُ حينئذ على شَرّ حال ، في ظُلمات الجاهليّة ، دينُهم بِدْعة ، ودَعْوتهم فِرْية .

فأعزّ الله الدينَ بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألّفَ بين قلوبكم أيها المُؤمنون فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شَفا حُفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يُبيّن الله لكم آياته لعلكم تَهتدون .

فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عزّ وجَلّ : « من يُطِع الرّسولَ فقد أطاع الله ومَن تَولّى فما أرسلناكَ عليهم حَفيظاً . »

أما بعد ، أيها الناس ، إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال ، ولُزوم الحق فيما أحببتم وكَرِهتم ، فإنه ليس فيما دون الصّدق من الحديث خَير .

مَن يَكذب يَفجر ، ومن يَفجر يَهلِك .

وإيّاكم والفَخرَ ، ومـا فَخرُ مَن خُلق من تراب وإلى التراب يَعود ، هو اليوم حيّ وغداً مَيّت .

فاعمَلوا وعُـدُّوا أنفسَكم في الموتى ، وما أشكل عليكم فردُّوا علمه إلى الله ، وقدِّموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحضَراً ، فإنه قال عزّ وجلّ : « يَومَ تجد كلُّ نفسٍ مـا عَمِلَتْ مِن خيرٍ مُحْضَراً وما عَمِلت مِن سُوء تَوَدُّ لو أنّ بينها وبينه أمَداً بَعيداً ، ويُحذِّركم اللهُ نفسَه والله رَؤوف بالعِبَاد . »

فاتّقوا الله عبادَ الله ، وراقبوه واعتبروا بمن مَضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بُدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صَغيرِها وكبيرِها ، إلاّ ما غفر الله إنه غفور رحيم .

فأنفُسَكم أنفسكم والمُستعانُ الله ، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله .

إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً . اللّهم صَلِّ على محمدٍ عَبْدِك ورسولك أفضلَ ما صلّيت على أحدٍ من خلقك ، وزكّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشُرنا في زُمْرته ، وأوْرِدنا حوضَه .

اللهم أعِنّا على طاعتك ، وانصُرنا على عدوّك .

خطبة له اخرى رضي الله عنه :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم بتقوى الله ، وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه ، وأن تَخلِطوا الرَّغبة بالرَّهبة ، وتجمعوا الإلحافَ بالمَسألة ، فإنَّ الله أثنى على زكريا وعلى أهلِ بيته ، فقال : « إنهم كانوا يُسارِعون في الخَيراتِ ويَدعوننا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنا خاشِعين . »

ثم اعلَموا عبادَ الله أن الله قد ارتهن بحقّه أنفسَكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، وعوّضكم بالقليل الفاني الكثيرَ الباقي ، وهذا كتابُ الله فيكم لا تَفنى عجائبُه ، ولا يُطفأ نورُه ، فثِقوا بقوله ، وانتصحوا كتابَه ، واستبصروا به ليوم الظلمة ، فإنه خلَقكم لعبادته ، ووكّل بكم الكرامَ الكاتبين ، يَعلمون ما تَفعلون .

ثم اعلموا عبادَ الله أنكم تَغدون وتَروحون في أجل قد غُيِّب عنكم عِلمُه ، فإن استطعتم أن تنقضي الآجالُ وأنتم في عَمل الله ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا في مَهل بأعمالكم قبل أن تنقضي آجالكم فتردّكم الى سُوء أعمالكم ، فإنّ أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم . فالوَحى الوَحى ، والنجاء النجاء ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً مَرُّه ، سريعاً سَيرُه .

خطب عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

قال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : أيها النـاس ، تعلّموا القرآن واعملوا به تكونوا من أهله ، إنه لم يبلغ حقّ مَخلوق أن يُطاع في معصية الخالق . ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم : إن استغنيتُ عففت ، وإن افتقرت أكلتُ بالمعروف، تَقَرُّمَ البَهمة الأعرابية : القَضْم لا الخَضْم[1].

وخطب ايضاً :

حمد الله وأثنى عليـه ثم قال : أيها الناس ، مَن أرادَ أن يَسأل عن القرآن فليأتِ أُبيّ بن كعب ، ومَن أراد أن يَسأل عن الفرائض فليأتِ زيدَ بن ثابت ، ومَن أراد أن يَسأل عن الفِقْه فليأتِ مُعاذ بن جَبَل ، ومَن أراد أن يَسأل عن المـال فليأتني ، فإن الله جعلني له خازناً وقاسماً .

---

١ التقرم : الأكل أكلاً ضعيفاً . القضم : الأكل بأطراف الأسنان . الخضم : الأكل بأقصى الأضراس .

إني بادىء بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمُعطيهن، ثم المهاجرين الأوّلين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابي ، ثم بالأنصار الذين تَبوّأوا الدارَ والايمان من قبلهم، ثم مَن أسرع الى الهجرة أسرعَ إليه العطاء ، ومَن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء . فلا يلومنّ رجلٌ إلا مُناخ راحلته.

إني قد بَقيتُ فيكم بعد صاحبي ، فابتُليتُ بكم وابتُليتم بي ، وإني لنْ يَحْضُرني من أموركم شيء فأكِله الى غير أهل الجَزاء والأمانة ، فلئن أحسَنوا لأحسنَنّ إليهم ، ولئن أساؤوا لأنكّلنّ بهم .

وخطب ايضاً :

فقال : الحمد لله الذي أعزّنا بالاسلام ، وأكرمنا بالايمان ، ورَحمنا بنبيّه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجَمعنا به من الشتات ، وألّف بين قلوبنا ، ونَصرنا على عدوّنا ، ومكّن لنا في البلاد ، وجَعلنا به إخواناً مُتحابّين . فاحمَدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المَزيدَ فيها والشُّكر عليها ، فإنّ الله قد صَدَقكم الوعدَ بالنّصر على مَن خالَفكم .

وإياكم والعملَ بالمَعاصي ، وكُفرَ النعمة ، فقلّما كفر قومٌ بنعمةٍ ولم يَنزعوا الى التوبة إلاّ سُلبوا عزّهم ، وسُلّط عليهم عدوّهم .

أيها الناس، إنّ الله قد أعزّ دعوة هذه الأمة وجَمع كلمتها وأظهر فَلَجها ونَصرها وشرّفها، فاحمدوه عبادَ الله على نِعمه، واشكروه على آلائه. جعلنا الله وإياكم من الشاكرين.

وخطبة له ايضاً:

أيها الناس، إنه قد أتى عليّ زمانٌ وأنا أرى أن قوماً يقرأون القرآن يُريدون به الله عزّ وجلّ وما عنده، فخُيّل إليّ أنّ قوماً قرأوه يُريدون به الناس والدنيا.

ألا فأريدوا الله بأعمالكم. ألا إنما كنا نعرفكم إذ يتنزّل الوَحْي وإذ رسول الله بين أظهرنا يُنبئنا من أخباركم، فقد انقطع الوحي، وذهب النبي، فإنما نَعرفكم بالقول.

ألا مَن رأينا منه خيراً ظنَنّا به خيراً وأحببناه عليه، ومَن رأينا منه شرّاً ظنَنّا به شرّاً وأبغضناه عليه. سرائركم بَينكم وبين ربكم.

ألا وإني إنما أبعث عُمّالي ليُعلّموكم دينكم وسُننكم، ولا أبعثهم ليَضربوا ظُهوركم ويأخذوا أموالكم.

ألا مَن رابه شيء من ذلك فليرفعه إليّ، فوالذي نفسي بيده لأقُصّنّكم منه.

فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيتَ إن

بعثتَ عاملاً من عُمّالك فأدّب رجلاً من رعيّتك فضربه ، أتقصّه منه ؟

قال : نعم ، والذي نَفس عُمر بيده ، لأقصّنّه منه ، فقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه .

وخطب ايضاً فقال :

أيها الناس ، اتقوا الله في سَريرتكم وعلانيتكم ، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المُنكر ، ولا تكونوا مثلَ قوم كانوا في سَفينة فأقبل أحدُهم على مَوضعه يخرقه ، فنظر إليه أصحابُه فمنَعوه ، فقال : هو مَوضعي ولي أن أحكم فيه . فإن أخذوا على يده سَلِم وسَلِموا ، وإن تركوه هَلك وهَلكوا معه . وهذا مَثل ضربتُه لكم ، رحمنا الله وإياكم .

وخطب عام الرمادة بالعباس رحمه الله :

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه ، ثم قال : أيها الناس ، استغفروا ربّكم إنه كان غفّاراً ، اللهمّ إني أستغفرك وأتوب اليك . اللهمّ إنّا نتقرّب اليك بعمّ نبيّك وبقيّة آبائه وكبار رجاله ، فإنك تقول وقولك الحق : «وأمّا الجِدارُ فكان لغُلامين يَتيمين في المدينة وكان تَحته كنزٌ لهما وكان أبوهما

صالحاً »، فحفظتَهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيّك في عمّه .

اللهمّ اغفر لنا إنك كنت غفاراً .

اللهم أنت الرّاعي ، لا تُهمل الضالة ، ولا تَدع الكسيرة بمَضْيعة .

اللهم قد ضَرع الصغير ، ورقّ الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخفى .

اللهم أغِثْهم بغِياثك قبل أن يَقْنطوا فيَهْلِكوا ، فإنه لا ييأس من رَوْح الله إلاّ القومُ الكافرون . فما برحوا حتى علّقوا الحِذاء ، وقلّصوا المآزر[1] ، وطفِق الناسُ بالعبّاس يقولون : هنيئاً لك يا ساقي الحرَمين .

وخطب اذ ولي الخلافة :

صَعد المِنْبَر فحَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس ، إني داعٍ فأمّنوا .

اللهم إنّي غليظ فليّنّي لأهل طاعتك بموافقة الحقّ ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقني الغِلْظة والشدّة على أعدائك وأهلِ الدّعارة والنّفاق ، من غير ظُلم مني لهم ولا اعتداء عليهم .

---

١ يريد انهم لم يبرحوا حتى جاءهم الغيث فخلعوا نعالهم وعلقوها وشمروا ثيابهم .

اللهمّ إنّي شحيح فسَخّني في نوائب المعروف ، قَصْداً من غير سَرَف ولا تَبْذير ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلني أبتغي بذلك وجهَك والدارَ الآخرة .

اللهمّ ارزقني خَفْض الجَناح ولِين الجانب للمؤمنين .

اللهمّ إنّي كثيرُ الغَفْلة والنّسيان فألهمني ذِكْرك على كلّ حال ، وذِكْر الموت في كلّ حين .

اللهم إنّي ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاط فيها والقوّة عليها بالنيّة الحسنة التي لا تكون إلاّ بعزّتك وتَوفيقك .

اللهمّ ثبّتني باليقين والبرّ والتقوى ، وذِكْر المَقام بين يديك ، والحَياء منك ، وارزقني الخُشوع فيما يُرضيك عني ، والمُحاسبة لنفسي ، وصلاح النّيّات ، والحَذر من الشّبهات .

اللهمّ ارزقني التفكّر والتدبّر لما يتلوه لِساني من كتابك ، والفَهْم له ، والمَعرفة بمَعانيه ، والنّظر في عجائبه ، والعملَ بذلك ما بقيتُ ، إنك على كلّ شيء قدير .

•

وكان آخرَ كلام أبي بكر الذي إذا تكلّم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته : اللهمّ اجعل خيرَ زماني آخرَه ، وخيرَ

عملي خواتمه ، وخيرَ أيامي يومَ ألقاك .

وكان آخرَ كلام عمر الذي إذا تكلم به عُرف أنه فَرغ من خُطبته : اللهم لا تَدعني في غَمرة ، ولا تَأخذني على غِرّة ، ولا تَجعلني من الغافلين .

•

خطبة لعثمان بن عفان

رضي الله عنه

ولما وَلي عثمانُ بن عفّان قام خطيباً ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وتَشهّد ، ثم أُرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إنّ أوّلَ كلّ مَرْكب صَعْب ، وإنْ أعِش فستأتيكم الخُطب على وَجهها ، وسيجعل الله بعد عُسر يُسراً .

•

خطب على بن أبى طالب

رضوان الله عليه

أوّل خُطبة خطبها بالمدينة ، فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه عليه الصلاةُ والسلام ، ثم قال : أيها الناس ، كتابَ الله وسُنّةَ نبيّكم صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ، فلا يَدّعِينّ مُدّعٍ إلا على نفسه ، شُغِل مَن الجنّة والنار أمامَه . ساعٍ نجا ، وطالبٌ يرجو ، ومقصر في النار ، ثلاثة ؛ واثنان : ملَك طار بجناحيه ، ونبيّ أخذ الله بيديه ، لا سادس. هلك مَن اقتحم ، ورَدي مَن هوى .

اليمينُ والشّمال مَضلّة ، والوسطى الجادّة . منهج عليه أمُّ الكتاب والسنّة وآثارُ النبوّة .

إنّ الله داوى هذه الأمة بدواءين : السّوط والسيف ، لا هَوادة عند الإمام فيهما .

استتروا ببيوتكم ، وأصلِحوا فيما بينكم ، فالموتُ من ورائكم .

مَن أبدى صَفحته للحقّ هلَك. قد كانت أمورٌ لم تكونوا فيها محمودين .

أما إني لو أشاء أن أقول لقُلت . عفا الله عما سَلف . سَبق الرجلان ونام الثالث كالغُراب هِمّته بَطنه ، ويْله ! لو قُص جناحاه وقُطع رأسه لكان خيراً له .

انظروا فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عَرفتم فاعرفوا . حقّ وباطل ، ولكلٍّ أهل ، ولئِن كثر الباطل لقديماً فعل ، ولئن قلّ الحق لربما ولعلّ ، ولقلما ادبر شيء فأقبل ، ولئِن رجعتْ إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنني لأخشى أن تكونوا في فَترة ، وما علينا إلاّ الاجتهاد .

•

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : ألا إن الأبرار عِترتي ، وأطايب أرومتي ؛ أحلم الناس صِغاراً ، وأعلم الناس كباراً . ألا وإنّا أهلَ البيت مِن عِلْم الله عِلْمُنا ، وبحُكم الله حُكمنا ، ومن قول صادقٍ سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا . معنا رايةُ الحقّ ، من تَبعها لَحِق ، ومن تأخر عنها غَرِق .

ألا وبنا تُردّ تِرَة كلّ مؤمن ، وبنا تُخلع رِبْقة الذلّ من أعناقكم ، وبنا فُتح الأمر وبنا يُختم .

وخطبة له ايضاً :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقديم العمَل ، وتَرك الأمَل ، فإنه من فرّط في عمله ، لم يَنتفع بشيء من أمله .

أين التّعِب بالليل والنهار ، والمُقتحم لِلُجج البحارِ ، ومَفاوِز القِفار ؟ يَسير من وراء الجبال ، وعالج الرمال[1] ؛ يَصل الغُدُوّ بالرَّواح ، والمساء بالصباح ، في طلب مُحقّرات الارباح ؛ هَجَمتْ عليه منيّته ، فعظُمت بنفسه رزيّته ؛ فصار ما جمَعَ بُوراً ، وما اكتسب غُروراً ، ووافى القيامةَ محسوراً .

أيها اللاهي الغارُّ نفسه ، كأنّي بك وقد أتاكَ رسولُ ربك لا يَقرع لك باباً ، ولا يَهاب لك حِجاباً ؛ ولا يَقبل منك بديلاً ، ولا يأخذ منك كفيلاً ؛ ولا يرحم لك صغيراً ، ولا يُوقّر فيك كبيراً ؛ حتى يُؤدّيك إلى قَعْر مُظلمة ، أرجاؤها موحشة ؛ كفِعْله بالأمم الخالية ، والقُرون الماضية .

أين مَن سعى واجتهد ، وجَمع وعدّد ، وبَنى وشيّد ،

---

١ عالج الرمال : ما تراكم وتداخل منها .

وزَخرف ونَجّد ، وبالقليل لم يَقنع ، وبالكثير لم يمتّع ؟

أين مَن قاد الجنود ونَشر البُنود ؟ أضحَوا رُفاتاً ، تحت الثرى أمواتاً ، وأنتم بكأسهم شاربون ، ولِسبيلهم سالكون.

عبادَ الله ، فاتّقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذي تُسيَّر فيه الجبال ، وتَشقّق السماء بالغَمام، وتَطايَرُ الكُتب عن الأيمان والشمائل . فأي رجلٍ يومئذ تُراك ؟ أقائل : هاؤم اقرأوا كتابيه ؛ ام : يا ليتني لم أوتَ كتابيَه ؟ نسأل مَن وعَدَنا بإقامة الشرائع جَنّته أن يَقينا سُخْطه .

إنّ أحسنَ الحديث وأبلَغ الموعظة كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خَلْفه ، تَنْزيلٌ من حَكيم حَميد .

وخطبة له ايضاً :

الحمدُ لله الذي استَخلص الحمدَ لنفسه ، واستوجبه على جميع خَلْقه ، الذي ناصيةُ كل شيء بيده ، ومَصير كل شيء اليه ، القويّ في سُلطانه ، اللطيف في جَبَروته ، لا مانعَ لما أعطى ، ولا مُعْطِي لما مَنع ، خالق الخلائق بقُدرته ، ومُسخّرهم بمَشيئته، وفيّ العهد ، صادق الوعد ، شديد العِقاب، جزيل الثّواب. أحمده وأستعينه على ما أنعم به ، مما لا يَعرف

كُنْهَه غيرُه ، وأتوكّل عليه توكّل المستسلم لقُدرته ، المتبرّي من الحَول والقوة إلاّ إليه ، وأشهد شهادةً لا يَشوبها شكٌ أنه لا إله إلاّ هو وحدَه لا شريك له ، إلهاً واحداً صَمَداً ، لم يَتّخذ صاحِبةً ولا وَلَداً ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له وليّ من الذّلّ وكَبّره تكبيراً ، وهو على كل شيء قدير .

قَطع ادعاء المُدعي بقوله عزّ وجلّ : « وما خَلَقْتُ الجِن والإنس إلاّ ليَعبدون . »

وأشهدُ أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم صفوتُه من خَلْقه ، وأمينُه على وَحْيه ، أرسله بالمَعروف آمِراً ، وعن المُنكر ناهياً ، وإلى الحقّ داعياً ، على حين فَترة من الرُسل ، وضلالة من الناس ، واختلاف من الأمور ، وتنازُع من الألسن ، حتى تَمّم به الوحي ، وأنذر به أهلَ الأرض .

أوصيكم عبادَ الله بتَقوى الله ، فإنها العِصمةُ من كلّ ضلال ، والسبيلُ الى كلّ نَجاة ؛ فكأنكم بالجُثث قد زايَلَتْها أرواحُها وتَضَمّنتها أجداثُها ، فلن يَستَقبِلَ معمّر منكم يوماً من عُمره إلاّ بانتقاص آخرَ من أجَله ، وإنما دُنياكم كفيء الظّلّ ، أو زاد الرّاكب .

وأحذّركم دُعاء العزيز الجبّار عبدَه ، يوم تُعفّى آثارُه ،

وتُوحِشُ منه دِيارُه ، ويُوتَم صِغارُه ، ثم يَصير الى حَفير من الأرض ، مُتعفراً خَدُّه ، غيرَ مُوسَّد ولا مُمَهَّد .

أسأل الذي وَعدنا على طاعته جَنّته أن يَقينا سُخطه ، ويُجنّبنا نِقمته ، ويَهَب لنا رحمته ، إنّ أبلغ الحديثِ كتابُ الله .

وخطبة له رضي الله عنه :

أمّا بعد ، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوَداع ، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وإن المِضمار اليوم والسّباق غداً .

ألا وإنكم في أيام أمل ، ومِن ورائه أجل ، فمن أخلص في أيام أمله ، قبل حُضور أجله ، نفَعه عملُه ، ولم يَضره أملُه ؛ ومن قصّر في أيام أمله ، قبل حُضور أجله ، فقد خَسِر عملُه ، وضَرّه أمله .

ألا فاعملوا لله في الرّغبة ، كما تَعملون له في الرّهبة .

ألا وإني لم أرَ كالجنّة نام طالبُها ، ولم أرَ كالنّار نامَ هاربُها .

ألا وإنكم قد أُمِرتم بالظّعْن ، ودُللتم على الزّاد ، وإن أخوفَ ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى ، وطولُ الأمل .

وخطبة له ايضاً :

قالوا : ولما أغار سُفيان بن عَوف الأسديّ على الأنبار في خلافة عليّ رضي الله عنه ، وعليها حَسّان البكري ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مَسارحها ، فخرج عليّ رضي الله عنه حتى جَلس على باب السُدّة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجَنّة ، فمن تركه ألبسه الله ثوبَ الذُل ، وأشمله البَلاء ، وألزمه الصَّغار ، وسامَه الخَسْف ، ومنَعه النَّصَف[١] .

ألا وإني دعوتُكم الى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسرّاً وإعلاناً ، وقلت لكم : اغزُوهم قبلَ أن يَغزوكم ، فوالله ما غُزي قومٌ قطُّ في عُقر دارهم إلا ذلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم وثَقُل عليكم قولي ، فاتخذتُموه وراءَكم ظِهْرِيّاً ، حتى شُنّت عليكم الغارات .

هذا أخو غامِد ، قد بلغت خيلُه الأنبار ، وقتل حَسّان البَكريّ ، وأزال خَيلَكم عن مَسارحها ، وقتل منكم رجالاً صالحين . وقد بَلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على

---

١ النصف : الانتصاف .

المرأة المُسلمة والاخرى المُعاهَـدة فينزع حِجْلها وقُلبها ورِعاثَها[١] ، ثم انصرفوا وافرين ، ما كُلِم رجلٌ منهم. فلو أنّ رجلاً مُسلماً ماتَ من بعد هذا أسَفاً ما كان عندي مَلوماً بل كان عندي جديراً .

فواعجبا من جِـدّ هؤلاء في باطلهم ، وفَشَلكم عن حقّكم ! فقُبحاً لكم وتَرَحاً ! حين صِرتم غرضاً يُرمى ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَون ولا تَغزُون ، ويُعصى الله وتَرْضون ! فإذا أمرتكم بالمَسير اليهم في أيام الحَرّ قلتم : حَمارّة القَيظ ، أمهلنا حتى يَنسلخ عنا الحر ، وإذا أمرتكم بالمسير اليهم شُحى في الشتاء ، قلتم : أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القُر . كلُّ هـذا فِراراً من الحَرّ والقُر ، فأنتم والله من السيف أفرّ .

يا أشباهَ الرّجال ولا رجالَ ! ويا أحلام أطفال ، وعقول ربّات الحِجال ! وَدِدتُ أن الله أخرجني من بين أظهُركم وقبضني الى رحمته من بينكم ، وأني لم أركم ولم أعرفكم ، معرفةٌ والله جَرّتْ وَهْناً ، وورّيتم والله صَدري غيظاً ، وجرّعتموني الموتَ أنفاساً ، وأفسدتم عليّ رأيي بالعِصيان

١ القلب : السوار . الرعاث : القرط .

والخِذلان، حتى قالت قُرَيش: إن ابن أبي طالب شُجاع، ولكنْ لا عِلم له بالحَرب، لله أبوهم! وهَلْ منهم أحد أشدُّ لها مِراساً وأطولُ تجربةً منّي! لقد مارستُها وأنا ابنُ عِشْرين، فها أنذا الآنَ قد نَيّفت على الستين، ولكنْ لا رأيَ لمن لا يُطاع.

وخطبة له رضي الله عنه:

قام فيهم فقال: أيها الناس، المجتمعة أبدانُهم، المُختلفة أهواؤهم، كلامُكم يوهي[1] الصُّم الصِّلاب، وفِعلُكم يُطْمِع فيكم عدوَّكم؛ تقولون في المَجالس كَيْتَ وكَيْتَ، فإذا جاء القِتال قُلتم: حِيدي حَيادِ[2].

ما عَزَّت دعوةُ مَن دعاكم، ولا استراح قلبُ من قاساكم، أعاليل بأباطيل.

وسألتموني التأخير، دِفاع ذي الدَّين المَطول. هيهات! لا يدفع الضَّيمَ الذَّليلُ، ولا يُدْرَكُ الحقُّ إلا بالجِدّ.

أيُّ دار بعد داركم تَمنعون؟ أم مع أيِّ إمام بَعدي تُقاتِلون؟ المَغرور والله من غَررتموه، ومَن فاز بكم فاز بالسَّهم الأخيَب.

---

١ في بعض الأصول: «يوهن».
٢ حيدي: ميلي. حياد: ابعدي وتنحي.

أصبحتُ واللهِ لا أُصدّق قولَكم ، ولا أطمع في نُصْرَتِكم ، فرّق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم مَن هو خيرٌ لي منكم . وَدِدْتُ والله أنّ لي بكلّ عشرة منكم رجلاً من بني فِرَاس ابن غَنْم ، صَرْفَ الدّينار بالدّرهم .

وخطب اذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل :

فأقبلوا إليه مع ابنه الحَسَن رضي الله عنه ، فقام فيهم خَطيباً ، فقال : الحَمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيّدنا محمد خاتم النبيّين وآخر المُرسلين .

أما بعد ، فإنّ الله بعث محمداً عليه الصلاةُ والسلام إلى الثّقَلين[1] كافّة ، والناسُ في اختلاف ، والعرب بشَرّ المَنازل ، مُستضعفون لما بهم ، بعضُهم على بعض ، فرَأب الله به الثّأي[2] ، ولأمَ به الصّدْع ، ورَتَق به الفَتْق ، وأمّن به السُّبُل ، وحقَن به الدّماء ، وقَطع به العداوةَ الواغرة للقُلوب ، والضّغائن المُخَشّنَة للصّدور ؛ ثم قَبضه الله عز وجلّ مَشكوراً سَعْيُه ، مَرْضِياً عملُه ، مَغفوراً ذنبه ، كريماً عند ربّه .

---

١ الثقلان : الانس والجن .
٢ الثأي : الافساد .

فيا لها مصيبةً عَمَّت المسلمين، وخَصَّت الاقرَبين! ووَلِيَ أبو بكر، فسار بسيرة رَضِيها المسلمون؛ ثمَّ وليَ عمر، فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما؛ ثمَّ وَلِيَ عثمان، فنَال منكم وَنِلتم منه، حتى إذا كان من أمره ما كان، أتيتموه فَقَتَلتموه، ثم أتيتموني فقلتم لي: بايِعْنا، فقلتُ لكم: لا أفعل، وقَبَضت يدي فبَسطتموها، ونازعتم كَفي فَجَذَبتموها، وقلتم: لا نَرْضى إلاَّ بك، ولا نجتمع إلاَّ عليك، وتَداككتم عليَّ تَداكُكَ الابِل الهِيم[1] على حِياضها يوم وِرْدها، حتى ظننتُ انكم قاتلي، وأنَّ بعضكم قاتلُ بعض، فبايعتُموني، وبايعني طَلْحَة والزُّبَير، ثم ما لَبِثا أن استأذناني للعُمرة، فسارا إلى البَصْرَة، فقَتَلا بها المسلمين، وفَعلا الأفاعيل، وهما يَعلَمان والله أني لستُ بدون واحد ممن مَضى، ولو أشاء أن أقول لقُلت: اللهم إنهما قَطَعا قرابتي، ونَكَثا بَيْعتي، وألَّبا[2] عليَّ عدوِّي.

اللهم فلا تُحكِم لهما ما أبرَما، وأرِهما المَساءة فيما عَمِلا وأمَّلا.

---

١ تداككتم: تزاحمتم. الهيم: العطاش، الواحدة: هيماء.
٢ ألبا: جمعا.

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر :

قال نافع بن كليب : دخلتُ الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، فإني لجالسٌ تحت منبره وعليه عِمامةٌ سوداء وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فمن دَعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عِمامتي هذه . فقال له عديُّ بن حاتم : قلتَ لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه ، وتقول لنا اليومَ : من دعا إليها فاقتلوه . والله ما تَدري ما تَصنع بك !

وقام اليه رجل أحدب من أهلِ العراق فقال : أمرتَ بها أمسِ وتنهى عنها اليومَ ! فأنت كما قال الأول : آكُلُكَ وأنا أعلم من أنت[1] .

فقال عليّ : ألي يُقال هذا ؟

أصبحتُ أذكر أرحاماً وآصرةً،
بُدّلتُ منها هُوِيَّ الرّيح بالقَصَبِ

أما والله لو أني حين أمرتُكم بما أمرتكم به، ونهيتكم عمّا نهيتكم عنه ، حملتُكم على المكروه الذي جعل اللهُ عاقبتَه خيراً إذا كان فيه ، لكانت الوُثقى التي لا تُفصَم ، ولكن متى وإلى متى

---

١ مثل يضرب لمن يأتي الأمر وهو يعلم ما فيه مما يكره .

أداويكم ؟ إني والله بكم كناقش الشوكة[1] بالشوكة ! يا ليتَ لي بعضَ قومي ، وليت لي من بَعْدُ خيرَ قومي . »

اللهم إن دِجلة والفرات نهران أعجمان أصمّان أبكمان ، اللهم سَلِّط عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرَك ، وَيْ للنَّزَعة بأشطان الرَّكيّ[2] ، دُعوا الى الاسلامِ فقبلوه ، وقرأوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشِّعر فأحكموه ، وهُيِّجوا الى الجهادِ فوَلَّوا اللِّقاح أولادها وسلَبوا السيوف أغمادها ، ضَرْباً ضَرْباً ، وزحفاً زحفاً ، لا يتباشرون بالحياة ، ولا يُعَزَّوْن على القتلى .

أولئك إخوانيَ الذاهبون ،
فحقّ البُكاء لهم أن يَطيبا

رُزِئتُ حبيباً ، على فاقةٍ ،
وفارقتُ ، بعد حبيبٍ ، حبيبا

ثم نزل تَدمع عيناه . فقلت : إنّا لله وإنّا اليه راجعون على ما صِرتَ إليه !

---

١ ناقش الشوكة : مخرجها .

٢ النزعة : الذين ينزعون الدلاء . الأشطان : حبال الدلاء . الركي ، واحدتها ركية : البئر .

فقال : نعم ، إنّا لله وإنّا اليه راجعون ! أقوّمهم والله غدوَة، ويرجعون إليَّ عشيّةً ، مثل ظهر الحيّة ، حتى متى وإلى متى ؟ حَسْبي الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء رضي الله عنه :

الحمد لله الأحد الصَّمَد ، الواحد المنفرد ، الذي لا من شيء كان ولا من شيء خُلِق إلاّ وهو خاضع له . قُدرة بانَ بها من الأشياء ، وبانت الأشياء منه ، فليست له صفة تُنال ، ولا حدّ يُضرب له فيه الأمثال ، كَلّ دون صفته تَحْبير اللغات ، وضلّت هناك تصاريف الصّفات ، وحـارت دون ملكوته مذاهب التفكير ، وانقطعت دون علِمه جوامعُ التفسير ، وحالت دونَ غَيْبِهِ حُجُبٌ تاهت في أدنى دُنوّها طامحات العقول . فتبارك الله الذي لا يبلُغهُ بُعْدُ الهِمَم ، ولا يَناله غَوص الفِطَن ؛ وتعالى الذي ليس له نَعْت موجود ، ولا وقتٌ محدود . وسبحان الذي ليس له أوّلٌ مُبتدا ، ولا غايةٌ منتهى ، ولا آخرٌ يَفنى .

وهو سبحانه كما وَصف نفسه ، والواصفونَ لا يبلغون نَعته، أحاط بالأشياء كلّها عِلمُهُ ، وأتقنها صُنعه ، وذلّلها أمره ، وأحصاها حِفظُهُ ، فلا يَعزُبُ عنه غيوب الهوى ، ولا مكنون ظُلَم الدُّجى ، ولا ما في السموات العُـلى ، إلى الأرض السابعة السُّفلى .

فهو لكلِّ شيء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها . الاحد الصَّمد ، الذي لم تغيره صُروف الأزمان ، ولم يتكاءده[1] صُنع شيء منها كان .

قال لِما شاء أن يكون : كُن فكان ؛ ابتدعَ ما خلَق ، بلا مثال سَبق ، ولا تعب ، ولا نصَب ؛ وكلُّ عالم من بعد جهل تَعَلَّم ، والله لم يجهل ولم يتعلَّم .

أحاط بالأشياء كلّها علماً ، ولم يَزدَدْ بتجربتها خُبراً ؛ عِلمُه بها قبل كَونْها كعلمه بها بعد تكوينها ؛ لم يكوّنها لتسديد سلطان ، ولا خوفاً من زوال ولا نُقصان ؛ ولا استعانة على ضد مناوىء ، ولا نِدّ مُكاثر ؛ ولكن خلائق مَربوبون ، وعِباد داخرون[2] .

فسبحان الذي لم يؤده خَلقُ ما ابتدأ ، ولا تَدبير ما بَرأ ، خَلَق ما عَلِمَ ، وعَلِمَ ما أرادَ ، ولا يتفكّر على حادث أصاب ، ولا شُبهة دخلت عليه فيما شاء ؛ لكن قضاء مُتقن ، وعِلم مُحكم ، وأمر مُبرَم توحّد فيه بالرُّبوبية ، وخَصّ نفسه بالوحدانية ؛ فلبِسَ العِزَّ والكبرياء ، واستَخلص المجد والسَّناء ،

---

١ تكاءده الامر : شق عليه .
٢ داخرون : خاشعون لله يفعلون ما يؤمرون .

واستكمَلَ الحمد والثّناء ، فانفرد بالتوحيد ، وتوحّد بالتمجيد. فجلَّ سبحانه وتعالى عن الابناء ، وتطهّر وتقدَّس عن ملامسة النّساء ؛ فليس له فيما خلق نِدٌّ ولا فيما ملك ضدٌّ .

هو الله الواحد الصّمد ، الوارثُ للأبد ، الذي لا يَبيد ولا يَنفد ؛ مَلَكَ السموات العُلى ، والأرَضين السُّفلى ؛ ثم دَنا فَعَلا ، وعَـلا فدَنا ؛ له المَثَل الأعلى ، والأسماء الحُسنى ، والحمدُ لله ربّ العالمين .

ثم إنّ الله تبارك وتعالى سُبحانه بحَمْدِه ، خلَقَ الخلق بعِلمه ، ثم اختار منهم صَفوته لنفسه ، واختار من خِيارِ صَفوته أمناء على وحيه ، وخَزَنة له على أمره ، إليهم تَنتهي رسالتُه ، وعليهم يَنزل وَحيه ؛ جعلهم أصفياء ، مُصطَفين أنبياء ، مَهديّين نُجباء .

استودعهم وأقرّهم في خـير مُستقر ، تَناسختهم أكارمُ الأصلاب ، الى مطهّرات الأمهات ؛ كلما مضى منهم سَلف ، انبعث لأمره منهم خَلف ؛ حتى انتهت نُبوّة الله وأفضت كرامته الى محمد صلى الله عليه وسلم ، فأخرجـه من أفضل المَعادن مَحتِداً ، وأكرم المَغارس منبِتاً ، وأمنعها ذِروة ، وأعزّها أرُومة ، وأوصلها مَكرمـة ؛ من الشجرة التي صاغ منها أمناء ، وانتخب منها انبياء ؛ شجرة طيّبة العُود ، مُعتدلة

العَمود ، باسقة الفُروع ، مُخضرّة الأصول والغصون ، يانعة الثّمار ، كريمة المُجتنى ، في كرم نَبَتت ، وفيه بَسقت وأثمرت وعزّت فامتنعت ؛ حتى أكرمه الله بالرُّوح الأمين ، والنُّور المبين ، فختم به النّبيين ، وأتمّ به عِدة المُرسلين .

خليفتُه على عباده ، وأمينُه في بلاده ؛ زَيّنه بالتّقوى ، وآثار الذّكرى ؛ وهو إمام من اتّقى ، ونَصْر من اهتدى ؛ سراجٌ لمع ضَوْؤه ، وزَنْد بَرقَ لَمْعه ، وشِهابٌ سطع نُوره ، فاستضاءت به العِباد ، واستنارت به البلاد ، وطَوى به الأحساب ، وأزجى به السّحاب ، وسَخّر له البُراق ، حتى صافحته المَلائكة ، وأذعنت له الأبالسة ، وهَدم به أصنام الآلهة .

سِيرتُه القَصْد ، وسُنّته الرُّشد ؛ وكلامه فَصْل ، وحكمه عَدْل . فصدع صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد دعوتَه ، وأظهر في خَلْقه : لا إله إلا الله ، حتى أذعن له بالرُّبوبية ، وأقرّ له بالعُبودية والوَحدانية .

اللهم فخُصّ محمداً صلى الله عليه وسلم بالذّكر المحمود ، والحَوض المورود .

اللهمّ آتِ محمداً الوسيلة ، والرّفعة والفضيلة ؛ واجعل في المُصطفين مَحلّته ، وفي الأعلين درجتَه ؛ وشرّف بُنيانه ،

وعَظِّم بُرهانه ، واسقنا بكأسه ، وأورِدنا حَوضَه ، واحشُرنا في زُمرته ، غيرَ خزايا ولا ناكِثين ، ولا شاكّين ولا مُرتابين ، ولا ضالّين ولا مَفتونين ، ولا مُبدّلين ولا حائدين ولا مضلّين .

اللهم أعطِ محمداً من كل كرامة أفضلَها ، ومن كلّ نعيم أكملَه ، ومن كل عَطاء أجزله ، ومن كل قَسْم أتمَّه ، حتى لا يكون أحد من خَلقك أقربَ منك مَكاناً ، ولا أحظى عندك منزلة ، ولا أدنى إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقاً ولا شفاعة من محمد .

واجمع بيننا وبينه في ظِلّ العيش ، وبَرد الرّوح ، وقرّة الأعين ، ونَضرة السُّرور ، وبهجة النعيم ؛ فإنا نشهد أنه قد بلّغ الرّسالة ، وأدّى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة ، وجاهد في سبيلك ، وأوذي في جَنبك ، ولم يَخفْ لَومة لائم في دينك ، وعَبَدك حتى أتاه اليقين . إمام المُتقين ، وسيّد المُرسلين ، وتَمام النبيين ، وخاتَمُ المُرسلين ، ورسولُ ربّ العالمين .

اللهمّ ربّ البيت الحرام ، وربّ البلد الحرام ، وربّ الركن والمَقام ، وربّ المَشعر الحرام ، بَلّغ محمداً منا السلام . اللهم صلّ على ملائكتك المُقرّبين ، وعلى أنبيائك المُرسلين ، وعلى الحَفَظة الكرام الكاتبين ، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين ، من المؤمنين .

وخطبته الزهراء :

الحمد لله الذي هو أوّل كل شيء وبَديه ، ومُنتهى كل شيء ووليّه ، وكل شيء خاشعٌ له ، وكلّ شيء قائم به ، وكل شيء ضارعٌ إليه ، وكل شيء مُستكين له .

خَشعت له الأصوات ، وكَلّت دونه الصّفات ؛ وضلّت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار .

لا يَقضي في الأمور غيرُه ، ولا يَتمّ شيء منها دونه ، سُبحانه ما أجلّ شأنه وأعظمَ سُلطانه ! تُسبّح له السموات العُلى ، ومَن في الأرض السُّفلى ؛ له التّسبيح والعَظمة ، والمُلك والقُدرة ، والحَول والقوّة ؛ يَقضي بعِلم ، ويَعفو بحِلم ؛ قوة ُكلّ ضعيف ، ومَفزع كلّ مَلهوف ، وعِزّ كُل ذليل ، ووليُّ كل نِعْمة ، وصاحبُ كلّ حَسَنة ، وكاشفُ كل كُربة ؛ المُطّلع على كل خفيّة ، المُحصي لكلّ سريرة ، يعلم ما تُكنُّ الصّدور ، وما تُرْخى عليه السُّتور ؛ الرّحيم بخَلقه ، الرّؤوف بعباده ، مَن تكلّم منهم سَمع كلامَه ، ومن سكت منهم علِمَ ما في نفسه ، ومَن عاش منهم فعليه رِزقُه ، ومَن مات منهم فإليه مصيره .

أحاط بكل شيء عِلمُه ، وأحصى كلّ شيء حِفظُه .

اللهم لك الحمد عدد ما تُحيي وتُميت ، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظ أبصارهم ، وعدد ما تجري به الريحُ ، وتحمله السحاب ، ويختلف به الليلُ والنهار ، ويسير به الشمسُ والقمر والنجومُ ، حمداً لا ينقضي عدده ، ولا يفنى أمده .

اللهم أنت قبلَ كلِّ شيء ، وإليكَ مصيرُ كل شيء ، وتكون بعد هلاكِ كلِّ شيء ، وتبقى ويفنى كلُّ شيء ، وأنت وارث كلِّ شيء ، أحاط علمك بكل شيء ، وليس يُعجزك شيء ، ولا يتوارى عنك شيء ؛ ولا يقدر أحدٌ قدرتك ، ولا يشكرك أحدٌ حقّ شكرك ، ولا تهتدي العقول لصفتك ، ولا تبلغ الأوهام حدّك .

حارت الأبصار دون النظر إليك ، فلم ترك عينٌ فتخبرَ عنك كيف أنت وكيف كنت ، لا نعلم اللهم كيف عظمتك ، غير أنّا نعلم أنك حيٌّ قيّوم ، لا تأخذك سِنَة ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يُدركك بصر ، ولا يقدر قدرتك ملَك ولا بشر ؛ أدركت الأبصار ، وكتبت الآجال ، وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصي والأقدام ؛ لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة ؛ ملأت كل شيء عظمةً ، فلا يُردّ ما أردت ، ولا يُعطى ما منعت ، ولا ينقص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملكك من أطاعك .

كل سِرّ عندك عِلمُه ، وكلّ غَيب عندك شاهدُه ، فلم يَستتر عنك شيء ، ولم يَشغلك شيء عن شيء ، وقدرتك على ما تقضي كقُدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوي كقدرتك على الضعيف ، وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات . فإليك المُنتهى ، وأنت الموعد ، لا منجى إلا اليك ، بيدك ناصيةُ كل دابة ، وبإذنك تسقط كلّ ورقة ، لا يَعزُب عنك مثقالُ ذرّة ، أنت الحيّ القيوم .

سبحانك ! ما أعظم ما يُرى من خَلقك ! وما اعظم ما يُرى من ملكوتك ! وما أقلّهما فيما غاب عنّا منه ! وما أسبغ نعمتَك في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة ! وما أشد عقوبتَك في الدنيا وما أيسرها في عُقوبة الآخرة ! وما الذي نرى من خَلقك ، ونَعتبر من قدرتك ، ونَصِف من سُلطانك ، فيما يَغيب عنّا منه ، مما قَصُرت أبصارُنا عنه، وكلّت عقولنا دونه ، وحالت الغُيوب بيننا وبينه ! فمن فَرّغ سِنّه ، وأعمل فِكره : كيف أقمت عرشك ؟ وكيف ذرأت[1] خلقك ؟ وكيف علّقت في الهواء سمواتِك ؟ وكيف مددت أرضَك ؟ يَرجع طرفُه حاسراً ، وعقلُه مَبهوراً ، وسَمعُه والهاً ، وفِكره متحيراً .

---

١ ذرأت : خلقت .

فكيف يطلب عِلم ما قبل ذلك من شأنك ، إذ أنت وحدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرُك ، ولم يكن لها سواك ، لا أحدَ شَهِدك حين فطرت الخَلق ولا احـــدَ حَضرك حينَ ذرأت النُّفوس ، فكيف لا يَعظم شأنُك عنـد من عَرفك ، وهو يرى مِن خلقك مـا ترتاع به عقولهم ، ويملأ قلوبَهم ، من رعد تفزع له القلوب ، وبرق يخطف الأبصار ، وملائكـة خلقتهم وأسكنتهم سمواتِك ، وليست فيهم فَترة ، ولا عندهم غَفلة ، ولا بهم مَعصية .

هم أعلم خَلقك بك ، وأخوفهم لك ، وأقومُهم بطاعتـك ، ليس يَغشاهم نوم العُيـون ، ولا سَهو العقول ؛ لم يَسكنوا الأصلاب ، ولم تَضمهم الأرحام ؛ أنشأتَهم إنشـاء ، وأسكنتهم سمواتِـك ، وأكرمتهم بجوارك ، وأمَنتهم على وحيـك ؛ وجنّبتهم الآفات ، ووقَيتهم السيئات ، وطهّرتهم من الذنوب ؛ فلولا تقويتُك لم يَقوَوا ، ولولا تَثبيتـك لم يثبتوا ، ولولا رَهبتك لم يطيعوا ، ولولاك لم يكونوا . أما إنهم على مكانَتهم منك ، ومنزلتهم عندك ، وطُول طاعتهم إياك ، لو يُعاينون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالَهم ، ولعلموا أنهم لم يَعبدوك حقّ عبادتك .

فسُبحانك خالقاً ومعبوداً ومَحموداً بحُسنِ بلائك عنـد

خَلقك ! أنت خلقت ما دبّرته مَطعَماً ومَشرباً ، ثم أرسلت داعياً إلينا ، فلا الدّاعيَ أجبنا ، ولا فيما رَغّبتنا فيه رغبنا ، ولا الى ما شوّقتنا إليه اشتقنا .

أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع، وقد زاد بعضُنا على بعض حرصاً ، لما يرى بعضُنا من بعض ؛ فافتضحنا بأكلها ، واصطلحنا على حُبها ، فأعمت أبصارَ صُلاّحنا وفُقهائنا ، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة ، ويسمعون بآذان غير سَميعة ، فحيثما زالت زالوا معها ، وحيثما مالت أقبلوا إليها ؛ وقد عاينوا المأخوذين على الغِرّة كيف فجأتهم الأمور ، ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فراق الأحبةِ ما كانوا يتوقعون ، وقَدموا من الآخرة الى ما كانوا يُوعدون .

فارقُوا الدُّنيا وصاروا الى القُبور ، وعَرفوا ما كانوا فيه من الغُرور ؛ فاجتمعت عليهم حَسْرتان : حَسْرة الفَوت ، وحَسْرة الموت ، فاغبرت لها وُجوههم، وتَغيّرت بها ألوانهم ، وعَرِقت بها جباهُهم ، وشَخَصت أبصارهم، وبَردت أطرافُهم، وحِيل بينهم وبين المنطق .

وإنّ أحدهم لَبين أهله يَنظر ببصره ، ويَسمع بأذنه . ثم زاد الموتُ في جسده حتى خالط بَصره ، فذهبت من الدنيا مَعرفته ، وهَلكت عند ذلك حُجته ، وعاين هولَ أمر كان

مُغطًّى عليه ، فأحدَّ لذلك بَصره .

ثم زاد الموتُ في جَسده ، حتى بلغت نَفسه الحُلقوم ، ثم خَرج روحه من جسده فصار جسداً مُلقى لا يُجيب داعياً ، ولا يَسمع باكياً ، فنزعوا ثيابه وخاتَمه ، ثم وضّأوه وضوء الصلاة ، ثم غسّلوه وكفّنوه أدراجاً في أكفانه ، وحنّطوه ثم حملوه الى قبره ، فدلّوه في حُفرته ، وتركوه مُخلّى بمقطّعات من الأمور ، وتحت مسألة مُنكر ونكير ، مع ظُلمة وضِيق ، ووَحشة قبر ؛ فذاك مَثواه حتى يَبلى جسدُه ويَصيرَ تُراباً .

حتى إذا بلغ الأمر الى مِقداره ، وأُلحق آخرُ الخَلق بأوله ، وجاءه أمرٌ من خالقه ، أراد به تجديد خَلْقه ، فأمر بصوت من سَمواته ، فمارت[1] السمواتُ مَوراً ، وفَزِع من فيها ، وبقي ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر الى الأرض ، والخلق رُفات لا يَشعرون ، فأرجّ أرضَهم وأرجفها وزلزلها ، وقلع جبالَها ونَسفها وسيّرها ، وركّبَ بعضُها بعضاً من هَيبته وجلاله ، واخرج مَن فيها ، فجدّدهم بعد بلائهم ، وجَمعهم بعد تفرّقهم ، يُريد أن يُحصيهم ويُميّزهم : فريقاً في ثوابه ، وفريقاً في عِقابه ، فخَلد الأمرُ لأبده دائماً ، خيرُه وشرُّه .

---

١ مارت : تحركت .

ثم لم يَنسَ الطاعة من المُطيعين، ولا المَعْصية من العاصين، فأراد عزّ وجلّ ان يُجازي هؤلاء، وينتقم من هؤلاء، فأثاب أهْلَ الطاعة بجواره، وحلول داره، وعيش رَغد وخلود أبَد ومجاورة الرّب، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم، حيث لا ظَعْن ولا تَغيّر، وحيث لا تُصيبهم الأحزان، ولا تعترضهم الأخطار، ولا تُشخِصهم الاسفار.

وأما أهل المعصية، فخَلّدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلّت منهم الأيدي الى الأعناق، في لَهَب قد اشتد حرّه، ونار مُطبَقة على أهلها، لا يدخل عليهم بها رَوح، همّهم شديد وعذابهم يَزيد، ولا مُدّة للدار تَنقضي، ولا أجَل للقوم ينتهي. اللهم إني أسألك بأن لك الفضل، والرّحمة بيدك، فأنت وليّهما لا يليهما أحدٌ غيرك، واسألك باسمك المَخزون المكنون، الذي قام به عرشُك وكرسيّك وسمواتُك وأرضُك، وبه ابتدعت خَلْقك، الصلاةَ على محمد، والنّجاةَ من النار برحمتك آمين، إنك وليّ كريم.

وخطب ايضاً فقال :

أيها الناس، احفظوا عني خمساً، فلو شَددتم إليها المَطايا حتى تُنضوها لم تَظفروا بمثلها : ألا لا يَرجُوَنّ أحَدُكم إلاّ

ربّه ، ولا يخافنّ إلاّ ذنبَه ، ولا يستحي أحدُكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سُئل عما لا يعلم أن يقول : لا اعلم .

ألا وإن الخامسة الصّبر ، فان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسَد .

مَن لا صبر له لا إيمان له ، ومَن لا رأسَ له لا جَسد له .

ولا خيرَ في قراءة إلاّ بتدبّر ، ولا في عبادة إلا بتفكر ، ولا في حِلم إلا بعلم .

ألا أنبئكم بالعالِم كلّ العالم ، مَن لم يُزيّن لعباد الله معاصيَ الله ، ولم يؤمّنهم مكره ، ولم يؤيسهم من رَوحه . ولا تُنزلوا المُطيعين الجنّة ، ولا المُذنبين الموَحدين النار ، حتى يَقضيَ الله فيهم بأمره .

لا تأمنوا على خير هذه الأمة عذابَ الله ، فإنه يقول : « فلا يأمن مكرَ الله إلا القوم الخاسرون . » ولا تُقنِطوا شر هذه الامة من رحمة الله ، « فإنه لا ييأس من رَوح الله إلاّ القومُ الكافرون . »

ومن كلامه رضوان الله عليه :

قال ابن عباس : لمّا فرغ عليّ بن أبي طالب من وقعة الجمل ، دعا بآجرّتين فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحابَ البهيمة ، رَغا فجِئتم ، وعُقر

فانهزمتم . دخلت شرّ بلاد ، أبعدها من السماء ، بها يَغيض كل ماء ، ولها شرّ أسماء ، هي البصرة والبُصَيرة والمؤتفكة وتدمر . أين ابن عبّاس ؟

فدُعيت ، فقال لي : مُرْ هذه المرأة فلترجع إلى بيتها الذي أُمرت أن تَقَرّ فيه .

وتمثل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحكَمين :

زلَلْتُ فيكم زَلّةً فاعْتَذِرْ ،
سوف أكيسُ ، بعدها ، وأنشمِرْ[١]

وأجْمَعُ الأمرَ الشَّتيتَ المُنتشِرْ

١ اكيس ، من كاس : كان ظريفاً فطناً .

خطب معاوية

قال القَحْذَمي : لمّا قَدِمَ مُعاويةُ المدينة عامَ الجماعة تلقّاه رجالُ قريش ، فقالوا : الحمد لله الذي أعزّ نَصْرَكَ ، وأعلى كَعبك .

قال : فوالله ما ردّ عليهم شيئاً حتى صَعِد المِنبر فَحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني والله ما وَليتُها بمحبّة علمتُها منكم ، ولا مَسَرّة بولايتي ، ولكني جالدتُكم بسيفي هذا مُجالدة ، ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحافة ، وأردتُها على عمل عُمر ، فنفرتْ من ذلك نِفاراً شديداً ، وأردتُها على مثل ثَنيّات[1] عثمان ، فأبت عليّ ، فسلكتُ بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة ، مُؤاكلة حسنة ، ومشاربة جميلة ، فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولايةً .

والله لا أحملُ السيفَ على من لا سيفَ له ، وإن لم يكن منكم إلاّ ما يستشفي به القائلُ بلسانه ، فقد جعلتُ له ذلك دَبْرَ أذني وتحت قدمي ، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كُلّه

---

[1] الثنيات : الطرق العالية في الجبال ، واحدتها ثنية .

فاقبلوا مني بعضَه ، فإن أتاكم مني خيرٌ فاقبلوه ؛ فإنّ السيل إذا زادَ عنّى ، وإذا قلّ أغنى[1] ؛ وإياكم والفتنةَ ، فإنّها تُفسد المعيشة ، وتُكدّر النعمة . ثم نزل .

وخطبة ايضاً لمعاوية :

حمد الله وأثنى عليه ثم صلّى على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال: أما بعد، أيها الناس ، إنّا قَدِمنا عليكم ، وإنما قَدِمنا على صديقٍ مُستبشِر ، او على عدوّ مستتر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ، « فإن أعطُوا منها رَضُوا ، وإن لم يُعْطَوا منها إذا هم يَسْخَطون . » ولستُ واسعاً كلّ الناس ، فإن كانت مَحْمَدَة فلا بدّ من مَذمّة ، فلوماً هوناً إذا ذُكِرَ غُفِر ، وإياكم والتي إن أُخفِيَت أوْبقت ، وإن ذُكِرَت أوْثقت . ثم نزل .

وخطبة ايضاً لمعاوية :

صَعِد مِنبر المدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: يا أهل المدينة ، إنّي لست أحِب أن تكونوا خَلقاً كخَلْق العِراق ، يَعيبون الشيء وهم فيه ، كلّ امرىء منهم شيعةُ نفسه ، فاقبلونا

---

١ : أغنى : اي كفى .

بما فينا ، فان ما وراءنا شرٌّ لكم ، وإن معروف زماننا هذا مُنْكَر زمان قد مضى ، ومُنْكَر زماننا معروفُ زمان لم يأتِ ، ولو قد أتى ، فالرَّتق خيرٌ من الفَتق ، وفي كلٍّ بلاغ ، ولا مُقام على الرَّزيَّة .

وخطبة لمعاوية أيضاً :

قال العُتْبي : خَطَبَ معاويةُ الجمعة في يوم صائف شديد الحرّ ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : إن الله عزّ وجلّ خلقكم فلم يَنْسكم ، ووَعظكم فلم يُهملكم ، فقال : «يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تُقاته ولا تموتُنّ إلا وأنتم مُسْلمون .» قوموا إلى صلاتكم .

وخطبة لمعاوية ايضاً :

قال الهيثم بن عديّ : لما حضرَت مُعاويةَ الوفاةُ ويزيد غائب ، دعا بمُسلم بن عُقبة المرّي والضحّاك بن قيس الفِهريّ ، وقال لهما : أبلغا عنّي يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز ، فهم عصابتُك وعِترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قعَدَ عنك فتعاهده .

وانظُرْ أهل العراق ، فإن سألوك عَزْلَ عامل في كل يوم ، فاعزلْه عنهم ، فإنّ عزل عامل واحد أهونُ عليك من سَلِّ مائة ألف سيف ، ثم لا تدري علامَ أنت عليه منهم .

ثم انظُرْ أهل الشام فاجعلهم الشّعار دون الدّثار ، فإن رابك من عدو ريب فارمه بهم ، فإن أظفرك الله فارْدُدْ أهل الشام الى بلادهم ، لا يُقيموا في غير بلادهم فيتأدّبوا بغير آدابهم .

لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحُسين بن علي . فأما عبد الله بن عمر ، فرجل قد وقَذَه[1] الوَرع ؛ وأما الحُسين ، فأرجو أن يَكفيكه الله بمن قَتَل أباه ، وخَذَل أخاه ؛ واما ابن الزُّبير ، فإنه خَبٌّ ضَبٌّ . فإن ظَفِرْتَ به فقطّعه إرْباً إرْباً .

ومات معاوية . فقام الضّحّاك بن قَيس خطيباً فقال : إن أمير المؤمنين كان أنفَ العرب ، وهذه أكفانه ، ونحن مُدْرِجوه فيها ومُخْلون بينه وبين ربّه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضُر .

---

١ وقذه : غلبه .

فصلّى عليه الضحّاك . ثم قَدِم يزيد فلم يَقدَم أحدٌ على تعزيته ، حتى دخل عليه عبدُ الله بن همّام فأنشأ يقول :

اصبِر يزيد ، فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ ،
واشكُر حِباء الذي بالمُلك حاباكا

لا رُزءَ أعظمُ ، في الأقوام قد عَلِموا ،
مما رُزِئتَ ، ولا عُقْبى كعُقباكا

أصبحتَ راعيَ أهل الدّين كلّهمُ ،
فأنت ترعاهمُ ، والله يَرعاكا

وَفي مُعاوية الباقي لنا خَلَفٌ ،
إذا بَقيت ، فلا نسمع بِمَنْعاكا

قال : فانفتح الخطباء بالكلام .

وخطبة أيضاً لمعاوية :

ولما مرض مُعاويةُ مرَضَ وفاته قال لمولى له : مَن بالباب؟
قال : نفر من قُريش يتباشرون بموتك .
قال: وَيحك! لِمَ؟ فوالله ما لهم بعدي إلاّ الذي يَسُوءهم.
وأذِن للناس فَدَخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوْجز ، ثم

قال : أيها الناس ، إنا قد أصبحنا في دَهْر عنود ، وزمن شديد، يُعَدّ فيه المُحْسن مُسيئاً، ويزداد الظالم فيه عُتوّاً ، لا نَنْتفع بما عَلِمنا ، ولا نسأل عما جَهِلنا ، ولا نتخوّف قارعـــة حتى تَحُلّ بنا .

فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعـه مِن الفساد في الأرض إلاّ مهانة نفسه ، وكلال حدّه ، ونَضِيض وَفْره.

ومنهم المُصْلِت لسَيْفه ، المُجْلِب برَجْلـه[1] ، المُعْلن بشرّه ، وقد أشْرَط نفسَه ، وأوْبق دِينَه[2]، لحُطام يَنْتهزه ، أو مِقْنب[3] يَقوده، أو مِنْبر يَفْرعه[4]، وليس المَتْجران تراهما لنفسك ثمناً ، ومما لكَ عند الله عِوَضاً .

ومنهم من يَطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامَن من شَخْصه ، وقارب من خَطوه ، وشمّر عن ثوبه ، وزخْرَف نَفْسه بالأمانة ، واتخذ سِتر الله ذريعة الى المَعصية .

---

١ المجلب ، من اجلب القوم : تجمعوا من كل وجـــه للحرب . الرجل : الذين يمشون على اقدامهم .
٢ أشرط : أعلم . أوبق : أهلك .
٣ المقنب : الجماعة من الخيل .
٤ يفرعه : يعلوه .

ومنهم مَن أقعده عن طلب المُلْك ضآلة نفسه ، وانقطاع سبَبِه ، فقصّرت به الحال عن حاله ، فتحلى باسم القناعة ، وتزيا بلباس الزّهادة ، وليس من ذلك في مَراح ولا مَغْدى[1] .

وبقي رجالٌ أغضّ أبصارَهم ذِكْرُ المرْجع ، وأراق دموعَهم خوفُ المَضْجَع ، فهم بين شَريد بادٍ ، وبين خائف مُنقمع ، وساكت مَكْعوم[2] ، وداعٍ مُخلص ، وموجَع ثكلان ، قد أخمَلتهم التقيّة ، وشَمِلتهم الذّلة ، فهم في بحر أجَاج ، أفواهُهم ضامرة ، وقلوبهم قَرِحَة ، قد وُعظوا حتى مَلوا ، وقُهروا حتى ذلوا ، وقُتلوا حتى قلّوا .

فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالة القرَظ[3]، وقُرادة الحلَم ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتّعِظ بكم مَن بعدكم ، وارفضوها ذميمةً ، فقد رَفضَت مَن كان أشفقَ بها منكم .

---

١ المراح : الذهاب مساء . المغدى : الذهاب غدوة ، والمراد انه ليس من القناعة والزهادة في شيء .

٢ المكعوم ، من كعم البعير : شد فمه لئلا يعض او يأكل ، واراد به هنا الصامت .

٣ الحثالة : البقية . القرظ : ورق السلم .

وبما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية :

قال ابن دأب : لما قدِمَ عبيدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره ، فجعل يَتصدى له بخَلوة ليَسبر من رأيه ما كَرِهَ أن يُشرِكَ به في عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطُّلاب، وإشعال[1] الخاصة ، وافتراق العامة، وهو يوم معاوية الذي كان يَخلو فيه بنفسه .

ففَطِن معاوية لما أراد، فبعث إلى ابنه يزيد، وإلى مروان ابن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص .

فلما أخذوا مجالسهم أذِنَ له ، فسلّم ووقف واجماً يتصفح وجوه القوم ، ثم قال : صَريحُ العُقوق مُكاتمةُ الأدنين ، ولا خيرَ في اختصاص إن وَفرَ[2] ، أحمَد الله إليكم على الآلاء[3] ، وأستعينه على اللأواء[4] ، وأستَهْديه من عَمَى مُجْهِد ،

---

١ الاشمال : التفرق .
٢ وفر : عم وشاع .
٣ الآلاء : النعم .
٤ اللأواء : الشدة .

وأستعينه على عدوٍّ مُرْصِد ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، المُنقذ بالأمين الصادق ، من شفاء هاوٍ[1] ، ومن غواية غاوٍ[2]، وصلوات الله على الزكيّ نبيّ الرحمة ، ونذير الأمّة ، وقائد الهُدى .

أما بعد ، يا أميرَ المؤمنين ، فقد عَسَف بنا ظنٌّ فرّع[3]، وفزَع صدّع ؛ حتى طمِع السّحيق[4]، ويئس الرّفيق ؛ ودَبّ الوُشاة بموت زياد ، فكلُّهم مُتَحفّز للعداوة ، وقد قلّص الإزْرة[5]، وشمّرَ عن عطافه[6]، ليقول: مضى زياد بما استلحق به ، وولى على الدّنية من مُستلحقه .

فليت أمير المؤمنين سَلم في دَعَتِه، وأسلم زياداً في ضَعَته، فكان تِرْبَ عامّة، وواحد رعيّة، فلا تَشْخص إليه عين ناظر، ولا إصْبع مُشير ، ولا تذلَق[7] عليه ألْسُن .

---

١ شفاء هاو : اي يهوي بصاحبه .
٢ الغاوي : الضال .
٣ فرع : فرق .
٤ السحيق : البعيد .
٥ الازرة : الازار .
٦ العطاف : الرداء .
٧ ذلق اللسان : ذرب وحدّ .

كَلَّمته حياً ، ونَبَشته مَيْتاً ، فإن تكن يا أميرَ المؤمنين حابيتَ زياداً بولاء رُفات ، ودَعْوة أموات ، فقد حاباك زياد بجدٍّ هَصُور ، وعزْم جسور ، حتى لانت شكائمُ الشَّرِس ، وذلَّت صَعْبة الأشْوَس ، وبَذل لك يا أمير المؤمنين يمينَه ويَساره ، تأخذ بهما المَنيع ، وتَقْهر بهما البَزيع[1] ، حتى مضى والله يَغفِر له .

فإنْ يكن زيادٌ أخذ بحقّ فأنزِل لنا مَنازلَ الأقْرَبين ، فإن لنا بعدَه ما كان له ، بدالّة الرَّحِم ، وقرابة الحَمِيم ، وما لنا يا أمير المؤمنين نمشي الضَّراء ونَدِبّ الخَفاء[2] ، ولنا من خيرك أكمله ، وعليك من حوبنا[3] أثقلُه .

وقد شهِد القوم، وما ساءني قُرْبُهم ، ليُقرّوا حقاً، ويردّوا باطلاً ، فإنّ للحق مَناراً واضحاً ، وسبيلاً قَصْداً ، فقل يا أمير المؤمنين بأيّ أمْرَيْك شِئت ، فما نأرِز[4] إلى غير جُحرنا ، ولا نَستكثر بغيرِ حقّنا ، وأستغفر الله لي ولكم .

---

١ البزيع : السيد .
٢ المراد بمشي الضراء ودبيب الخفاء : المكر والخديعة . والضراء : الشجر الملتف يخفي عن العيون من يمشي فيه .
٣ الحوب : الاثم .
٤ نأرز : نرجع .

قال : فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفحهم بلحظه رجلاً، رجلاً، وهو مبتسم. ثم اتجه تِلقاءه، وعقد حُبْوته ، وحسَرَ عن يده ، وجعل يومىء بها نحوه ، ثم قال معاوية : الحمد لله على ما نحن فيه ، فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله ، فكلّ شيء خاضع له ، وأن محمداً عبدُه ورسوله ، دلّ على نفسه بما بان عن عجز الخَلْق أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيّين ، ومُصدّق المرسلين ، وحُجّة ربّ العالمين ، وصلواتُ الله عليه وسلامُه وبركاته .

أمّا بعد، فربّ خير مستور، وشرّ مَذكور، وما هو إلاّ السهم الأخيَب لمن طار به ، والحظّ المُرغِب لمن فاز به ، فيهما التفاضُل وفيهما التغابنُ ، وقد صَفَقت يداي من أبيك صَفقة ذي الجُلْبة من ضوارع الفُصلان[1] ، عامل اصطناعي له بالكُفر لما أولَيتُه ، فما رميت به إلاّ انتصل[2] ، ولا انتضَيْتُه إلاّ غلّق جَفْنُه ، وزلّت شفرته ؛ ولا قلتُ إلاّ عاندَ ، ولا قُمتُ إلاّ قعَد ، حتى اخترمه الموت ؛ وقد أوقعَ بختره[3] ، ودلّ على حِقده .

---

١ صفقت : صادفت . الجلبة : الجهد والشدة والجوع . الضوارع من الفصلان : الصغار الضعيفة الضاوية .

٢ انتصل : خرج نصله .

٣ الختر : الغدر والخديعة .

وقد كنتُ رأيتُ في أبيــك رأياً حضَرَه الخَطَل[1] ، والتبس به الزَّلل ، فأخذ مني بحظّ الغَفْلة ، وما أبرّىءُ نَفسي إن النّفس لأمّارة بالسوء ، فما بَرِحَت هناة أبيك تحطِبُ في حَبلِ القطيعة ، حتى انتكث المُبرَم ، وانحل عقد الوداد.

فيا لها توبة تؤتَنَف[2] ، من حَوْبة[3] أورثَت ندماً ؛ أسمَع بها الهاتف ، وشاعت للشامت ، فليهنإ الواصم[4] ما به احتقر .

وأراك تَحْمَد من أبيك جِدّاً وجُسوراً ، هما أوْفيا بـه على سَرفِ التّقحّم[5] ، وغَمْط النّعمـة[6] ، فدَعْهما ، فقـد أذكَرتنا منـه ما زهّدَنا فيك من بَعْدِهِ ، وبهما مَشَيْتَ الضَّراء ، ودببتَ الخفاء ، فاذهب اليك ، فأنتَ نجل الدّغَل ، وعِترَة النّغل[7] ، والآخر شرّ .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إنّ للشاهد غير حُكم الغائب ، وقـد حضَرَك زياد وله مَواطن مَعدودة بخير ، لا يُفسدهـا

---

١ الخطَل : الفساد في الرأي .
٢ تؤتنف : تستأنف ، يبدأ بها .
٣ الحوبة : الاثم والذنب .
٤ الواصم : العياب المحقر .
٥ السرف : مجاوزة القصد . التقحم : التعرض للأمور من غير روية .
٦ غمط النعمة : لم يشكرها .
٧ الدغل والنغل : الفساد .

التّظنّي ، ولا تُغيّرها التُّهَم ، وأهلوه اهلوكَ ، التحقوا بك ، وتوسّطوا شأنك ، فسافرت بـه الرُّكبان ، وسَمِعت به أهلُ البُلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشكّ فيـه العالم ، فلا تتحجّرْ[1] يا أمير المؤمنين ما قد اتسع ، وكَثُرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قومٌ آخرون .

فانحرف مُعاويةُ الى مَن معه ، فقال : هذا ، وقد نَفِس عليه[2] ببيعته ، وطَعن في إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ، يا للرجال من آل أبي سُفيان ! لقد حكَموا وبذّهم يزيد وحدَه .

ثم نظر الى عُبَيد الله فقال : يابن أخي ، إني لأعرفُ بك من أبيك ، وكأني بك في غمْرَة لا يَخطُوها السابح ، فالزم ابنَ عمّك ، فإنّ ما قال حق .

فخرجوا ، ولَزم عُبَيد الله يزيد ، يَرِد مجلسه ، ويَطأ عَقِبه أياماً ، حتى رَمى به معاويةُ الى البَصرة والياً عليها . ثم لم تزل تُوكِسه[3] أفعالُه حتى قتله الله بالخازر[4] .

---

١ تتحجر : تضيّق .

٢ نفس عليه : حسده .

٣ توكسه : تنقصه .

٤ الخازر : نهر بين اربل والموصل .

خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذي ما شاء صَنع ، ومَن شاء أعطى ومَن شاء منَع ، ومن شاء خفَض ومن شاء رَفع .

إن أميرَ المؤمنين كان حَبلًا من حِبال الله ، مدّه ما شاء أن يَمدّه ، ثم قطعه حين أراد أن يَقطعه ، وكان دون مَن قبلَه ، وخيراً ممن يأتي بعده ، ولا أزَكّيه عند ربّه ، وقد صار إليه، فإن يَعفُ عنه فبِرَحمته ، وإنْ يُعاقبه فبِذَنبه.

وقد وُلّيتُ بعدَه الأمرَ ، ولستُ أعتذر من جَهل ، ولا آسى على طَلَب عِلم ، وعلى رِسْلكم[1] ، إذا كَرِهَ الله شيئاً غيّرَه ، وإذا أحبّ شيئاً يسّره .

وخطبة ايضاً ليزيد :

الحمدُ لله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا ، مَن يَهْدِ الله فلا مُضِلّ له ، ومن يُضْلِل فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا

---

١ على رسلكم : لا تعجلوا .

إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، اصطفاه لوَحْيه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فَصَّله وفَضَّله ، وأعزَّه وأكرَمه ، ونَصره وحَفِظه ، ضرَب فيه الأمثال ، وحلَّل فيه الحلال ، وحرَّم فيه الحرام ، وشَرَع فيه الدِّين إعذاراً وإنذاراً ، لئلا يكونَ للناس على الله حُجَّة بعد الرُّسل ، ويكونَ بلاغاً لقومٍ عابدين .

أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله العظيم ، الذي ابتدأ الأمور بعِلمه ، وإليه يَصير مَعادُها ، وانقطاع مُدَّتها ، وتَصرُّم دارها .

ثم إني أحذّركم الدُّنيـــا ، فإنها حُلوة خَضِرَة ، حُفّت بالشَّهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفاني ، وتحبَّبت بالعاجل ، لا يَدوم نَعيمُها ، ولا يؤمَن فجيعُها ، أكّالة غوّالة ، غرّارة ، لا تُبْقِي على حال ، ولا يَبقى لها حال .

ولن تَعْدُوَ الدنيا إذا تناهت الى أُمْنيَّة أهل الرَّغبة فيها ، والرِّضا بها ، أن تكون كما قال الله عزّ وجلّ : «واضرِب لهم مَثل الحيـــاة الدُّنيا كماءٍ أنزلناه من السماء» ، الى قوله «مُقْتَدِراً» .

نسأل الله ربَّنا وإلهنا وخالِقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فَزَع يومئذٍ آمنين .

إنَّ أحسَن الحديثِ وأبلغَ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله :

«وإذا قُرِىء القُرآنُ فاستَمِعُوا له وأَنصِتُوا لعلكم تُرحَمُون .»

أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم «لقد جاءَكم رسُولٌ من أنفُسِكم» الى آخر السورة .

•

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبتـه : اللهمّ إنّ ذنوبي قد عظـُمـَت وجلـّت عن أن تُحْصَى ، وهي صغـيرة في جَنْب عفوك ، فاعفُ عني .

وخطب بمكة شرّفها الله تعالى، فقال في خُطبته : إني والله ما انا بالخليفة المُسْتَضْعَف ، يعني عثمان ، ولا بالخليفة المُداهن ، يعني معاوية ، ولا بالخليفة المأفون ، يعني يزيد .

قال أبو إسحق النظّام : أما والله لولا نَسَبك من هـذا المُسْتَضعف ، وسَبَبك من هذا المُداهن ، لكُنْتَ منهـا أبعد من العَيّوق[1] .

والله ما أخذتها بوراثة ، ولا سابقة ، ولا قَرابـــة ، ولا بدعوى شُورى ، ولا بوصيّة .

---

١ العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها .

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان ورجع الوليد من دَفنه ، لم يدخل منزله حتى دخل المسجدَ ، ونُودي في الناس : الصلاةُ جامعة . فصَعِد المِنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه لا مُؤخّر لما قدّم الله ، ولا مُقدّم لما أخرَ الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق عِلمه ، وما كتب على أنبيائه ، وحَمَلة عرشِه من الموت ، موتُ وليّ هذه الأمة ، ونحنُ نرجو أن يصيرَ الى منازل الأبرار ، للذي كان عليه من الشدّة على المُريب ، واللّين على أهل الفضْل والدّين ، مع ما أقام من مَنار الاسلام وأعلامِه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزاً ، ولا وانياً ، ولا مُفرّطاً .

فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفذّ ، وهو من الجماعة أبعد .

واعلموا أنه من أبْدى لنا ذاتَ نَفسه ضرَبْنا الذي فيه عيناه ، ومَن سكت مات بدائه .

ثم نزل .

خطبة سليمان بن عبد الملك

الحمد لله ، ألا إن الدُّنيـــا دار غُرور ، ومنزل باطل ، تُضحِك باكياً ، وتُبْكي ضاحِكاً ، وتُخيف آمِناً ، وتُؤمّن خائفاً ، وتُفقِر مُثرِياً ، وتُثري مُقتِراً ، مَيّالة غرّارة ، لعّابة بأهلها .

عبادَ الله ، فاتّخذوا كِتاب الله إماماً ، وارتضوا به حَكَماً ، واجعلوه لكم قائداً ، فانه ناسخٌ لما كان قبله ، ولم يَنسخه كتابٌ بعده .

واعلموا عبادَ الله أن هذا القرآن يَجلو كَيْدَ الشيطان ، كما يجلو ضوءُ الصُّبح إذا تنفّس ، ظلامَ الليل إذا عَسْعَس .

خطب عمر بن عبد العزيز

رحمه الله ورضي عنه

قال العُتبي : أول خُطبة خَطبها عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله قوله: أيها الناس، أصْلحوا سرائرَكم تَصْلُح لكم عَلانِيَتكم، وأصْلِحوا آخِرتَكم تَصْلح دُنياكم ؛ وإنَّ امرءاً ليس بينه وبين آدمَ أبٌ حيٌّ لَمُعْرِقٌ في المَوت .

وخطبة له رحمه الله :

إنَّ لكل سَفَرٍ زاداً لا محالة، فتزوَّدوا مِن دُنياكم لآخرتكم التَّقْوى، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ الله له من ثوابه وعقابه، فتَرهبوا وتَرغَبوا ، ولا يَطولَنَّ عليكم الأمد فتَقْسو قلوبُكم ، وتَنْقادوا لعدوِّكم ، فإنه والله ما بُسِط أملُ مَن لا يدري لعلّه لا يُصبح بعد إمسائه ، أو يُمسي بعد إصباحه ، وربما كانت بين ذلك خَطرات المَنايا ، وإنما يَطْمئنُّ إلى الدُّنيا مَن أمِن عواقبها ، فإنَّ من يداوي من الدنيا كَلْماً أصابت جِراحةٌ من ناحية أخرى ، فكيف يَطْمئنُّ إليها ؟

أعوذ بالله أنْ آمُرَكم بما أنهى عنه نَفْسي فتَخْسَر صَفْقتي ، وتَظْهر عَيْلتي ، وتبدو مَسْكنتي ، في يوم لا يَنفع فيه إلا الحقُّ والصِّدق .

ثم بَكى وبَكى الناس معه .

خطبة له ايضاً :

شبيب بن شيبة عن أبي عبد الملك قال : كنت من حَرس الخُلفاء قَبْل عمر، فكنّا نقوم لهم ونَبْدؤهم بالسّلام . فخرج علينا عمر رضي الله عنه في يوم عِيد وعليه قَميص كتّان وعِمامة على قَلَنْسوة لاطِئة ، فمَثلنا بين يديه وسلّمنا عليه ، فقال : مه ، أنتم جماعة وأنا واحد ، السلامُ عليَّ والردّ عليكم .

وسلّم ، فرَدَدْنا ، وقُرِّبت له دابّته فأعرض عنها ومشى، ومَشينا ، حتى صَعِد المِنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وَددْت أن أغنياء الناس اجتمعوا فردُّوا على فُقرائهم، حتى نَستوي نحن بهم، وأكونَ أنا أوّلَهم .

ثم قال : ما لي وللدُّنيا ؟ أم ما لها وما لي ؟

وتكلم فأرَقّ حتى بكى الناسُ جميعا ، يميناً وشمالاً . ثم قَطع كلامَه ونزل .

فدنا منه رجاءُ بن حَيْوة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلّمتَ الناسَ بما أرقّ قلوبَهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوجَ ما كانوا إليه .

فقال : يا رجاء ، إني أكره المُباهاة .

وخطبة له ايضاً :

قال أبو الحسن : خطب عمرُ بن عبد العزيز بخُناصرة[1] خطبة لم يَخطب بعدها حتى مات رحمه الله ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخلقوا عبثاً ، ولم تُتركوا سُدًى ، وإن لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخسر مَن خرج من رحمة الله التي وَسِعَت كلَّ شيء ، وحُرم جنّةً عرضُها السمواتُ والارض .

واعلموا أن الأمان غداً لمن يخاف اليوم، وباع قليلاً بكثير وفانياً بباقٍ .

ألا ترَوْن انكم في أصلاب الهالكين ، وسيَخلُفها مِن بعدكم الباقون ، حتى تُردّوا إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تُشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله ، قد قضى نَحْبَه ،

---

١ خناصرة : بلد بالشام من أعمال حلب .

وبَلَغ أجلَه ، ثم تُغيِّبونه في صَدْع من الأرض، ثم تَدعونه غير مُوَسَّد ولا مُمَهَّد، قد خَلَع الأسباب ، وفارق الأحباب، وواجه الحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدَّم .

وايم الله ، إني لأقول لكم هذه المَقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثرَ مما عندي ، فأستغفر الله لي ولكم ، وما تَبْلُغنا حاجةٌ يتَّسع لها ما عِنْدنا إلا سَدَدْناها، ولا أحدٌ مِنكم إلا وَدِدْت أن يَده مع يدي ولُحمتي الذين يلونني ، حتى يَسْتوي عيشُنا وعيشُكم .

وايم الله، إني لو أردتُ غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسانُ به ناطقاً ذَلولاً ، عالماً بأسبابه ، ولكنَّه مَضى من الله كتابٌ ناطق وسُنَّة عادلة ، دلَّ فيهما على طاعته ، ونَهى عن مَعْصيته .

ثم بَكى ، فتلقَّى دُموع عَينيه بردائه ونَزل . فلم يعد بعدَها على تلك الأعواد حتى قَبضه الله تعالى .

خطبة ابن الاهتم

بين يدي عمر بن عبد العزيز

ودخل عبدُ الله بن الأهتم على عُمَر بن عبد العزيز مع العامّة ، فلم يَفجأ إلاّ وهو قائم بين يديه يتكلّم ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، فإن الله خلق الخَلْق غنيّاً عن طاعتهم ، آمناً من مَعصيتهم ، والناس يومئذ في المنازل والرأي مختلفون ، والعَرب بشرّ تلك المنازل ، أهل الوَبَر وأهل المَدر ، تُحتاز دونهم طيّبات الدُّنيا ورَفاهة عَيشها ، ميّتهم في النار ، وحَيُّهم أعمى ، مع ما لا يُحصى من المَرغوب عنه ، المَزهود فيه .

فلمّا أراد الله أن ينشر فيهم رحمته ، بعث إليهم رسولاً منهم ، عزيزاً عليه ما عَنِتُوا حريصاً عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فلم يَمنعهم ذلك أن جَرّحوه في جسمه ، ولقّبوه في اسمه ، ومعه كتاب من الله ناطق ، لا يَرحل إلاّ بأمره ، ولا يَنزل إلاّ بإذنه ، واضطرّوه الى بطن غار .

فلمّا أمر بالعزيمة ، أسفر لأمر الله لونُه ، فأبلج الله حُجّته ،

وأعلى كلِمَته ، وأظهر دَعوته ؛ وفارق الدنيا تقيّاً ، صلى الله عليه وسلم .

ثم قام من بعده أبو بكر رضي الله عنه ، فسلك سُنّته ، وأخذ سبيله ؛ فارتدّت العربُ ، فلم يَقبل منهم إلاّ الذي كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يقبله ؛ فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النّيران في شُعَلها ، ثم رَكِب بأهل الحق أهلَ الباطل ، فلم يَبرح يَفصِل أوصالَهم ، ويَسقي الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم في الباب الذي خَرجوا منه ، وقرّرهم بالأمر الذي نَفروا عنه .

وقد كان أصاب من مال الله بَكْراً يرتوي عليه ، وحَبشية تُرضع ولداً له ، فرأى ذلك غُصّة في حَلقه عند موته ، وثِقْلاً على كاهله ، فأدّاه الى الخليفة من بعده ، وبَرِىء إليهم منه ، وفارق الدُّنيا تقيّاً نقيّاً على منهاج صاحبه .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فمصّر الأمصار ، وخَلط الشدّة باللّين ، وحَسَر عن ذِراعيه ، وشمّر عن ساقَيه ، وأعدّ للأمور أقرانها ، وللحرب آلتها .

فلمّا أصابه قِنّ[١] المُغيرة بن شُعبة أمَر ابنَ عباس أن يسأل الناس : هل يُثبتون قاتلَه ؟

---

١ القن : العبد .

فلما قيل له : فنّ المغيرة، استهل[1] بحمد الله أن لا يكون أصابه مَن له حق في الفَيء فيستحلّ دمَه بما استحل من حقّه .

وقد كان أصاب من مال الله بِضْعة وثمانين ألفاً . فكسر بها رباعه[2] ، وكره فيها كَفالة أهلـه وولده ، فأدّى ذلـك الى الخليفة من بعده ، وفارق الدُنيا تقيّاً نقيّاً على منهاج صاحبه .

ثم إنّا والله مـا اجتمعنا بعدهما إلاّ على ضِلَـع أعـوج . ثم إنك يا عُمر ابنُ الدنيا ، ولدتْك مُلوكُها ، وألقمتك ثديَها ، فلما وَليتَها ألقيتَها وأحببتَ لقاء الله وما عنده ، فالحمدُ لله الذي جَلا بـك حوبتنا ، وكَشف بك كُربتنا ، امْضِ ولا تَلتفت ، فإنـه لا يُغْني عن الحق شيء ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولـكم وللمؤمنين وللمؤْمنات .

ولما قال : ثم إنّا والله ما اجتمعنا بعدَهما إلاّ على ضِلَع أعوج ، سَكت الناسُ كلّهم غيرَ هِشام ، فإنه قال : كَذبت .

---

١ استهل : صاح .

٢ الرباع : الدور ، الواحد : ربع . كسرها : باعها ربعاً ربعاً .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قتل الوليد بن يزيد

بَقِيُّ بن مَخْلَد قال : حدَّثني خَليفة بن خَيّاط قال : حَدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدَّثني إبراهيم بن إسحاق أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما قُتل الوليد بن يزيد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، إني ما خرجتُ أشراً ولا بَطراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ، ولا رَغبة في المُلك ، وما بي إطراءُ نفسي ، ولا تزكية عَمَلي ، وإنّي لظَلوم لنفسي إن لم يَرحَمْني ربي .

ولكني خرجتُ غضَباً لله ودينه ، وداعياً الى كِتابه وسُنّة نبيّه ، حين دَرَسَتْ معالم الهُدى ، وأطفىء نُور أهل التقوى ، وظهر الجبّار العَنيد[1] ، المُستحلُّ الحُرمة ، والرّاكب البِدعة ، والمُغيِّر السُّنة ، فلما رأيتُ ذلك أشفقتُ إذ غَشِيَتْكم ظُلمة لا تُقلع ، على كثير من ذنوبكم ، وقَسْوة من قلوبكم . وأشفقت أن يَدعو كثيراً من الناس الى ما هو عليه ، فيُجيبه من أجابه

١ الجبار العنيد : اراد به الوليد بن يزيد .

منكم، فاستخرتُ الله في أمري، وسألتُه أن لا يَكلني الى نفسي، وهو ابن عمي في نَسبي، وكفِيءٌ في حَسَبي، فأراح الله منه العِباد، وطَهَّر منه البلاد، ولايةً من الله وعَزماً، بلا حَول منّا ولا قُوّة، ولكن بحول الله وقوّته، وولايته وعِزّته.

أيها الناس، إنّ لكم عليّ إن وَلِيتُ أموركم ألاّ أضع لَبِنة على لَبِنة، ولا حَجَراً على حَجَر، ولا أنقُلَ مالاً من بلد الى بلد، حتى أسُدّ ثُغرَه، وأقيم مَصالحه، مما تحتاجون إليه، وتَقْوَون به، فإن فضَلَ شيء رَدَدْته الى البلد الذي يليه، وهو من أحوج البُلدان إليه، حتى تَستقيم المعيشةُ بين المُسلمين وتكونوا فيه سواءً، ولا أجَمِّرَكم[1] في بعوثكم فتُفتَنوا وتُفتَن أهاليكم. فإن أردتم بَيعتي على الذي بذلت لكم فأنا لكم به، وإن مِلتُ فلا بَيْعة لي عليكم، وإن رأيتم أحداً أقوى عليها منّي فأردتم بَيعتَه فأنا أوّل من يُبايعه، ويَدخل في طاعته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

---

١ اجمركم : احبسكم في ارض العدو.

خطب بني العباس

العُتبي قال : قيل لمسلمة بن هِلال العَبْدي : خَطبنا جعفر ابن سُليمان الهاشميّ خُطبة لم يُسْمع أحسنُ منها ، وما درينا أوَجْهُهُ كان أحْسنَ أمْ كلامه .

قال: أولئك قوم بنور الخلافة يُشْرِقون ، وبلسان النبوّة يَنْطقون .

خطبة أبي العباس السفاح بالشام

خطب أبو العبّاس عبدُ الله بن محمد بن عليّ، لما قُتل مَروان ابن محمد ، فقال : ألم تَر إلى الذين بَدّلوا نعمة الله كُفْراً وأحَلّوا قومهم دار البوار، جَهنّم يَصْلَوْنها وبئس القرار. نَكَصَ بكم يا أهل الشام آلُ حَرْب ، وآل مَرْوان ، يتَسَكّعُون بكم الظُلَم ، ويتهوّرون بكم مَداحض الزّلق ،

يطؤون بكم حُرم الله وحُرم رسوله، ماذا يقول زُعماؤكم غداً؟ يقولون : ربّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضِعْفاً من النار . إذاً يقول الله عزّ وجل: «لكلٍّ ضِعْفٌ ولكن لا تعلمون.»

أما أميرُ المؤمنين ، فقد ائتنف بكم التّوبة ، واغتفر لكم الزّلة ، وبسط لكم الإقالة ، وعاد بفضْلِه على نقْصكم ، وبحِلْمه على جَهْلكم، فليُفرخْ رُوعكم، ولتطمئنّ به دارُكم، ولتعظكم مصارعُ أوائلكم ، فتلك بيوتُهم خاوية بما ظَلَموا.

•

خطب المنصور

خطب أبو جعفر المنصور، واسمه عبد الله بن محمد بن علي، لمّا قتل الأمويين فقال: أحرز لسانٌ رأسَه، انتبه امرؤ لحظتّه، نظَرَ امرؤ في يومه لغده ، فمشى القَصْد ، وقال الفَصْل ، وجانَب الهُجْر .

ثم أخذ بقائم سيفه فقال : أيها الناس ، إنّ بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ، فَلْيعتبر عبْدٌ قبل أن يُعتبر به ، فإنما بعد الوعيد الإيقاع ، وإنما يفتري الكَذِب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

خطبة المنصور حين خروجه الى الشام :

شِنْشِنَة أعرفها من أخزمِ ،
مَن يَلقَ أبطال الرجال يُكْلَمِ

مهلاً مهلاً ، روايا الإرجاف ، وكُهوفَ النِّفاق ، عن الخَوْض فيما كُفيتم ، والتَّخَطّي إلى ما حُذّرْتم ، قبل أن تَتْلف نفوس ، ويقلّ عدد ، ويدول عزّ ، وما أنتم وذاك، ألم

تَجِدُوا ما وَعَدَ ربُّكم من إيراث المُستَضعفين من مَشارق الأرض ومَغاربها حقّاً والجَدّ الجد. ولكن خيبٌ كامن، وحَسدٌ مُكمِد، فبُعداً للقوم الظالمين.

وخطب ايضاً :

قال يعقوب بن السكّيت: خطب أبو جعفر المنصور يوم جُمعة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس، اتقوا الله.

فقام إليه رجلٌ فقال: أذكّرك مَن ذكّرتنا به يا أمير المؤمنين.

قال أبو جعفر: سمْعاً سَمعاً لمن فَهم عن الله وذَكّرَ به، وأعوذُ بالله أنْ أذَكّرَ به وأنساه، فتأخذَني العِزّة بالإثم، لَقَدْ ضَلَلْتُ إذاً، وما أنا من المُهْتَدين.

وأمّا أنت، والتفت إلى الرّجل، فقال: والله ما اللهَ أرَدْتَ بها، ولكنْ ليُقال قام فقال فعوقِبَ فَصَبَر، وأهْوِن بها لو كانت العُقوبة، وأنا أنذركم أيها الناس أخْتها، فإن الموعظةَ علينا نَزلت، وفينا أنبِتت.

ثم رجع إلى موضعه من الخطبة.

خطبة ايضاً للمنصور بمكة :

وخطب بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في

أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأييده ، وحارسه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً، إذا شاء ان يفتحني فتحني لإعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، وإذا شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارغبوا الى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول : « اليومَ أكملتُ لكم دِينكم وأتممتُ عليكم نِعمتي ورضيتُ لكم الاسلام دِيناً » أن يُوَفقني للرشاد والصواب ، وأن يُلهمني الرأفة بكم والاحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

•

خطبة لسليمان بن علي

« ولقد كتبنا في الزبورِ من بعدِ الذكر أنّ الأرضَ يرثها عبادي الصالحون إنّ في هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين . » قضاءٌ مُبرم ، وقولٌ فصلٌ ما هو بالهزل .

الحمد لله الذي صدقَ عبدَه ، وأنجز وعده ، وبُعداً للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبةَ غرضاً ، والفيء إرثاً ، والدّين هزُؤاً ، وجعلوا القرآن عَضَدين[1] ، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فكأيّن ترى من بئرٍ مُعطّلة وقصر مشيد ، ذلك بما قدّمتْ أيديكم وان الله ليس بظلاّم للعبيد .

أُمهلوا حتى نبذوا الكتابَ ، واضطهدوا العِترة ، ونبذوا السُّنّة ، واعتدوا واستكبروا وخاب كلُّ جبّارٍ عنيد ، ثم أخذَهم ، فهل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً .

---

١ هكذا في الاصل ولم نجد لهذه اللفظة معنى يوافق سياق الكلام .

خطبة عبد الملك بن صالح بن علي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أفلا يَتدبَّرون القرآن أم على قُلوبٍ أقفالها ، يا أهل الشام ، إنَّ الله وَصف إخوانكم في الدِّين ، وأشباهكم في الأجسام ، فحذَّرَهم نبيَّه محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « وإذا رأيتهُمْ تُعْجِبُكَ أجسامُهم وإن يقُولوا تَسمَع لقولهم كأنّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدة . يَحسَبُون كلَّ صَيحَةٍ عليهم هُمُ العَدُوّ فاحذَرْهم قاتَلَهمُ اللهُ أنّى يُؤفكون » فقاتَلكم الله أنّى تُصرفون ، جُثَثٌ مائلة ، وقلوبٌ طائرة ، تَشبُّون الفِتَن ، وتُوَلُّونَ الدُّبُر ، إلاّ عن حُرَمِ الله ، فإنها دَريئتكم[1] ، وحُرَم رسوله ، فإنها مَعزاكم ، أما وحُرمة النبوّة والخِلافة لتَنفِرُنَّ خِفافاً وثِقالاً أو لأوسعنّكم إرغاماً ونَكالاً .

---

[1] الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

خطبة صالح بن علي

يا أعضاد النّفاق ، وعَمَد الضّلالة ، أغرّكم لين إبساسي[1] ، وطولُ إيناسي ، حتى ظنّ جاهلُكم أن ذلك لفلُول حدّ ، وفُتورِ جِدّ ، وخَوَر قناة ، كَذَبَت الظنون ، إنها العِترة بعضُها من بعض ، فإذ قد استمرأتم العافية ، فعندي فِصال وفِطام ، وسيفٌ يَقُدّ الهام ، وإني أقول :

أغرّكم أني ، بأكرم شيمة ،
رفيقٌ ، وأني بالفَواحش ِأخرَقُ

ومِثلي ، إذا لم يُجزَ ، أحسنَ سَعْيه ،
تَكلّمُ نُعماهُ بفِيها ، فتَنطِقُ

لعَمري ، لقد فاحَشْتَني فغلَبتَني ؛
هنيئاً مريئاً أنت بالفُحشِ أرفَقُ

---

[1] الإبساس : صوت الراعي عند الحلب يسكن به الناقة .

خطب داود بن علي بالمدينة

أيها الناس ، حتّام يهتف بكم صريخكم ، أما آنَ لراقدكم أن يَهُبّ من نومه ؟ كلاّ بل ران[1] على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، أغرّكم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال ؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوطُ في كفّي والسيفُ مُشَهَّر :

حتى يُبيدَ قبيلةً فقبيلةً ،
ويَعَضّ كلَّ مُثقَّفٍ بالهامِ

ويُقِمن رَبّاتِ الخُدور حواسراً ،
يَمسحن عُرضَ ذوائب الأيتامِ

خطبة داود بن علي بمكة :

وخطب داود بن علي بمكة : شُكراً شُكراً ، والله ما خَرجنا لنَحْفِر فيكم نهراً ، ولا لنَبني فيكم قصراً ، أظنّ عدوُّ الله أن لن نَظفر به إذ مُدّ له في عِنانه ، حتى عثر في فَضل

---

١ ران : غطى .

زِمامه ، فالآنَ عاد الأمر في نِصابه ، وأُطلعت الشمسُ من مَشرقها ، والآن حيث تولّى القوسَ باريها ، وعادت النَّبْلُ الى النّزعة ، ورجع الأمر الى مستقرّه ، في أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة والرحمة ، فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا ، ولا تَجعلوا النّعم التي أنعم الله عليكم سبباً الى أن تُبيح هَلَكتكم ، وتُزيل النّعم عنكم .

•

خطبة للمهدي

الحمد لله الذي ارتضى الحمدَ لنفسه ، ورَضي به من خَلقه ، أحمده على آلائه ، وأمجده لبلائه ، وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه ، تَوكُّلَ راضٍ بقضائه ، وصابرٍ لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه المصطفى ، ونبيُّه المجتبى ، ورسولُه الى خلقه ، وأمينه على وَحْيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُموس العِلم ، واقترابٍ من الساعة ، الى أمة جاهليّة ، مختلفة أميّة ، أهل عداوة وتَضاغن ، وفُرقة وتَباين ، قد استهوتهم شياطينُهم ، وغَلب عليهم قُرناؤهم ، فاستشعروا الرَّدى ، وسَلكوا العَمى ، يُبشّر مَن أطاعه بالجنّة وكريم ثَوابها ، وينذر مَن عَصاه بالنار وأليم عِقابها ، ليَهلك مَن هَلك عن بيّنة ، ويحيا من حيّ عن بيّنة ، وإنّ الله لسميع عليم .

أوصيكم عباد الله بتَقوى الله ، فإنّ الاقتصار عليها سلامة ، والتركَ لها ندامة ، وأحثّكم على إجلال عَظمته ، وتوقير كبريائه وقُدرته ، والانتهاء الى ما يُقرّب من رحمته ، ويُنجّي من

سُخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ، وجزيل المآب .

فاجتنبوا ما خوّفكم اللهُ من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووَعيد الحساب ، يوم تُوقفون بين يدي الجبّار ، وتُعرَضون فيه على النار .

يومَ لا تَكلّمُ نفس إلاّ بإذنه ، فمنهم شقيّ وسَعيد .

يومَ يَفِرُّ المرءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبَنيه ، لكلّ امرىء منهم يومئذ شأنٌ يغنيه[1] .

يومَ لا تَجزي نفسٌ عن نفس شيئاً ولا يُقبَل منها عَدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم يُنصَرون .

يوم لا يَجزي والد عن ولده ولا مَولود هو جازٍ عن والده شيئاً .

إنّ وَعدَ الله حق ، فلا تغرّنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغَرور ، فإنّ الدُّنيا دارُ غُرور ، وبلاء وشرور ، واضمحلال وزوال ، وتقلّب وانتقال ، قد أفنت من كان قبلكم ، وهي عائدة عليكم وعلى مَن بعدكم ، مَن ركَنَ إليها صرَعَتْه ، ومَن وَثِق بها خانته ، ومن أمّلَها كَذَبته ، ومَن رجاها خذلته ، عِزُّها ذُلٌّ ، وغِناها فقرٌ ، والسَّعيد فيها مَن

---

١ يغنيه : يكفيه .

تركها ، والشقيُّ فيها من آثرها ، والمَغبون فيها من باع حظَّه من دار آخرته بها .

فالله َ الله َ عبادَ الله ، والتوبةُ مَقبولة، والرحمة مَبسوطة ، وبادِروا بالأعمال الزاكية في هذه الأيام الخالية َقبلَ أنْ يؤخذ بالكَظم[1]، وتَندموا فلا تقالون بالنّدم، في يوم حَسرة وتأسُّف، وكآبة وتلهُّف ، يومٌ ليس كالأيام، وموقف ضنك المَقام .

إنّ أحسنَ الحديث وأبلغَ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله تبارك وتعالى : « وإذا قُرِئ القرآن فاستَمِعوا له وأنصِتوا لعلّكم تُرحَمون . »

أعوذُ بالله العظيم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : « ألهاكمُ التّكاثرُ حتى زُرتُم المَقابر » الى آخر السورة . أوصيكم عبادَ الله بما أوصاكم الله بـه ، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه ، وأرضى لـكم طاعة الله ، وأستغفر الله لي ولـكم.

---

١ الكظم : الحلق أو الفم أو مخرج النفس .

خطبة هارون الرشيد

الحمدُ لله نَحمده على نِعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقّاً ، ونتوكّل عليه مُفوّضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ، بعثَه على فَترة من الرُسل ، ودروس من العِلم ، وإدْبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، بَشيراً بالنّعيم المُقيم ، ونَذيراً بين يدي عذاب أليم ، فَبلّغ الرّسالة ، ونَصح الأمة ، وجاهد في الله ، فأدّى عن الله وعدَه ووعيده ، حتى أتاه اليَقين ، فعلى النبيّ من الله صلاةٌ ورحمة وسلام .

أُوصيكم عبادَ الله بتقوى الله ، فإن في التّقوى تَكفيرَ السيّئات ، وتَضْعيفَ الحَسنات ، وفوزاً بالجنّة ، ونَجاةً من النار .

وأحذّركم يوماً تَشْخص فيه الأبصار ، وتُبلى فيه الأسرار .

يومَ البعث ويومَ التغابن ويومَ التلاق ويوم التناد[1] .

يومَ لا يُستعتَب من سيّئة ، ولا يُزداد في حسنة .

---

[1] كل هذه الايام ، ويوم الآزفة الآتي فيا بعد تعني : يوم القيامة ، ويوم الدين .

يوم الآزفة ، إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم فيه خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

عباد الله ، إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا سدى ، حصنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاة له .

إنكم سفر مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالإنابة ؛ فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للتائبين ، وهداه للمنيبين .

قال الله عز وجل وقوله الحق : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . »

وقال : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى . »

وإياكم والأماني ، فقد غرت وأردت وأوبقت كثيراً ، حتى

أكذبتهم مَناياهم ، فتناوشوا[1] التوبةَ من مكان بعيد ، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون ، فأخبركم ربُّكم عن المَثُلات فيهم ، وصَرّف الآياتِ ، وضَرَب الأمثال ، فرغّب بالوَعْد ، وقدّم إليكم الوعيد .

وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلاً فجيلاً ، وعَهِدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ومن بين أظهُرِكم ، لا تدْفعون عنهم ولا تَحُولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الاسباب ، فأسلمتْهم إلى أعمالهم عند المَواقف والحساب والعقاب ، ليُجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ويُجزى الذين أحسنوا بالحُسنى .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ، يقول الله عز وجل : « وإذا قُرِىء القُرآن فاستَمِعوا له وأنْصتوا لعلّكم تُرحَمون . »

أعوذ بالله العظيم من الشّيطان الرجيم ، إنه هو السّميع العليم . بسم الله الرحمن الرحيم « قُل هُو اللهُ أحد . اللهُ الصَّمَد . لم يَلِد ولم يُولَد . ولم يَكُن له كُفواً أحد . » آمُركم بما أمَركم اللهُ به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه . وأستغفر الله لي ولكم .

---

١ تناوشوا : تناولوا .

خطبة المأمون في يوم الجمعة

الحمد لله مُستخلِصِ الحمدِ لنفسه، ومُستوجِبه على خَلْقه، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكّل عليه، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله بالهُدى ودِين الحق ليُظهره على الدِّين كلّه ولو كَرِه المشركون.

أُوصيكم عبادَ الله ونَفسي بتَقْوى الله وحدَه، والعملِ لما عنده، والتنجّز لِوَعده، والخوفِ لوَعيده، فإنه لا يَسلم إلا مَن اتقاه ورجاه، وعَمِل له وأرضاه.

فاتقوا اللهَ عباد الله، وبادِروا آجالَكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يَبقى بما يَزول عنكم ويَفنى، وترَحّلوا عن الدُّنيا فقد جَدَّ بكم، واستعِدُّوا للموت فقد أظلّكم، وكونوا كقوم صِيح فيهم فانتبهوا، وعلموا أنّ الدُّنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يَخلُقكم عَبثاً، ولم يترُككم سُدًى، وما بين أحدكم وبين الجنّة والنار إلا الموتُ أن ينزل به.

وإنّ غايةً تَنقُصها اللحظةُ ، وتَهدِمها الساعةُ الواحدةُ ، لجديرةٌ بقِصَر المُدة ؛ وإنّ غائباً يَحدُوه الجديدان الليل والنهار ، لجديرٌ بسُرعة الأوبة ، وإنّ قادماً يَحل بالفوز أو بالشّقوة لمُستحق لأفضل العُدّة ، فاتقى عبدٌ ربّه ، ونصح نفسه ، وقدّم توبته ، وغلب شهوته ؛ فإنّ أجلَه مستور عنه ، وأملَه خادعٌ له ، والشيطان مُوكّلٌ به ، يُزيّن له المعصية ليركَبها ، ويُمنّيه التّوبة ليُسوّفها ، حتى تَهجُم عليه منيّته ، أغفلَ ما يكون عنها .

فيا لها حَسرةً على كلّ ذي غَفلة ، أن يكون عُمْره عليه حُجّة ، أو تؤدّيه منيّته الى شِقوة .

نسأل الله أن يَجعلنا وإيّاكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تقصّر به عن طاعة ربه غَفلة ، ولا تَحُل به بعد الموت فَزْعة ، إنّه سَميع الدعاء ، بيده الخيرُ وهو على كل شيء قدير ، فعّال لما يريد .

وخطبة المأمون يوم الأضحى :

قال بعد التكبير والتحميد : إنّ يومَكم هذا يومٌ أبان الله فَضلَه ، وأوجَبَ تشريفَه ، وعَظّم حُرمتَه ، ووفّق له من خلقه صَفوَته ، وابتلى فيه خليله ، وفَدى فيه بالذّبح العظيم

نبيّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العَشْر ، ومُقدّم الأيام المعدودات من النّفْر .

يومٌ حرام ، من أيام عِظام ، في شهر حرام ، يومُ الحجّ الأكبر ، يومٌ دعا الله فيه الى مَشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عزّ وجلّ : « وأذّنْ في الناس بالحجّ يأتوكَ رجالاً وعلى كلّ ضامرٍ يأتينَ من كلّ فجٍّ عميق . »

فتقرّبوا الى الله في هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيّب أموالكم ، وبصحّة التّقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لن يَنال الله لحُومُها ولا دماؤها ولكن يَنالُه التّقوى منكم . »

ثمّ التّكبير والتّحميد ، والصلاةُ على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، والوصيّة بالتّقوى .

ثم ذكر الموت ، ثم قال : وما من بعده إلاّ الجنّة أو النار ، عظُم قدْرُ الدارَين ، وارتفع جزاء العَمَلين ، وطالت مُدّة الفريقَين .

الله الله ، فوالله إنه الجدّ لا اللعب ، والحقّ لا الكَذِب ، وما هو إلاّ الموتُ والبعثُ والمِيزان والحِساب والصّراط والقِصاص والثّواب والعِقاب . فمَن نجا يومئذٍ فقد فاز ،

ومَن هَوى يومئذ فقد خاب . الخير كلُّه في الجنـة ، والشرّ كلّه في النار .

وخطبة للمأمون في الفطر:

قال بعد التّكبير والتّحميد : ألا وإنّ يومكم هذا يوم عيد وسُنة ، وابتهال ورَغبة ، يومٌ خَتَم الله بـه صيام شهر رمضان ، وافتتح به حجّ بيته الحرام ، فجعله أوّل أيام شهور الحجّ ، وجعله مُعَقّباً لفروض صيامكم ، ومتنفّل[1] قيامكم ، أحلّ الله لكم فيه الطّعـام ، وحرّم عليكم فيـه الصيامَ ، فاطلبوا الى الله حوائجكم ، واستغفروه لتفريطكم ، فإنه يقال : لا كثيرَ مع نَدَم ٍ واستغفار ، ولا قليل مع تَمادٍ وإصرار .

ثم كَبّر وحمّد ، وذكر النبيّ ، صلى الله عليـه وسلم ، وأوصى بالبرّ والتقوى ، ثم قال : اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي اعتـدل فيه يقينكم ولم يَحضر الشكُّ فيـه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُستقال بعده عَثرة ، ولا تُحْظر قبله توبة ، واعلموا أنـه لا شيء قبله إلاّ دونه ، ولا شيء بعـدَه إلاّ فوقـه ، ولا يُعين على جَزَعـه

---

١ التنفل : صلاة النوافل .

وعَلَزِه[1] وكُرَبِه ، وعلى القبر وظلمتـه ، وضيقه ووَحشَته ، وهَولِ مطلعـه ، ومسألة مَلَكَيْه ، إلاّ العمل الصالح الذي أمر الله به .

فمن زَلَّت عند الموت قدَمُه ، فقـد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه، ودعا من الرجعة الى ما لا يُجاب إليه، وبَذَل من الفِدية ما لا يُقْبَل منه .

فالله الله عباد الله ، كونوا قوماً سألوا الرَّجعة فأعطوها إذ مُنعها الذين طلبوها، فإنه ليس يتمنى المُتقدمون قبلكم إلا هذا الأجل المَبْسوط لكم .

فاحذَروا ما حَذَّركم الله ، واتقوا اليوم الذي يَجْمعكم الله فيه ، لوَضع موازينكم ، ونشر صُحفكم ، الحافظة لأعمالكم . فلينظر عَبْدٌ ما يَضع في ميزانه مما يَثقُل به ، ومـا يُملي في صحيفته الحافظة لما عليه وله .

ألا فقد حكى الله لكم ما قالَ المُفرطون عندها ، إذ طال إعراضُهم عنها ، قال جلّ ذكره : « ووُضِع الكِتابُ فَتَرى المُجْرِمين مُشفِقِين مما فيه ويقولون يا وَيْلَتنا ما لهذا الكِتاب لا يُغادِرُ صَغيرَةً ولا كَبيرةً إلاّ أحصاها ، ووَجَدوا مـا

---

[1] العلز : ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب .

عَمِلوا حاضراً ولا يَظْلِم رَبُّكَ أحَداً . »

وقال : « ونَضَع المَوازِين القِسْطَ لِيَوم ِالقيامة فَلا تُظْلم نفْسٌ شيئاً . وإنْ كان مثقالَ حبّة من خرْدَلٍ أتينا بها وكَفى بنا حاسِبين . »

ولستُ أنهاكم عن الدُّنيا بأكثر مما تنهَكم به الدُّنيـــا عن نفسها ، فإنّ كلّ ما بها يُحذّر منها ، وينهى عنها ، وكلّ ما فيها يدعو إلى غيرها، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائعها وزوالها ذمُّ كتابِ الله لها والنّهيُ عنها ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « فلا تغرّنّكم الحياةُ الدُّنيا ولا يَغرّنّكم بالله الغَرور . »

وقال :« اعْلَموا أنّما الحَياة الدُّنيا لَعِبٌ ولَهْوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بينكم وتكاثُرٌ في الأموال والأولاد . »

فانتفعوا بمَعرفتكم بها، وبإخبار الله عنها. واعلموا أنّ قوماً مِن عباد الله أدركتهم عِصْمَةُ الله فحَذِروا مَصارعهـــا ، وجانبوا خَدائعها ، وآثروا طاعةَ الله فيها ، وأدركوا الجنـة بما يَتركون منها .

خطبة عبد الله بن الزبير

حين قدم بفتح افريقية

قَـدِم عبدُ الله بن الزُّبير على عثمان بن عفـّان بفتح إفريقية، فأخبره مُشافهة، وقـَصّ عليه كيف كانت الوقعة؛ فـأعجب عثمانَ ما سمع منه، فقال له: يا بُني، أتقوم بمثل هذا الكلام في النّاس؟

فقال: يا أميرَ المؤمنين، أنا أهْيَب لك مني لهم.

فقام عثمانُ في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الله قد فَتح عليكم إفريقية، وهذا عبدُ الله بن الزبير يُخبركم خبرَها إن شاء الله.

وكان عبدُ الله بن الزُّبير إلى جانب المِنبر، فقام خطيباً، وكان أولَ من خطب إلى جانب المنبر، فقال: الحمدُ لله الذي ألّف بين قلوبنا، وجعلنا مُتحابّين بعـد البِـغْضة، الذي لا تُجحد نَعماؤه، ولا يزول مُلكه، له الحَمد كما حَمِدَ نفسه، وكما هو أهلُه، انتخب محمداً صلى الله عليه وسلّم، فاختـاره بعِلمه، وأمّنه على وَحْيه، واختار له من النـاس أعواناً،

قذف في قلوبهم تصديقه ومحبّته ، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، فاستُشهد لله منهم مَن استشهد ، على المِنْهاج الواضح ، والينبوع الرابح ، وبقي منهم مَن بقي ، لا تأخذهم في الله لومةُ لائم .

أيها الناس : رحمكم الله ؛ إنا خرجنا للوجه الذي علمتم ، فكُنّا مع والٍ حافظ ، حفِظ وصيةَ أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأبردين[1] ، ويَخفض[2] بنا في الظهائر ، ويتخذ الليل جملاً ، يُعجل الرّحلة من المنزل الجدْب ، ويُطيل اللّبث في المنزل الخِصْب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفها من ربّنا[3] ، حتى انتهينا إلى إفريقية، فنزلنا منها بحيثُ يسمعون صَهيل الخيل، ورُغاء الإبل ، وقعقعة السلاح. فأقمنا أياماً نُجِمّ كُراعنا[4]، ونُصلح سِلاحنا .

ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول فيه، فأبعدوا منه؛ فسألناهم الجزية عن صَغار، أو الصلحَ ، فكانت هذه أبعدَ ، فأقمنا عليهم

---

١ الابردان : الغداة والعشي .
٢ خفض بالمكان : أقام .
٣ من ربنا : أي مما قد عودنا الله .
٤ الكراع: جماعة الخيل.أجم الفرس: ترك ركوبه فعفا من تعبه وذهب اعياؤه.

ثلاثَ عشرَة ليلة نتأتّامُ[1] ، وتختلف رُسُلنا إليهم .

فلما يئس منهم ، قام خطيباً فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكر فضلَ الجهاد ، وما لصاحبه إذا صبر واحتسب .

ثم نهضنا الى عدوّنا وقاتلناهم أشدّ القتال ، يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجال من المُسلمين ؛ فبِتنا وباتوا ، وللمُسلمين دويّ بالقرآن كدويّ النحل ، وبات المشركون في خمورهم وملاعبهم .

فلما أصبحنا أخذنا مصافّنا الذي كنّا عليه بالأمس ، فزحف بعضُنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره ، وأنزل علينا نصره ؛ ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفيئاً واسعاً ، بلغ فيه الخُمس خمسمائة ألف ، فصفق[2] عليها مروان بن الحكم ، فتركتُ المسلمين قد قرّت أعينُهم وأغناهم النّفل ، وأنا رسولُهم الى أمير المؤمنين أبشّره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذلّ من الشرك .

فاحمدوا الله عبادَ الله على آلائه ، وما أحلّ بأعدائه ، من بأسه الذي لا يردّه عن القوم المجرمين . ثم سكت .

---

١ تتأتام : تتنظرم .

٢ صفق عليها الباب : أي حفظها في خزائنه .

فنهض إليه أبوه الزُّبير فقبَّل بين عينيه وقال : ذُرِّية بعضُها من بعض والله سميع عليم . يا بُني : ما زِلتَ تنطِق بلسان أبي بكر حتى صَمتَّ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل مصعب :

صَعِد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ، فجعل لونُه يحمرُّ مرّةً ويصفرُّ مرة ، فقال رجلٌ من قريش لرجل الى جانبه : ما له لا يتكلّم ، فوالله إنه للبيب الخُطباء .

قال : لعلّه يريد أن يذكر مقتل سيّد العرب فيشتدّ ذلك عليه ، وغير ملوم .

ثم تكلّم ، فقال : الحمد لله له الخَلْق والأمر ، والدُّنيا والآخرة ، يُؤتي المُلك من يشاء ، ويَنزع الملك ممّن يَشاء ، ويُعزُّ من يَشاء ، ويُذلُّ مَن يَشاء .

أما بعد ، فإنه لم يُعزّ الله مَن كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأنامُ طُرّاً ، ولم يُذل مَن كان الحقُّ معه ، وإن كان فَرداً .

ألا وإن خبراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ؛ فأمّا الذي أحزننا ، فإن لفراق الحَميم لوعةً يجدها حميمه ، ثم يرعوي ذوو الألباب الى الصبر وكريم العَزاء ، وأمّا الذي أفرحنا ،

فإنْ قُتِل مُصعب ، له شهادة ، ولنا ذخيرة ، أسلمه النَّعام المصلَّم[1] الآذان .

ألاَ وإن أهل العراق باعوه بأقلّ من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابنُ عمّه[2] ، وكانوا الخيارَ الصالحين .

إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قعصاً[3] بالرِّماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف ، ليس كما يموت بنو مَروان .

ألا إنما الدنيا عاريّة من المليك الأعلى الذي لا يَبيد ذكره ، ولا يَذِل سُلطانه ، فإن تُقبِل الدنيا عليّ ، لم آخُذها أخذ الأشِر البَطِر ؛ وإن تُدْبِر عنّي ، لم أبكِ عليها بكاء الخَرِق المهين .

ثم نزل .

---

١ المصلم : المقطوع .

٢ يشير الى مقتل أخيه المنذر بمكة وأبيه الزبير بوادي السباع وابن عمه عبد الله ابن عبد الرحمن بن العوام يوم الدار .

٣ مات قعصاً : اذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

خطبة زياد البتراء

قال أبو الحسن المدائني عن مَسلمة بن مُحارب عن أبي بَكْر الهُذليّ قال : قَدِمَ زيادٌ البصرة والياً لمعاوية بن أبي سفيان ، وضَمّ إليه خراسان وسجستان ، والفِسْقُ بالبَصرة ظاهرٌ فاشٍ ، فخطب خُطبة بتراء لم يَحمد الله فيها .

وقال غيرُه بل قال : الحمدُ لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه وإكرامه ، اللهم كما زدتنا نِعَماً فألهمنا شكراً .

أمّا بعد ، فإن الجهالة الجَهلاء ، والضّلالة العَمياء ، والعَمى الموفي بأهله على النار ، ما فيه سُفهاؤكم ، ويَشتمل عليه حُلماؤكم ، من الأمور العِظام .

يَنبُتُ فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تَقرؤوا كتاب الله ، ولم تَسمعوا ما أعدّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل مَعصيته ، في الزمن السرمديّ الذي لا يزول .

أتكونون كمن طَرفَتْ عينَيه الدنيا[1] ، وسدَّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانيـة على الباقية ، ولا تَذكُرون أنكم أحدثتم في الاسلام الحَدَث الذي لم تُسبقوا إليه من تركِكم هذه المَواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة ، في النهار المبصر ، والعددُ غيرُ قليل .

ألم يكن منكم نُهـاة تَمنع الغُواة عن دلَج[2] الليـل وغارة النهار ؟

قـرّبتم القرابة ، وباعدتم الدّين ، تَعتذرون بغـير العُذر ، وتَغُضُّون على المختَلس .

كلُّ امرىء منكم يَذُبُّ عن سَفيهه صَنيعَ مَن لا يخاف عاقبة" ولا يرجو مَعاداً .

ما أنتم بالحُلماء ، ولقد اتبعتم السُّفهاء ، فلم يزَل بكم مـا تَرَون من قيامكم دونهـم ، حتى انتهكوا حُرم الاسلام ، ثم أطرقوا وراءكم[3] كُنوساً في مكانس الرِّيَب[4] .

---

١ طرفت عينيه الدنيا : أي طمحت ببصره اليها والى زخرفها وشغلته عن الأخرى .

٢ الدلج : السير من أول الليل .

٣ أطرقوا وراءكم : اقتدوا بكم .

٤ المكانس ، واحدها مكنس : الموضع يؤوى اليه ويختبأ فيـه . الريب : الشكوك ، واحدتها : ريبة .

حرامٌ عليَّ الطعام والشراب حتى أسوّيها بالأرض هدْماً وإحراقاً .

إني رأيتُ آخرَ هذا الأمر لا يَصلح إلاَّ بما صَلَحَ به أوّلُه : لِينٌ في غير ضَعْف ، وشِدَّة في غير عُنْف ؛ وإني أقسم بالله لآخُذنَّ الوليَّ بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمُقبل بالمُدبر ، والصحيحَ بالسّقيم ، حتى يَلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول : انجُ سَعد فقد هلك سُعيد ، أو تستقيم لي قناتُكم .

إنّ كِذبةَ الأمير بلقاء مشهورة ، فإذ تعلّقتم عليَّ بكِذبة فقد حلّت لكم معصيتي .

من نُقِب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه ، فإيايَ ودلجَ الليل فإني لا أوتى بمُدلِج إلاّ سَفكتُ دمَه ، وقد أجّلتم في ذلك بقدر ما يأتي الخبر من الكُوفة ويَرجع إليكم .

وإيّاي ودعوى الجاهليّة ، فإني لا أجد أحداً دعا بها إلاّ قطعتُ لسانه ، وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكلّ ذنب عقوبةً ، فمن غرّق قوماً غرّقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومَن نَقَب بيتاً نَقَبنا عن قلبه ، ومن نَبَش قبراً دفنّاه فيه حيّاً ، فكفّوا عنّي ألسنَتكم وأيديكم أكفّ عنكم يدي ولساني ، ولا يَظهرنّ من أحد منكم ريبةَ بخلاف ما عليه عامّتكم إلاّ ضربتُ عُنقه .

وقد كانت بيني وبين قوم إحَنٌ ، فجعلتُ ذلك دَبْرَ اذني وتحت قدمي، فمن كان مُحسِناً فليَزدد في إحسانه ، ومن كان مُسيئا فليَنزع عن إساءته .

إني لو علمتُ أنّ أحدَكم قد قتله السّلّ من بُغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتى يُبدي لي صفحته ، فإن فعل ذلك لم أنظره .

فاستأنِفوا أموركم، واستعينوا على أنفسكم ، فربّ مُبتئس بقُدومنا سيُسرّ ، ومَسرور بقدومنا سيبتئس .

أيها الناس ، إنّا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة ، نَسُوسكم بسُلطان الله الذي أعطانا ، ونَذُود عنكم بفَيء الله الذي خَوّلنا ؛ فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا ، فاستوجبوا عَدلَنا وفَيئنا بمُناصحتكم لنا ، واعلموا أني مهما أقصّر فلن أقصر عن ثلاث : لستُ محتجباً عن طالب حاجة ولو أتاني طارقاً بليل ، ولا حابساً عطاءً ولا رزقاً عن إبّانه ، ولا مجمّراً لكم بعثاً .

فادعوا الله بالصّلاح لأئمتكم ؛ فإنهم ساسَتُكم المؤدّبون ، وكَهفُكم الذي إليه تأوون ، ومتى يَصلحوا تَصلحوا .

ولا تُشربوا قلوبَكم بُغضَهُم فيَشتد لذلك أسَفُكُم ،

ويطول له حزنكم ، ولا تُدرِكوا له حاجتكم ، مع أنّه لو استُجيب لكم فيهم لكان شرّاً لكم .

أسأل الله أن يُعين كلاً على كلّ . وإذا رأيتموني أُنفذ فيكم أمراً فأنفِذوه على أذلاله[1] .

وايم الله إنّ لي فيكم لَصَرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صَرعاي .

ثم نزل .

فقام إليه عبدُ الله بن الأهتم ، فقال : أشهد أيها الأمير لقد أوتيتَ الحِكمة وفصل الخِطاب .

فقال له : كذَبْتَ ، ذاك داودُ صلى الله عليه وسلّم .

فقام الأحنف بن قيس ، فقال : إنما الثّناء بعد البَلاء ، والحمدُ بعد العَطاء ، وإنّا لن نُثْني حتى نبْتلي .

قال له زياد : صَدَقت .

فقام أبو بلال ، وهو يَهمس ، ويقول : أنبأنا الله تعالى بخلاف ما قلتَ ، قال الله تعالى : « وإبراهيمَ الذي وَفّى . ألاّ تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى . وأنْ ليس للإنسان إلا ما

---

[1] على أذلاله : أي على وجوهه وطرقه .

َمعى . » وأنت تزعم أنك تأخذ الصحيح بالسَّقِيم ، والمطيع بالعاصي ، والمقبل بالمدبر . َفسَمِعَها زياد ، فقال : إنّا لا نبلغ ما تُرِيد فيك وفي أصحابك حتى َنخُوضَ إليكم الباطل َخوضاً.

وخطبة لزياد :

استوصوا بثلاث منكم خيراً : الشريف والعالم والشَّيخ ، فوالله لا يأتيني شيخٌ بحدَث استَخَفَّ به إلا أوجَعتـه ، ولا يأتيني عالمٌ بجاهل استخفَّ به إلا َنكَّلتُ بـه ، ولا يأتيني شريفٌ بوَضيع استخفَّ به إلا َضربتُه .

وخطبة لزياد :

َخطب زياد على المِنبر فقال : أيها الناس ، لا يَمنعكم ُسوء ما َتعْلَمون عنّا أنْ َتنْتفعوا بأحسن ما تسمعون منّا ، فإن الشاعر يقول :

اعمل بقَولي ، وإن قصَّرْتُ في عملي ،
َينفَعْكَ قولي ، ولا َيضُرُكَ َتقْصِيري

وخطبة لزياد :

العُتبيّ قال : لما شهدت الشُّهود لزياد ، قـام في أعقابهم فَحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هذا أمر لم أشهد أوله ، ولا

عِلم لي بآخره ، وقد قال أميرُ المؤمنين ما بَلغكم ، وشهدت الشهود بما سَمِعتم . فالحمد لله الذي رَفع منّا ما وَضع الناس، وحَفِظ منّا ما ضَيّعوا .

فأما عُبيد ، فإنما هو والد مبرور ، أو كافل مشكور .

•

خطبة لجامع المحاربي

وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسناً ، وهو الذي قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بَنَيْتَها في غير بلدك ، وأورَثْتَها غيرَ وَلدك .

شكا الحجّاج سُوء طاعة أهل العِراق ، ونَقِمَ[1] مَذْهَبَهم ، وتَسَخّط[2] طريقتهم ، فقال جامع : أما إنهم لو أحبّوك لأطاعوك ، على أنهم ما شَنَؤوك لِنسَبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ؛ فدَع عنك ما يُبْعدهم منك إلى ما يُقرّبهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك تُعْطَها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وَعيدك ، ووَعيدُك بعد وَعْدك .

قال الحجّاج : إني والله ما أرى أن أرُدّ بني اللّكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف .

قال له : أيها الأمير ، إن السّيف إذا لاقى السيفَ ذهَب الخيار .

---

١ نقم : كره .
٢ تسخط : لم يرضَ .

قال الحجّاج : الجبارُ يومئذ لله .

قال : أجل ، ولكن لا تدْري لمن يَجعله الله .

وغضب الحجّاج فقال : يا هناه[1] ! إنك من مُحارب .

فقال جامع :

وللحَرْب سُمّينا ، وكُنّا مُحارِباً ،
إذا ما القنا أمسى من الطّعن أحْمَرَا

والبيت للخُضْري . قال الحَجّاج : والله لقد همَمْتُ أن أقطع لسانَك فأضرب به وجهك .

قال جامع: إن صَدقناك أغضبناك ، وإن غشَشْناك أغضبنا الله ، فغَضَبُ الأمير أهونُ علينا من غَضب الله .

قال : أجل. وشُغل الحجّاج ببعض الأمر، فانسلّ جامع، فمر بين صُفوف خَيْل الشام حتى جاوزَهم إلى خَيْل أهل العراق ، وكان الحجّاج لا يَخلطهم ، فابصرَ كَبْكبة[2] فيها جماعةٌ من بكر العِراق وقَيس العراق وتميم العراق وأزد العراق، فلما رأوْه اشرأبّوا اليه وبلغهم خروجه ، فقالوا له : ما عندك ? دافع الله لنا عن نفسك .

---

١ هن : كلمة يكنى بها عن اسم الانسان ، وقد تزاد الألف والهاء في آخرها عند النداء خاصة ، وتصير هذه الهاء تاء في الوصل .
٢ الكبكبة : الجماعة المتضامّة من الناس او الخيل .

فقال : ويحكم ! عمُّوه بالخلع كما يعمُّكم بالعداوة ، ودَعوا التّعادي ما عاداكم ، فإذا ظفرتم تراجعتم وتعاديتم .

أيها التميميّ ، هو أعدى لك من الأزدي ، وأيها القيسي ، هو أعدى لك من التّغلبي ، وليس يظفر بمن ناوأه منكم إلاّ بمن بقيَ معه .

وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام ، فاستجار بزُفر ابن الحارث .

خطب الحجاج بن يوسف

خَطب الحجّاج فقال : اللّهمّ أرِني الغَيّ غيّاً فأجتنبَه ، وأرِني الهُدى هُدًى فأتبعَه ، ولا تَكلْني الى نفسي فأضلّ ضلالاً بعيداً .

والله ما أُحِبُّ أن ما مضى من الدنيا لي بعمامتي هذه ، ولمّا بَقِيَ منها أشبهُ بما مَضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج :

قال الهيثم بن عديّ : خرج الحجّاج بن يوسف يوماً من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيراً في السّوق ، فراعه ذلك ، فصَعِد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل العراق ، يا أهل الشّقاق والنّفاق ، ومساوىء الاخلاق ، وبني اللّكيعة[1] ، وعَبيد العَصا ، وأولاد الإماء ، والفَقْع بالقرقرة[2] ، إني سمعتُ

١ اللكيعة : اللئيمة .

٢ الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة . القرقر : الأرض المنخفضة . يريد أنهم أذل من هذه الكمأة في الأرض المنخفضة لا تمتنع على من اجتناها .

تكبيراً لا يُراد به الله ، وإنما يُراد به الشيطان ، وإنما مَثَلي ومَثَلكم ما قال ابن بَرّاق الهَمْداني :

وكنتُ ، إذا قومٌ غزَوني ، غزوتُهم ،
فهل أنا في ذا يا لَهَمْدانَ ظالمُ ؟

متى تَجمَعِ القلبَ الذّكيّ وصارماً ،
وأنفاً حَمِيّاً ، تَجتَنِبْكَ المظالمُ

أما والله لا تُقرَع عصاً بعصاي إلاّ جعلتُها كأمس الدابر .

خطبة للحجاج بعد دير الجماجم[1] :

خطب أهلَ العراق فقال : يا أهل العراق ، إنّ الشيطان قد استَبطنكم فخالَط اللحم والدّم والعَصَب والمسامع والأطراف والأعضاد والشّغاف ، ثم أفضى الى المِخاخ والصّمائخ[2] ، ثم ارتفع فعَشّش ، ثم باض وفرّخ ، فحشاكم شِقاقاً ونِفاقاً ، وأشعركم خلافاً ؛ اتخذتموه دَليلاً تتّبعونه، وقائداً تُطيعونه ، ومؤامراً تَستشيرونه .

---

١ وقعة دير الجماجم : كانت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن الأشعث قرب الكوفة وفيها هُزم ابن الأشعث .

٢ المخاخ : جمع مخ . الصمائخ، جمع صماخ : وهو من الأذن ، الخرق الباطن الذي يفضي الى الرأس .

وكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وَقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يَردُكم إيمان ! ألستم أصحابي بالأهواز ، حيث رمتم المكر ، وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أن الله يَخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذاً[1] ، وتنهزمون سراعاً .

ثم يومَ الزاوية[2] ، وما يوم الزاوية ! بها كان فشلكم[3] وتنازعكم وتخاذلكم ، وبراءة الله منكم ، ونكوص وليه عنكم ؛ إذ وليتم كالابل الشوارد الى أوطانها ، النوازع الى أعطانها ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوي الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصمتكم الرماح .

ثم يوم دَيْر الجماجم ، وما دَير الجماجم ! بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مَقيله[4] ، ويذهل الخليل عن خليله .

يا أهل العراق ، والكفرات بعد الفجرات ، والغدرات

---

١ لواذاً : متسترين .

٢ الزاوية : موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث .

٣ الفشل : الجبانة .

٤ مقيله : أي موضعه ، يريد الأعناق .

بعد الخترات ، والنزوات بعد النزوات ، إن بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ، لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة .

يا أهل العراق، هل استخفكم ناكث ، او استغواكم غاو ، أو استفزكم عاص ، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع ، إلا تبعتموه وآويتموه وعزرتموه ونصرتموه ورضيتموه ؟

يا أهل العراق ، هل شغب شاغب ، أو نعب ناعب ، أو نعق ناعق ، أو زفر زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟

يا أهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ، ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت الى أهل الشام فقال : يا أهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم[1] الذابّ عن فراخه ، ينفي عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها عن المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذئاب .

يا أهل الشام، أنتم الجنّة[2] والرداء ، وأنتم العدّة والحذاء .

وخطبة للحجاج :

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة فجلست قريباً من

---

١ الظليم : ذكر النعام .
٢ الجنة : الترس ، وما يتقى به .

المنبر ، فصعد الحجاج ، ثم قال : امرؤ حاسب نفسه ، امرؤ راقب ربه ، امرؤ زوّر عمله[1] ، امرؤ فكّر فيما يقرؤه غداً في صحيفته ، ويراه في ميزانه ، امرؤ كان عند همّه ذاكراً ، وعند هواه زاجراً ، امرؤ أخذ بعِنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمَله ، فإن قاده الى حق تبعه ، وإن قاده الى معصية الله كفّه .

إننا والله ما خُلقنا للفناء ، وإنما خلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار الى دار .

خطبة للحجاج بالبصرة :

اتّقوا الله ما استطعتم ، فهذه لله وفيها مَثُوبة .

ثم قال : واسمعوا وأطيعوا ، فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان .

والله لو أمرتُ الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره لكانت دماؤهم لي حلالاً من الله ، ولو قتَلت ربيعةُ ومُضر لكان لي حلالاً .

عَذيري[2] من هذه الحَمراء[3] ، يَرمي أحدُهم بالحَجَر الى

---

١ زور عمله : حسّنه .

٢ العذير : النصير .

٣ الحمراء : العجم ، لبياضهم ، وقد نزل قوم منهم البصرة .

السماء ويقول : يكونُ الى أن يَقَع هذا خير . والله لأجعلنّهم كأمس ِ الدّابر .

عَذيري من عبد هُذَيل[1] ، إنه زعم أنه آمِن عند الله ، يقرأ القرآن كأنه رَجَز الأعراب ، والله لو أدركتُهُ لقتلتُه .

خطبة للحجاج بالبصرة :

حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ الله كفانا مَؤونة الدنيا ، وأمرنا بطلب الآخرة ، فليتَ الله كفانا مؤونة الآخرة ، وأمرنا بطلب الدنيا .

ما لي أرى عُلماءكم يدهنون[2] ، وجُهّالكم لا يَتعلّمون ، وشِرارَكم لا يَتُوبون ؟

ما لي أراكم تَحرصون على ما كُفيتم ، وتُضيّعون ما به أمِرتم ! إنّ العِلم يُوشك أن يُرفع ، ورفْعُه ذهابُ العلماء .

ألا وإني أعلم بشِراركم من البَيطار بالفَرس : الذين لا يَقرؤون القرآن إلاّ هُجْراً[3] ، ولا يأتون الصلاة إلاّ دُبْراً[4] .

ألا وإنّ الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البَرّ والفاجِر .

---

١ عبد هذيل : هو عبد الله بن مسعود .

٢ يدهنون : يخدعون .

٣ الهجر : الترك والاغفال .

٤ دبراً : أي في آخر وقتها .

ألا وإنّ الآخرة أجَلٌ مُستأخر ، يَحكم فيه مَلِك قادر .

ألا فاعملوا وأنتم من الله على حَذَر ، واعلموا أنكم مُلاقوه ، ليَجزي الذين أساءوا بما عَمِلوا ، ويَجزي الذين أحسنوا بالحُسنى .

ألا وإنّ الخيرَ كلّه بحذافيره في الجنّة ، ألا وإنّ الشر كلّه بحذافيره في النار ، ألا وإنّ مَن يَعمل مِثقال ذَرّة خيراً يرَه ، ومَن يَعملْ مِثقال ذرّة شرّاً يرَه ، وأستغفر اللهَ لي ولكم .

خطبة للحجاج :

خَطب الحجّاج أهلَ العراق فقال : يا أهل العِراق ، إني لم أجد لكم دواءً أدوى[1] لدائكم من هذه المَغازي والبُعوث ، لولا طِيبُ لَيْلة الإياب ، وفَرْحة القَفَل ، فإنها تُعقب راحة .

وإني لا أريد أن أرى الفرَح عندكم ولا الرّاحة بكم .

وما أراكم إلا كارهين لمَقالتي ، وإني والله لرُؤيتكم أكره .

ولولا ما أريد من تَنفيذ طاعةِ أمير المؤمنين فيكم ما حمّلت نفسي مُقاساتَكم ، والصبرَ على النّظر إليكم ، واللهَ أسألُ حُسن العَوْن عليكم .

ثم نَزَل .

---

[1] أدوى : أهلك .

خطبة للحجاج حين أراد الحج :

يا أهل العِراق ، إني أردتُ الحجّ ، وقد استخلفتُ عليكم ابني محمداً ، وما كنتم له بأهل ، وأوصيتهُ فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار ؛ فإنه أوصى أنْ يَقبل من مُحسنهم ويتجاوز عن مُسيئهم ؛ وأنا أوصيتُه أن لا يَقبل من مُحسنكم ولا يَتجاوز عن مُسيئكم .

ألا وإنكم قائلون بعدي مَقالةً لا يَمنعكم من إظهارها إلا خوفي ، تَقولون : لا أحْسن الله له الصحابةَ . وإني أعجّل لكم الجواب : فلا أحْسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل .

خطبة للحجاج :

قال : خرج الحجّاج يريد العراق والياً عليها في اثني عشر راكباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار ، وقد كان بِشر بن مَروان بَعث المُهلّب إلى الحَروريّة ، فبدأ الحجّاج بالمسجد فدخله ، ثم صَعِدَ المِنْبر وهو مُلثّم بعمامة حمراء ، فقال : عليّ بالناس .

فحَسبوه وأصحابَه خوارج ، فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد قام ، ثم كَشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ابنُ جَلا وطَلاّعُ الثّنايا
متى أضَعِ العِمامةَ تَعْرِفوني[1]

صليبُ العودِ من سَلَفي رِباحٍ ،
كنَصلِ السّيفِ وضّاحِ الجبينِ

وماذا يبتغي الشُّعَراءُ منّي ،
وقد جاوزتُ حَدَّ الأربعينِ ؟

أخو خمسينَ مُجتمعٌ أشُدّي ،
ونَجّذني مُداورةُ الشؤونِ[2]

وإنّي لا يعود إليّ قِرني ،
غداةَ العَبءِ ، إلاّ في قَرينِ[3]

أما والله إني لأحمل الشرّ بحَمْله ، وأحذوه بنَعْله ، وأجزيه بمثله ، وإني لأرى رؤوساً قد أينعَت وحان قِطافُها ، وإني لصاحبها ، وإني لأنظر إلى الدّماء بين العمائم واللّحى تترقرق :

قد شمّرتْ عن ساقها فشمّري

---

١ هذه الأبيات لسحيم بن وثيل الرياحي . ابن جلا : الصبح ، أو الأمر الظاهر المنكشف. وأراد بطلاع الثنايا : المقدم على الامور الشاقة. اضع العمامة : ارفعها.
٢ مجتمع أشدّي : مجتمعة قوتي . نجذني : حنكني .
٣ في قرين : اي مقروناً بآخر .

ثم قال :

هذا أوانُ الشدّ ، فاشتدّي زِيَمْ ،
قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ[1]

ليس براعي إبلٍ ولا غَنَم ،
ولا بجزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ[2]

ثم قال :

قد لفّها الليلُ بعَصلبيّ ،
أروع ، خرّاج من الدّوّيّ[3]
مُهاجرٌ ليس بأعرابيّ[4]

قد شمّرت عن ساقها فشُدّوا ،
ما عِلّتي ، وأنا شيخ إدّ[5]

---

١ زيم : قيل هو اسم فرس ، او اسم ناقة . وقيل : الزيم واحدتها الزيمة وهي القطعة من الابل شبّه بها أهل العراق . اوان الشد : اي أوان العدو . لفها الليل : اي لف الابل . السوّاق الحطم : الظلوم . شبّه نفسه بسواق ظالم يسوق اهل العراق .

٢ الوضم : الخشبة التي يقطع عليها الجزار اللحم .

٣ العصلبي : الشديد القوي . الأروع : الذكي ، او من يعجبك بشجاعته . الدوي ، جمع دوية : الفلاة الواسعة ، وأراد بها الشدائد .

٤ اي انه هاجر البادية وسكن المدن فازداد خبرة وتجربة .

٥ اد : داهية .

والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدُّ،
مِثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشَدُّ[1]

إني والله يا أهل العراق، ومَعدِنَ الشِّقاق والنِّفاق، ومَساوِىء الأخلاق، لا يُغمَزُ جانبي كتغماز التين، ولا يُقعقَع لي بالشِّنان[2]، ولقد فُرِرتُ عن ذكاء[3]، وفُتِّشت عن تجربة، وأجريت الى الغاية القُصوى، وإنَّ أميرَ المؤمنين نَثَر كِنانته بين يديه ثم عَجَمَ عِيدانَها، فوَجدني أمرَّها عُوداً، وأشدَّها مَكسِراً، فوجَّهني إليكم، ورَماكم بي، فإنَّه قد طالما أوضعتم[4] في الفِتَن، وسَنَنْتم سُنَنَ الغَيّ، وايم الله لألحونَّكم لَحْوَ العصا، ولأقرعنَّكم قَرْعَ المَرْوَة[5]، ولأعصِبنَّكم عَصْبَ السَّلَمة[6]، ولأضربنَّكم ضربَ غرائبِ الإبل.

---

١ عرد: شديد.

٢ القعقعة: تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت. الشنان، واحدها شن: القربة البالية وكانوا يحركونها اذا أرادوا حث الابل على السير لتفزع فتسرع. وهذا مثل يضرب لمن لا يردعه ما لا حقيقة له.

٣ فر الدابة: الكشف عن اسنانها ليعرف عمرها اي انه اختبر عن ذكاء.

٤ اوضعتم: اسرعتم.

٥ المروة، واحدة المرو: حجارة بيض براقة توري النار.

٦ السلمة: شجر كثير الشوك. اعصبنكم، من عصب الشجرة: ربط اغصانها، ثم خبطها ليسقط ورقها.

أمَا واللهِ لا أعِدُ إلاّ وفَيْتُ ولا أخلُقُ إلاّ فرَيْتُ[1] .

وإيّاي وهذه الشُفعاء والزّرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً، وما يقولون ، وفيمَ أنتم وذاك .

واللهِ لَتَستقيمُنّ على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شُغلاً في جسده ، مَن وجدتُه بعد ثالثة من بَعث المُهلّب سفكتُ دمَه ، وانتهبتُ مالَه ، وهدمتُ منزلَه .

فشمّر الناس بالخروج الى المهلّب . فلما رأى المُهلّب ذلك قال : لقد وَلِيَ العراق خيرُ ذَكَر .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك :

قام خطيباً فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نَعى نبيّكم ، صلى الله عليه وسلم ، الى نفسه فقال : « إنّكَ مَيّتٌ وإنّهم مَيّتُون . »

وقال : « وما محمّد إلاّ رسولٌ قد خلَتْ من قَبله الرُسُل أفإن مات أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم . »

فمات رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المَهديّون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم

---

١ أخلق : أقدر . فريت : قطعت .

عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ، ثم وليكم البازل[1] الذكر ، الذي جرّبته الأمور ، وأحكمته التجارب ، مع الفقه ، وقراءة القرآن ، والمُروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزّيغ ، فكان رابعاً من الوُلاة المهديّين الراشدين ، فاختار الله له مما عنده ، وألحقه بهم ، وعهد الى شِبهه في العقل والمروءة والحزم والجَلَد والقيام بأمر الله وخلافته ، فاسمعوا له وأطيعوه أيها الناس .

وإيّاكم والزّيغ ، فإنّ الزيغ لا يَحيق إلاّ بأهله . ورأيتم سيرتي فيكم ، وعرفتُ خلافكم ، وقبِلتُكم على معرفتي بكم ، ولو علِمتُ أنّ أحداً أقوى عليكم منّي أو أعرفَ بكم ما وليتكم ، فإيّاي وإياكم ، من تكلّم قتلناه ، ومن سكت مات بدائه غمّاً .

ثم نزل .

خطبة الحجاج لما اصيب بولده محمد واخيه محمد :

أيها الناس ، محمّدان في يوم واحد ، أما والله لقد كنتُ

---

١ يريد عبد الملك . وتشبيه الرجل الكامل عقلاً وتجربة بالبازل ، وهو الجمل الذي انشق نابه ، أمر مألوف عندهم .

احبُّ أنهما معي في الدنيا ، مع ما أرجو لهما من ثواب الله في الآخرة ، وايم الله ، ليُوشكنّ الباقي منّا ومنكم أن يَفنى ، والجديدُ منّا ومنكم أنْ يَبْلى ، والحيُّ منّا ومنكم أن يموت ، وأن تُدال الأرض منّا كما أُدِلنا منها ، فتأكلُ من لحُومنا ، وتَشرب من دمائنا ، كما مَشَينا على ظَهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشَربنا من مائها ، ثم يكون كما قال الله : « ونُفِخ في الصُّور فإذا هم من الأجداث الى رَبّهم يَنسِلون . »

ثم تمثّل بهذين البيتين :

عَزائي نبيُّ الله من كلّ ميِّتٍ ؛
وحَسْبي ثوابُ الله من كلّ هالِكِ

إذا ما لقيتُ اللهَ عنّيَ راضياً ،
فإنّ سرورَ النفس فيما هُنالِكِ

خَطب الحجّاج في يوم جمعة فأطال الخطبة ، فقام إليه رجل فقال : إنّ الوقتَ لا ينتظرك ، والربّ لا يَعذرك .

فأمر به الى الحبس. فأتاه آلُ الرجل وقالوا : إنه مجنون .

فقال : إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خلّيت سبيله .

فقال الرجل : لا والله ، لا أزعُم أنه ابتلاني وقد عافاني .

خطبة للحجاج :

ذكروا أنّ الحجّاج مَرض ففرح أهلُ العراق ، وقالوا : مات الحجاج . فلما بلغه ، تحاملَ حتى صَعِد المنبر فقال : يا أهل الشّقاق والنّفاق ، نَفخ إبليسُ في مَناخِرِكم فقلتم : ماتَ الحجّاج ، مات الحجّاج . فَمَهْ ، واللهِ ما أُحبُّ ألاّ أموت ، وما أرجو الخير كلّه إلاّ بعد الموت ، وما رأيتُ الله عزّ وجلّ كتب الخلود لأحدٍ من خَلقه إلاّ لأهونهم عليه ، إبليس .

ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربّه وقال : « ربّ اغفِر لي وهَب لي مُلْكاً لا يَنبغي لأحَدٍ من بعدي إنّك أنتَ الوَهّاب . »

ففَعل ، ثم اضمحل كأن لم يكن .

وخطبة للحجاج :

خطب فقال في خُطبته : سَوطي سَيفي ، ونِجاده في عُنقي ، وقائمُه في يَدي ، وذُبابه قِلادة لمن اغترّ بي .

فقال الحسنُ : بُؤساً لهذا ، ما أغرّه بالله !

وحلف رجل بالطلاق : إنّ الحجّاج في النـار ، ثم أتى زوجتَه ، فمنعتهُ نفسها ، فأتى ابنَ شُبرمة يَستفتيه ، فقال :

يابن أخي ، امضِ فكُن مع أهلك ، فإنّ الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يَضُرك أن تَزْني .

هذا ما ذكرنا في كتابنا من الخُطبِ للحجّاج ، وما بقي منها فهي مُستقصاة في كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذُكرت أخبار زياد والحجّاج ، وإنما مَذهبنا في كتابنا هذا أن نأخذ من كلّ شيء أحسَنه ، ونَحذف الكثير الذي يُجتزأ منه بالقليل .

•

خطبة لطاهر بن الحسين

لمّا افتتح مدينة السّلام صَعِد المنبر وأحضر جماعةً من بني هاشم والقُوّاد وغيرهم فقال : الحمدُ لله مالكِ المُلك يؤتي المُلك مَن يشاء، وينزع المُلك ممن يشاء ، ويُعزّ من يشاء، ويُذلّ من يشاء ، ولا يُصلح عمل المفسدين ، ولا يَهدي كَيد الخائنين .

إنّ ظهور غلَبتنا لم يكن عن أيدنا[1] ولا كيدنا ، بل اختار الله لخِلافته ، إذ جعلها عَموداً لدينه وقَواماً لعِباده ، من يَستقلّ بأعبائها ، ويَضطلع بحملها .

---

١ الأيد : القوّة .

خطبة لعبد الله بن طاهر

خطب الناسَ وقد تيسّر لقتال الخوارج ، فقال : إنكم فئةُ الله المجاهدون عن حقّه ، الذابّون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الدّاعون الى ما أمر به ، من الاعتصام بحَبله ، والطاعة لوُلاة أمره ، الذين جعلهم رُعاة الدّين ، ونِظامَ المُسلمين ، فاستنجِزُوا مَوعود الله ونَصرَه بمُجاهدة عدوّه وأهل مَعصيته ، الذين أشِروا وتمرّدوا ، وشقّوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومَرَقوا من الدين ، وسَعَوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إن تَنصُروا الله يَنصُرْكم ويُثَبّتْ أقدامكم . »

فليكن الصبرُ مَعقِلَكم الذي إليه تَلجأون ، وعُدّتكم التي بها تَستظهرون ؛ فإنه الوَزَر المَنيع ، الذي دلّكم الله عليه ، والجُنّة الحَصينة التي أمركم الله بلباسها .

غُضّوا أبصاركم ، واخفتوا أصواتكم في مصافّكم ، وامضُوا قُدُماً على بصائركم ، فارغين الى ذِكْر الله ، والاستعانة به ، كما أمركم الله ، فإنه يقول : « إذا لَقيتم فئة فاثبُتوا واذكروا الله كثيراً لعلّكم تُفلحون . »

أيّدكم الله بعزّ الصّبر ، وَوَلِيكم بالحِياطة والنصر .

خطبة لقتيبة بن مسلم

قام بخُراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصَعِد المنبر فحَمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أتدرون مَن تُبايعون ؟ إنما تُبايعون يزيدَ بن ثَروان ، يعني هَبنَّقة[1] القَيسي ، كأني بكم ، وحَكَمٌ جائر قد أتاكم يَحكُم في أموالكم ودمائكم وفُروجكم وأبشاركم .

ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ! لعن الله الأعراب ! جمعتُهم كما يُجمع فَرْخ الخَرِبَق[2] من منابت الشِّيح والقَيصوم[3] والفلفل[4] ، يَركبون البَقَر ويأكلون الهَبيد[5] . فحملتُهم على الخيل ، وألبستهم السلاح ، حتى منَع الله بهم البلاد ، وجُبي بهم الفيء .

قالوا : مُرْنا بأمرك .

قال : غُرُّوا غيري .

---

١ هو الذي يضرب المثل بحمقه فقيل : احمق من هبنقة .

٢ الخربق : نبت كالسم يغشى على آكله .

٣ الشيح والقيصوم : من نبات السهل .

٤ الفلفل : نبت ينبت في الجلد وغلظ السهل .

٥ الهبيد : حب الحنظل .

وخطبة لقتيبة بن مسلم :

يا أهل العراق ، ألستُ أعلمَ الناس بكم ؟ أمَّا هـذا الحيّ من أهل العالية فنعمُ الصَّدقـة ؛ وأمَّا هذا الحيُّ من بكر بن وائلِ ، فعلِـجة[1] .

وأمَّا هذا الحيّ من عبد القَيس ، فما ضَرّب العَير بذنبه[2] .

وأمَّا هذا الحيّ من الأزْد ، فعُلُـوج خَلْـق الله وأنباطه .

وايم الله ، لو ملكتُ أمر الناس لنَقَشتُ أيديَهم .

وأمَّا هـذا الحيّ من تميم ، فإنهم كانوا يُسمُّـون الغَدرَ في الجاهليَّـة كَيْسان .

وقال الشاعر :

إذا كنتَ من سعد ، وخالُـك منهـمُ
بعيداً ، فلا يَغرُرْك خالُـك من سَعْدِ

إذا ما دَعَوا كَيسان ، كانت كُهولُـهم
الى الغَـدرِ أدنى من شَبابِهـم المُرد

---

١ العلجة : أنثى العلج ، وهو الرجل من كفار العجم .
٢ العير : الحمار ، كناية عن الذل والمهانة .

وخطبة لقتيبة بن مسلم :

يا أهل خُراسان ، قد جرّبكم الوُلاةُ قبلي ، أتاكم أميّة[1] فكان كاسمه ، أميّةَ الرأي ، وأميّة الدين ، فكتب الى خَليفته : إنّ خراج خُراسان لو كان في مَطبخه لم يكفِهِ .

ثم أتاكم بعده أبو سعيد ثلاثاً[2] لا تدرون أفي طاعة الله أنتم أم في مَعصيته ! ثم لم يَجْبِ فيئاً ، ولم يَنْلْ عدواً .

ثم أتاكم بنوه بعده مثلَ أطْباء[3] الكَلبة ، منهم ابن دَحْمة .

ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد ، حتى إنّ الظّعينة لتخرج من مَرْو الى سَمَرْقند في غير جوار .

قوله : أبو سعيد ، يريد المُهلّب بن أبي صُفْرة ، وقوله : ابن دَحْمة ، يريد يزيد بن المهلّب .

---

١ أمية بن أبي العاص .

٢ ثلاثاً : أي ثلاث سنين .

٣ الاطباء ، واحدها طي : وهو للكلبة كالثدي للمرأة .

خطبة ليزيد بن المهلب

حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، إني أسمع قول الرّعاع: قد جاء العَبّاس، قد جاء مَسلمة، قد جاء أهلُ الشام. وما أهل الشام إلاّ تسعة أسياف، منها سبعة معي، واثنان عليّ؛ وما مَسلمة إلاّ جرادة صَفراء، وأمّا العبّاس، فبسطوس بن بسطوس[1]، أتاكم في بَرابرة وصَقالبة وجَرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط، أقبل إليكم الفلاّحون والأوباش كأشلاء اللحم، والله ما لقُوا قطّ حدّاً كحدّكم، ولا حديداً كحديدكم.

أعِيرُوني سواعدَكم ساعةً من نهار تصفقون بها خراطيمَهم[2]، فإنما هي غَدوة أو رَوحة، حتى يحكم الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين.

---

١ اشارة الى ان العباس كانت أمه رومية.

٢ صفقه بالسيف: ضربه. الخراطيم، واحدها خرطوم: وهو الأنف.

خطبة لقس بن ساعدة الايادي

ابن عبّاس قال : قَدِم وَفد إياد على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم يعرفُ قُسّ بن ساعدة الايادي ؟

قالوا : كلّنا يعرفه .

قال : فما فعل ؟

قالوا : هَلَك .

قال : ما أنساه بسُوق عُكاظ في الشهر الحَرام على جَمَل له أحمر وهو يَخطُب الناس ، ويقول : اسمعوا وعُوا ، مَن عاش مات ، ومَن مات فات ، وكلّ ما هو آتٍ آت ، إنّ في السماء لخبراً ، وإنّ في الأرض لَعِبَراً ، سَحائبُ تَمُور ، ونُجوم تَغُور ، في فلك يَدور ، ويُقسم قُسٌّ قَسَماً ، إنّ لله لَدِيناً هو أرضى من دِينكم هذا .

ثم قال : ما لي أرى الناس يَذهبون ولا يَرجِعون ، أرَضُوا بالإقامة فأقاموا ، أم تُركوا فناموا ؟

أيّكم يَروي من شعره ؟

فأنشد بعضهم :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للموت ، ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها ، يمضي الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضي ، ولا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني ، لا محالة ، حيث صار القوم صائر

خطبة لعائشة أم المؤمنين

رحمها الله يوم الجمل

قالت : أيها الناس ، صَهْ صَهْ ، إنَّ لي عليكم حُرمَةَ الأمومة ، وحقَّ الموعظة ، لا يتَّهمني إلاَّ مَن عصى ربَّه ، مات رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بين سَحري[1] ونَحري ، فأنا إحدى نسائه في الجَنَّة ، له ادَّخرَني ربِّي ، وخلَّصني من كلّ بُضْع[2] ، وبي مَيَّز مؤمنكم من مُنافقكم[3] ، وبي أرخَص الله لكم في صَعيد الأبواء[4] ، ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما ، وأوّل مَن سُمّي صِدّيقاً .

مضى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، راضياً عنه ، وطَوَّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حَبل الدّين بعده فمسَك أبي بطَرَفيه ، ورتَق لكم فَتْق النّفاق ، وأغاضَ[5] نَبْع

---

١ السحر : الرئة .
٢ ارادت بالبضع : الزواج .
٣ اشارة الى حديث الافك ونزول الوحي ببراءتها .
٤ الصعيد : التراب . الأبواء : المفازة .
٥ أغاض : نقص .

الرِّدَّة، وأطفأ ما حَشَّت[1] يهود، وأنتم يومئذ جُحُظ العيون[2]، تنظرون العَدوة[3]، وتسمعون الصَّيحة، فرأبَ الثَّأي[4]، وأوَّدَ[5] من الغلظة، وامتاح[6] من الهُوَّة، حتى اجتحى[7] دفينَ الداء، وحتى أعطن الوارد[8]، وأورد الصادر، وعلَّ الناهل، فقبضه الله إليه واطئاً على هامات النِّفاق، مُذْكِياً نار الحرب على المشركين، فانتظمت طاعتُكم بحبلِه، فولَّى أمركم رجلاً مُرعياً[9] إذا رُكِنَ إليه، بعيداً ما بين اللابتين[10] إذا ضُلَّ، عرُكةً للأذاة بجنبه[11]، صفوحاً عن أذى الجاهلين، يقظان الليل في نُصرة الاسلام، فسلك مَسلك السابقيه، ففرَّق شَمل الفِتنة، وجمَّع أعضاد ما جَمَّع القرآن.

---

١ حش النار : أوقدها .
٢ جحظ العيون : بارزوها من الحيرة .
٣ العدوة : الوثبة .
٤ الثأي : الافساد .
٥ أود : عطف وألان .
٦ امتاح : انتزع .
٧ اجتحى : استأصل .
٨ أعطن الوارد : حبس ابله عند الماء .
٩ مرعياً : من المراعاة ، وهي الحفظ والرفق وتخفيف الأثقال .
١٠ اللابتان ، مثنى اللابة : وهي الحرة . تريد انه واسع الحيلة .
١١ عركة للاذاة بجنبه : اي يحكها اذا كانت من صديقه فيعفي عليها . تصفه بأنه كثير الاحتمال .

وأنا نُصْب المسألة عن مَسيري هـذا[1] ، لم ألتمس إثماً ، ولم أؤرِّث[2] فتنة أوطئكموها .

أقول قولي هذا صِدقاً وعَدلاً ، وإعذاراً وإنذاراً ، وأسأل الله أن يصلّي على محمد وأن يُخَلِّفه فيكم بأفضل خلافة المُرسلين .

---

١ اي انها عارضة نفسها لمن يريد ان يسألها عن سبب خروجها .
٢ أؤرث : أشعل .

خطبة لعبد الله بن مسعود

أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى . أكرم الملل مِلّة إبراهيم صلى الله عليه وسلم . خَيْرُ السُّنن سنةُ محمد صلى الله عليه وسلم . شَرُّ الأمور مُحْدَثاتُها ، وخيرُ الأمور أوْساطُها .

ما قلَّ وكَفى ، خَيْرٌ مما كَثُرَ وألْهى . لَنَفْسٌ تُحْيِيها خير من إمارة لا تُحْصِيها .

خيرُ الغِنى غنى النَّفس . خيرُ ما أُلقِيَ في القلْب اليَقِين . الخمرُ جِماع الآثام . النساء حبائلُ الشيطان . الشَّباب شُعبة من الجُنون .

حُبُّ الكِفاية مِفتاح المَعْجزة . شرُّ النـاس مَن لا يأتي الجماعة إلا دُبْراً ، ولا يذكر الله إلا هُجْراً .

سِبـاب المؤمن فُسُوق ، وقِتاله كُفر ، وأكْل لَحْمه معصيـة .

من يَتألَّ[1] على الله يُكَذِّبه ، ومَن يغفِر يُغفَرْ له .

---

[1] يتألى : يقسم .

مَكتوب في ديوان المُحْسنين : مَن عفا عُفِيَ عنه .
الشقيُّ شَقِيّ في بَطْن أمّه . السّعيد مَن وُعظ بغيره .
الأمور بعواقبها . مِلاك الأمْر خواتمُه . أحسنُ الهَدي هَدي الأنبياء .
أقبح الضّلالة الضلالة بعد الهُدَى. أشرَفُ الموت الشّهادة .
مَن يَعرف البلاء يَصْبِر عليه، ومن لا يعرف البلاء يُنكره .

خطبة لعتبة بن غزوان

بعد فتح الأيلة

حمِدَ الله وأثنى عليه، ثم صلى على النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقال: إنّ الدنيا قد تولّت وقد آذنَت أهلَها منها بصَرْم، وإنما بَقي منها صُبابة كصُبابة الإناء يَصطبُّها صاحبُها.

ألا وإنكم مُفارقوها لا محالةَ، ففارقوها بأحسن ما يَحضُرُكم.

ألا وإن من العجب أني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّ الحَجَرَ الضخم يُرمى به في شَفِير جهنّم فيَهْوي في النار سبعين خريفاً، ولجهنم سبعة أبواب، بين كل بابين منها مَسيرةُ خَمْسمائة عام، وليأتينّ عليها ساعة ولها كَظيظ[1] بالزحام.

ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعَ سبعة، ما لنا طَعام إلا وَرق البَشام[2]، حتى قَرِحت أشداقُنا،

---

١ كظيظ: امتلاء.

٢ البشام: شجر عطر الرائحة يستاك به.

فوجدتُ أنا وسعد بن مالك تمرة فشققتُها بيني وبينه نِصْفين ،
وما منّا أحد اليوم إلا وهو أمير على مِصْر .

وإنه لم تكن نَبْوة قطُّ إلاّ تناسخت[1] ، وأنا أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً ، وفي أعين الناس صغيراً .

---

١ تناسخت : تداولت ، تبدلت حالة بعد حالة .

خطبة لعمرو بن سعيد الاشدق

لمّا عقد مُعاويةُ ليزيد البَيعة قام الناس يَخطُبون ، فقال لعمرو بن سَعيد : قُم يا أبا أمية .

فقام فَحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنّ يزيدَ ابنَ مُعاوية أملٌ تأملونه ، وأجل تأمنونه ، إن استَضَفتم إلى حِلمه وَسعكم ، وإن احتجتم إلى رأيه أرْشدكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم .

جَذَع قارِح[1]، سُوبق فَسَبَق، ومُوجد فَمَجُد، وقُورع فقَرع ، فهو خَلَف أمير المؤمنين ولا خَلَف منه .

فقال له معاوية : أوْسعتَ أبا امية ، فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة :

قال أبو الفَضْل العبّاس بن الفَرج الرّياشي : حَدّثنا ابنُ عائشة قال : قدِم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينةَ أميراً ، فخرج إلى مِنبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فَقَعد

---

١ الجذع : الحدث . القارح : الذي كملت أسنانه .

عليه وغمّض عينيه ، وعليه جُبّة خزّ قِرْمِز ، ومُطْرَف خزّ قِرْمِز، وعِمامة خزّ قِرْمِز. فجعل أهلُ المدينة يَنْظرون إلى ثيابه إعجاباً بها .

ففتح عينيه فإذا الناسُ يَنْظرون إليه ، فقال : ما بالُكم يا أهل المدينة ترفَعون إليّ أبصارَكم ، كأنكم تريدون أن تَضْربونا بسيوفكم! أغرّكم أنكم فَعلتم ما فَعلتم فعفَونا عنكم! اما إنه لو اثبتم بالأولى ما كانت الثانية .

أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائرَنا[1] منّا رفيقاً ، قد فني غضبُهُ ، وبقي حِلْمُه ؟

اغتنِموا أنفسَكم فقد والله ملكناكم بالشّباب المُقتبَل ، البعيد الأمل، الطويل الأجل ، حين فرغ من الصّغر ، ودَخل في الكِبر ؛ حليم حديد ، ليّن شديد ؛ رقيق كثيف ، رفيق عنيف ؛ حين اشتدّ عظمه ، واعتدل جسمه؛ ورمى الدهرَ ببصره، واستقبله بأشره ؛ فهو إن عضّ نهس[2] ، وإن سطا فرس[3] ؛

---

١ وافقتم : وجدتم . الثائر : الآخذ بالثأر .

٢ نهس اللحم : اخذه بمقدم اسنانه ونتفه .

٣ فرس الفريسة : دق عنقها .

لا يُقَلْقَل له الحَصَى[١] ، ولا تُقْرَع له العَصا[٢] ، ولا يَمْشي السُّمَّهى[٣] .

قال : فما بَقي بعد ذلك إلا ثلاثَ سنين وثمانيةَ أشهر حتى قَصَمه الله .

وخطبة لعمرو بمكة :

العُتْبيّ قـال : استعمل سعيدُ بن العاص وهو والٍ على المدينة ابنه عمرو بن سَعيد والياً على مكة ، فلما قَدِمَ لم يَلْقه قُرشيّ ولا أمويّ إلاّ أن يكون الحارثَ بن نَوْفل ، فلما لَقيه قال له : يا حارِ ، ما الذي مَنع قومَك أن يَلقوْني كما لقيتَني ؟

قال : ما مَنعهم من ذلك إلا ما استقبلتني به ، والله ما كَنَّيْتني ولا أتْمَمْتَ اسمي ، وإنما أنهاك عن التّكبر على أكفائك ، فإنّ ذلك لا يَرْفعك عليهم ولا يَضَعهم لك .

---

١ لا يقلقل له الحصى : لا تحرك له الحصى . اي انه لا يخدع .

٢ لا تقرع له العصا : لا يخطىء فيرد الى صوابه بقرع العصا ، كما كان يرد الى صوابه ذو الحلم ، اي عامر بن الظرب العدواني حينما شاخ وضعف عقله فاوصى ابنته ان تقرع له العصا حينما يخطىء في حكمه .

٣ السمهى : الباطل والكذب . وجري السمهى : ان يجري المرء الى غير أمر يعرفه .

قال : والله ما أساتَ المَوعظة ولا أتهِمُكَ على النّصيحة، وإنّ الذي رأيتَ مني لَتخلّق .

فلما دَخل مكةَ قام على المِنْبر فَحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، مَعشَرَ أهل مكة ، فإنّا سكنّاها حِقْبة ، وخَرَجنا عنها رَغْبة ، وكذلك كُنّا إذا رُفعت لنا لُهْوة[1] بعد لهوة أخَذْنا أسْناها ونَزَلنا أعلاها .

ثم شَدَخ[2] أمْر بين أمرين، فقَتلنا وقُتِلنا ؛ فوالله ما نَزَعْنا ولا نُزع عنّا ، حتى شَرِب الدّم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقَرع العَظْم عظماً .

فوَلي رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم، برسالة الله إياه ، واختياره له ؛ ثم ولي أبو بكر لسابقتِه وفَضْله ؛ ثم ولي عُمر، ثم أجيلت قِداحٌ نُزعن من شُعب[3] حول نَبْعة[4] ، ففاز بحَظها أصْلَبُها وأعْتقها ، فكنّا بعضَ قداحها .

ثم شَدَخ أمر بين أمرين، فقَتلنا وقُتلنا، فوالله ما نزعنا ولا نُزع عنا، حتى شَرب الدم دماً ، وأكل اللحم لحماً ، وقَرع

---

١ اللهوة : العطية . واراد الولاية .
٢ شدخ : كسر ، والمراد فرّق وباعد .
٣ الشعب ، واحدها شعبة : الأغصان .
٤ النبعة ، واحدة النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه السهام والقسي .

العظم عظماً ، وعاد الحَرامُ حلالاً ، وأسكتَ كلَّ ذي حِسّ عن ضَرب مُهَنّد ، عَرْكاً عَرْكاً ، وعَسْفاً عَسْفاً ، ووَخْزاً ونهْساً ، حتى طابوا عن حقنا نَفساً .

والله ما أعطَوْه عن هَوادة ، ولا رَضُوا فيه بالقضاء ، أصبحوا يقولون : حقُّنا غُلبنا عليه ، فجَزَينا هذا بهذا وهذا في هذا .

يا أهل مكة ، أنفسَكم أنفسَكم ، وسُفهاءكم سُفهاءكم ، فإن معي سوطاً نَكالاً ، وسيفاً وَبالاً ، وكلٌّ مصبوبٌ على أهله .

ثم نزل .

●

خطبة للاحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه: يا معشر الأزد وربيعة، أنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الصهر، وأشقاؤنا في النسب، وجيراننا في الدار، ويدنا على العدو.

والله لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة، ولأزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام، فإن استشرى[1] شنآنكم[2]، وأبى حسد صدوركم، ففي أحلامنا وأموالنا سعة لنا ولكم.

---

١ استشرى: تفاقم.

٢ شنآنكم: بغضكم.

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيباً فقال : اتقوا الله عباد الله ، فكم مُؤمّل أملا لا يَبْلغه ، وجامع مالٍ لا يأكله ، ومانعٍ عمّا سوف يتركه ؛ ولعلّه من باطلٍ جمَعه ، ومن حقٍّ منَعه .

أصابه حراماً ، وأورثه عدوّاً حلالاً ؛ فاحتمل إصرَه[1] ، وباء بوِزره[2] ، وورد على ربّه أسِفاً لهِفاً ، خسِرَ الدُّنيا والآخرة ، ذلك هو الخُسران المُبين .

•

---

١ الاصر : الذنب .
٢ باء بوزره : رجع بذنبه .

خطبة لشداد بن أوس الطائي

حَمِد الله وأثنى عليه وقال : ألاَ إنَّ الدُّنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها البَرُّ والفاجِر .

ألاَ إنَّ الآخرة وَعْدٌ صادق ، يحكم فيها مَلِكٌ قادر .

ألاَ إنَّ الخير كلَّه بحذافيره في الجنـة ؛ ألا إنَّ الشر كلَّه بحذافيره في النار .

فاعملوا مـا عَمِلتم وأنتم في يقين من الله ، واعلموا أنكم مَعروضـة أعمالـكم على الله ، « فمن يَعمل مِثقـالَ ذَرَّة خيراً يَرَه ، ومَن يَعمَل مِثقال ذرَّة شرّاً يَرَه » وغفر الله لنا ولـكم .

خطبة لخالد بن عبد الله القسري

صَعِدَ المِنبر يوم جُمعة وهو والي مكّة فذكر الحَجّاج فأحمد طاعته[1] وأثنى عليه خيراً .

فلمّا كان في الجمعة الثانية وَرد عليه كتابُ سُليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشَتْم الحجّاج وذِكر عيوبه وإظهار البَراءة منه . فصعد المِنبر فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ إبليس كان مَلَكاً من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة تَرى له به فَضلاً ، وكان الله قد علِم من غِشّه وخُبثه ما خَفِي على ملائكته ، فلمّا أراد الله فضيحته ابتلاه بالسُّجود لآدم ، فظَهر لهم ما كان يُخفيه عنهم ، فلعنوه .

وإنّ الحجّاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كُنّا نَرى له به فَضلاً ، وكان الله قد أطْلعَ أميرَ المؤمنين من غِشّه وخُبثه على ما خَفِيَ عنّا ، فلمّا أراد فضيحته أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، فالعنوه ، لَعنه الله .

---

١ أحمد طاعته : عدّها محمودة .

خطبة لمصعب بن الزبير

قَدِم العراق فصَعِد المنبر ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم « طسم ، تلكَ آياتُ الكتاب المُبين ، نَتلو عليك من نبأ موسى وفرعونَ بالحقّ لقوم يؤمنون . إنّ فرعون علا في الأرض وجعَل أهلَها شِيَعاً يَستضعِفُ طائفةً منهم ، يُذبّحُ أبناءَهم ويَستحيي نساءَهم إنّه كان من المُفسدين . »

وأشار بيده نحو الشام « ونُريد أن نَمُنّ على الذين استُضعِفوا في الأرض ونجعلَهم أئمّةً ونجعلَهم الوارثين . »

وأشار بيده نحو الحجاز « ونُمكّن لهم في الأرض ونُريَ فرعون وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يَحذَرون » وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

قال : إني والله ما وجدتُ مَثَلي ومَثَلكم إلاّ الضبُعَ والثعلب ، أتيا الضبّ في جُحْره ، فقالا : أبا حِسْل .

قال : أجَبتكما .

قالا : جئناك نَختَصم .

قال : في بيته يُؤتى الحَكَم .

قالت الضَّبعُ : فتحتُ عيني .

قال : فِعْلَ النساء فعَلْتِ .

قالت : فلقطتُ تَمْرة .

قال : حُلواً اجتَنيتِ .

قالت : فاختطَفها ثُعالة .

قال : لنفسه بَغى الخير .

قالت : فلطمتُه لطمة .

قال : حقّاً قضَيتِ .

قالت : فلطمني أخرى .

قال : كان حرّاً فانتصر .

قالت : فاقضِ الآن بيننا .

قال : حدّث امرأة حديثين، فإن أبَت فاربع ، أي اسكت.

خطبة شبيب بن شيبة

قيل لبعض الخلفاء : إنّ شَبيب بن شيبة يَستعمل الكلام ويَستعدّ له ، فإن أمرته أن يَصعد المِنبر لرجوتَ أن يَفتضِح .

قال : فأمر رسولاً فأخذ بيده الى المسجد فلم يُفارقه حتى صعد المنبر ، فحَمد الله وأثنى عليه وصلى على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، حق الصلاة عليه ، ثم قال : ألا إنّ لأميرِ المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسَد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر .

فأمّا الأسد الخادر ، فأشبه منه صَولتَه ومَضاءه ؛ وأمّا البحر الزاخر ، فأشبه منه جودَه وعطاءه ؛ وأمّا القمر الباهر ، فأشبه منه نورَه وضياءه ؛ وأمّا الربيع الناضر ، فأشبهَ منه حُسنه وبهاءه .

ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

ومَوقفٍ مثلِ حَدّ السيف قمتُ به ،
أحمي الذّمار وتَرميني به الحَدَقُ

فما زَلِقتُ ، وما ألقيتُ كاذبةً ،
إذا الرجالُ ، على أمثاله ، زَلِقوا

خطبة لعتبة بن أبي سفيان

بلغه عن أهل مِصر شيءٌ فأغضبه ، فقام فيهم فقال بعد أن حَمِد الله وأثنى عليه : يا أهل مصر، إيّاكم أن تكونوا للسيف حَصيداً ، فإنّ لله فيكم ذبيحاً بعُثمان ، أرجو أن يُولّيني الله نُسْكه[1] .

إنّ الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفُرقة ، فأعطى كلّ ذي حق حقّه، وكان والله أذكرَكم إذا ذُكِّر بخُطّة ، وأصفحكم بعد المَقدرة عن حقّه ؛ نعمةً من الله فيكم ، ومِنّةً منه عليكم .

وقد بلغنا عنكم نَجمُ قولٍ[2] أظهره تقدّمُ عَفوٍ مِنّا ، فلا تَصيروا الى وَحشة الباطل بعد أُنس الحق ، بإحياء الفتن ، وإماتة السُّنَن ، فأطأكم والله وَطأةً لا رَمَق معها ، حتى تُنكروا منّي ما كنتم تعرفون ، وتَستخشنوا ما كنتم تَستلينون ، وأنا أُشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصُّدور .

---

١ النسك : الدم .
٢ نجم قول : أي بادرة من كلام .

وخطبة لعتبة بن أبي سفيان :

يا حاملي ألأمِ أنوف رُكّبت بين أعين ، إنما قلّمتُ أظفاري عنكم ليَلين مَسّي إيّاكم ، وسألتُكم صلاحكم إذ كان فسادُكم راجعاً عليكم ، فأمّا إذ أبيتُم إلاّ الطّعن على الوُلاة ، والتنقُّص للسّلف ، فوالله لأقطّعن على ظُهوركم بُطون السّياط ، فإن حسمتْ داءكم ، وإلاّ فالسيفُ من ورائكم .

ولستُ أبخل عليكم بالعقُوبة إذا جُدتم لنا بالمعصية ، ولا أُوْيسكم من مُراجعة الحُسنى إن صِرتم الى التي هي أبرُّ وأتقى .

وخطبة لعتبة بن أبي سفيان :

لمّا اشتكى شكاته التي مات فيها تحامل الى المِنبر ، فقال : يا أهل مِصر ، لا غِنى عن الربّ ، ولا مَهرَب من ذنب . إنّه قد تقدّمت منّي إليكم عُقوباتٌ كنت أرجو يومئذ الأجرَ فيها ، وأنا أخافُ اليوم الوِزْر منها ، فليتني لا أكونُ اخترتُ دُنياي على معادي ، فأصلحتكم بفسادي .

وأنا أستغفر الله منكم ، وأتوب إليه فيكم ، فقد خِفتُ ما كنتُ أرجو نفعاً عليه ، ورجوتُ ما كنتُ أخافُ اغتيالاً

به ، وقد شقي مَن هلك بين رحمة الله وعقوبته ، والسلامُ عليكم سلامَ من لا ترَونه عائداً إليكم .

قال : فلم يَعُد .

وخطبة لعتبة :

العُتبيّ : قال سعد القَصر : احتبست عنّا كُتبُ معاوية ابن أبي سُفيان حتى أرجف أهلُ مِصرَ بموتِه ، ثمّ قَدِمَ علينا كتابُه بسلامته ، فصَعِد عُتبةُ المِنبر والكتابُ في يده ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : يا أهل مصر ، قد طالت مُعاتبتنا إيّاكم بأطراف الرِّماح ، وظُبات السُّيوف ، حتى صِرنا شَجًى في لَهَواتكم ما تُسيغه حُلوقُكم ، وأقذاءً في أعينكم ما تَطرِف عليها جفونُكم .

أفحِين اشتدَّت عُرى الحق عليكم عقداً ، واسترخت عُقَد الباطل عنكم حَلاً ، أرجفتم بالخليفة ، وأردتم تَهوين الخِلافة ، وخُضتم الحقّ الى الباطل ، وأقدمُ عَهدكم به حديث .

فاربحوا أنفُسَكم إذ خسِرتم دينَكم ، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبرِ السارّ عنه والعهد القريب منه ، واعلموا أنّ سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ، فأصلحوا لنا ما ظَهر ونَكِلُكم الى الله فيما بَطَن ، وأظهروا خيراً وإن أضمرتم شرّاً ؛ فإنكم

حاصدون ما أنتم زارعون ، وعلى الله أتوكل وبه أستعين .

ثم نزل .

وخطبة لعتبة في الموسم :

سعد القَصر مولى عُتبة بن أبي سُفيان قال : دَفع عُتبة ابن أبي سُفيان بالمَوسم سنة إحدى وأربعين ، والناسُ حديثٌ عهدُهم بالفِتنة ، فقال بعد أن حَمد الله وأثنى عليه : إنّا قد وَلينا هذا المَقام الذي يضاعف الله فيه للمُحسنين الأجر ، وللمُسيئين الوِزْر ، ونحن على طريق ما قَصَدْنا له ؛ فلا تَمدُّوا الأعناق الى غيرنا ، فإنها تَنقطع من دوننا ، ورُبَّ مُتمنٍّ ، حَتفُه في أمنيَّته .

اقبلوا ما قَبِلنا العافية فيكم وقَبِلناها منكم ، وإيّاكم ولَو ، فإن لو قد أتعبت مَن قبلكم ولم تُرح مَن بعدكم ، فأسأل اللهَ أن يُعين كلاً على كل .

فناداه أعرابيّ من ناحية المسجد : أيها الخليفة ؛ قال : لستُ به ولم تُبْعِد ، فقال : يا أخله .

فقال : سمعتُ فقُل .

فقال : والله لأن تُحسنوا وقد أسأنا خيرٌ لكم من أن

تُسيئوا وقد أحسنّا ، فإن كان الاحسان لكم فما أحقّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقّكم بمُكافأتنا .

رجل من بني عامر بن صَعْصعة يتلقّاكم بالعُمومة ، ويَختص إليكم بالخُؤولة ، وقد كثُر عياله ، ووطئه زمانُه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال عتبة : أستغفر الله منكم ، وأسأله العون عليكم ، وقد أمرت لك بغِناك ، فليتَ إسراعَنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وخطبة لعتبة :

سعد القصر قال : وجّه عُتبة بن أبي سُفيان ابنَ أخي أبي الأعور السُّلميّ الى مصر ، فمنعوه الخراج ، فقدم عليه عُتبة فقام خطيباً فقال : يا أهل مصر ، قد كنتم تَعتذرون لبعض المَنْع منكم ببَعض الجَور عليكم ، فقد وَليكم مَن يقول ويَفعل ، ويَفعل ويقول ، فإن رَدَدتم ردّكم بيده ، وإن استصعبتم ردّكم بسَيفه ، ثمّ رجا في الآخِر ما أمّل في الأوّل .

إنّ البَيعة مُشايعة[1] ، فلنا عليكم السَّمْعُ والطاعةُ ، ولكم علينا العَدل ، فأيُّنا غَدر فلا ذمّة له عند صاحبه ، والله ما انطلقتْ بها ألسنتُنا حتى عُقدت عليها قلوبُنا ، ولا طَلبناها

---

١ المشايعة : المتابعة .

منكم حتى بذلناها لكم ناجزاً بناجز ، ومن حذَّر كمن بَشَّر .

قال : فنادوه : سمعاً وطاعة .

فناداهم : عدلاً عدلاً .

وخطبة لعتبة :

قَدِمَ كتابُ معاوية الى عُتبة بمصر : إنَّ قِبلك قوماً يَطعنون على الوُلاة ويَعيبون السَّلف .

فخَطبهم فقال : يا أهل مصر ، خَفَّ على ألسنتكم مَدْحُ الحقّ ولا تفعلونه ، وذمُّ الباطل وأنتم تأتونه ، كالحمار يَحمل أسفاراً ، أثقلَه حَمْلُها ، ولم يَنفعه عِلمُها .

وايم الله ، لا أداويكم بالسيف ما صَلَحتم على السَّوط ، ولا أبلغ بالسوط ما كَفَتني الدِّرَّة ، ولا أبطىء عن الأولى ما لم تُسرعوا الى الأخرى ، فالزموا ما أمركم الله به تَستوجبوا ما فَرض الله لكم علينا .

وإيَّاكم وقال ويقول ، قبل أن يُقال فَعل ويَفعل ، وكونوا خَير قَوسٍ سَهماً ، فهذا اليوم الذي ليس قَبلَه عِقاب ، ولا بعده عِتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطري بن الفجاءة في ذم الدنيا

صَعِد قطريّ بن الفُجَاءة مِنبر الأزارقة ، وهو أحد بني مازن بن عمرو بن تميم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني أحَذّركم الدُّنيا ، فإنها حُلوة خَضِرة ، حُفَّت بالشّهوات ، وراقت بالقليل ، وتحبّبت بالعاجلة ، وعُمِرت بالآمال ، وتَحلّت بالأماني ، وازّيّنت بالغرور ، لا تَدُوم خُضْرتها ، ولا تُؤمَن فَجْعتها ، غَدّارة ضَرّارة ، وحائلة زائلة ، ونافدة بائدة ، لا تَعْدو إذا هي تَناهت إلى أمنية أهل الرغْبة فيها والرّضا عنها أن تكون كما قال الله عزّ وجلّ : « كماءٍ أنزَلناه من السّماء فاختلط به نباتُ الأرْض فأصْبَح هَشِيماً تَذروه الرّياح وكانَ الله على كلّ شيءٍ مُقتدراً . »

مع أنّ امرأً لم يكن منها في حَبْرة إلا أعقَبته بعدها عَبرة ، ولم يَلْقَ من سَرّائها بطناً إلا مَنحته من ضَرّائها

ظَهْراً ، ولم تَطُلّه منها دِيمة رَخاء إلا هَطلت عليه مُزْنة بَلاء .

وحَرِيٌّ إذا أصبحتْ له مُنتصرة أنْ تُمسي له خاذلة مُتنكّرة ، وإنْ جانبٌ منها اعذوذب واحلولى ، أمرّ عليه منها جانب فأوبى ، وإن لَبِس امرؤ من غَضارتها ورفاهيتها نعماً، أرهَقَتْه من نوائبها غمّاً ، ولم يُمسِ امرؤ منها في جَناح أمْن ، إلا أصْبح منها على قوادم خَوف .

غرّارة غرور ما فيها ، فانية فانٍ ما عليها، لا خيرَ في شيء من زادها إلا التّقوى ، مَن أقلّ منها استكثر بما يؤمّنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه .

كم واثق بها قد فَجعَته ، وذي طُمَأنينة إليها قد صَرَعَته ، وكم من ذي اختيال فيها قد خَدَعَته ، وكم من ذي أُبّهة فيها قد صَيّرته حَقيراً ، وذي نَخوَة فيها قد رَدّته ذليلاً ، وذي تاجٍ قد كَبّتْه لليدين والفم .

سُلطانها دُوَل ، وعيشها رَنِق ، وعذْبُها أُجاج[1] ، وحُلوها مُرّ ، وغِذاؤها سِمام ، وأسبابها رِمام[2] ، وقِطافها سَلَع[3] .

---

١ الاجاج : المتغير الطعم .

٢ رمام : بالية .

٣ السلع : شجر مر ، وهو أيضاً ضرب من الصبر .

حيُّها بعَرَض موت ، وصَحيحها بعَرَض سُقْم ، ومَنيعها بعَرَض اهتضام . مَليكها مَسلوب ، وعزيزها مَغلوب ، وصحيحها وسَليمها مَنكوب ، وحائزها وجامعُها محروب ، مع أنّ مِن وراء ذلك سَكرات الموت وزَفراته ، وهَول المُطّلع ، والوقوف بين يَدي الحَكَم العَدْل ، ليَجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويَجزيَ الذين أحسنوا بالحُسنى .

ألستم في مساكن مَن كان منكم أطولَ أعماراً ، وأوضَح آثاراً ، وأعدّ عديداً ، وأكثَفَ جُنوداً ، وأعنَدَ عَناداً ، وأطول عِماداً ! تعَبّدوا للدُّنيا أيّ تعَبُّد ، وآثروها أيّ إيثار ، وظَعنوا عنها بالكُرْه والصَّغار ! فهل بَلَغكم أنّ الدُّنيا سَمَحَت لهم نَفساً بفِديةٍ ، وأغنَت عنهم فيما قد أمْلتهم به بخَطب ! بل أثقلتهم بالفَوادح ، وضَعضَعتهم بالنوائب ، وعفّرتهم للمناخر ، وأعانَت عليهم رَيبَ المَنون ، وأرهقَتهم بالمصائب .

وقد رأيتم تنكُّرها لمن دانَ لها وآثرها وأخلَد إليها ، حتى ظَعَنوا عنها لفِراق الأبد ، إلى آخرِ الأمَد .

هل زوّدَتهم إلا الشقاء ، وأحلّتهم إلا الضَّنك ، أو نوّرَت لهم إلا بالظلمة ، وأعقَبتهم إلا النّدامة !

أفهـذه تُؤْثِرون ، أوَعـلى هذه تَحْرصون ، أو إليهـا تَطمَئِنُّون !

يقول الله تبـارك وتعالى : « مَن كان يُريد الحياة الدُّنيـا وزينَتها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيهـا لا يُبْخَسون . أُولئك الذين ليس لهم في الآخِرة إلا النّارُ وحَبِطَ ما صَنَعوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يَعْمَلون . »

فبئست الدّار لمن لم يتّهمْها ، ولم يكن فيها على وَجَل منها .

اعلموا ، وأنتم تعلمون ، أنكم تاركوها لا بُدَّ ، فإنما هي كما نَعَتَ الله عزَّ وجلَّ : « لَعِبٌ ولَهْوٌ وزينَـةٌ وتَفاخُرٌ بينكم وتَـكاثُرٌ في الأموال والأولاد » ، فاتّعِظوا فيهـا بالذين قال الله تعـالى فيهم : « أتَبْنُون بكلِّ رِيـعٍ آيةً تَعبثون . وتَتّخِذون مَصانع لَعلّكم تَخلُدون » وبالذين قالوا : « مَن أشدُّ مِنا قوّةً . »

واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حُمِلوا إلى قبورهم فلا يُدْعون رُكْباناً ، وأُنزلوا الأجداث فلا يُدْعون ضيفـاناً ، وجُعِل لهم من الضَّريح أكنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرُّفات جِيران ، فهم جيرةٌ لا يُجيبون داعِياً ، ولا يمنعون ضيماً . إن أخصَبوا لم يَفرحوا ، وإن قَحِطوا لم يَقنَطوا ، جَمعٌ وهم آحاد ، جيرَةٌ وهم أبعاد ، مُتَناؤون يُزارون ولا يزورون ،

حُلماء قد ذَهَبت أضغانُهم ، وجهلاء قـد ماتت أحقادُهم ، لا يُخشى فَجعهم ، ولا يُرجى دَفعهم ، وهم كمن لم يكن .

قال الله تعالى : « فتلك مَسا كنهم لم تُسكَنْ مِن بَعدِهِم إلاَّ قليلا وكُنّا نحن الوارثين . »

استبـدلوا بظَهر الأرض بطنـاً ، وبالسَّعة ضيقاً ، وبالآل غُربة ، وبالنُّور ظُلمة ، فجاءوها حُفاةً عُراةً فُرادى ، غير أنْ ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة ، إلى خُلود الأبد .

يقول الله تبارك وتعالى : « كما بَدَأنا أوَّلَ خَلقٍ نُعيدُه وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين . » فاحذروا مـا حذَّركم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحَبلِهِ ، عَصَمنا الله وإياكم بطاعته ، ورزَقنا وإيّاكم أداء حقه .

ثم نزل .

خطبة لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشاري بمكة ، فصَعِدَ المِنبر مُتوكئاً على قوس عربية، فخَطب خُطبة طويلة ، ثم قال: يا أهل مكة، تُعيّرونني بأصحابي ، تَزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً! نعم الشباب مُكتهلين، عَمِيَةٌ عن الشرّ أعينُهم ، بَطيئة عن الباطل أرجلُهم .

قد نظر الله إليهم في آناء الليل مُنثنية أصلابهم بمثاني القرآن، إذا مرّ أحدُهم بآية فيها ذِكر الجنّة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بآية فيها ذِكر النار شَهَق شهقة كأن زَفير جهنم في أذُنيه .

قد وَصلوا كَلالَ ليلهم بكلال نهارهم ، أنْضاء عِبادة ، قد أكَلَت الأرضُ جباهَهم وأيديَهم ورُكبهم . مُصفَرّة ألوانُهم ، ناحلة أجسامُهم ، من كثرة الصّيام ، وطول القِيام، مُستَقِلون لذلك في جَنبِ الله، مُوفون بعهد الله، مستنجزون لوعد الله .

إذا رأوا سِهام العدوّ قد فُوّقَت ، ورِماحه قد أُشرعت، وسُيوفه قد انتُضِيَت ، وبَرَقَت الكتيبة ورَعَدت بصواعق

الموت ، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعد الله ، فمضى الشاب منهم قُدماً حتى تختلفَ رِجلاه على عُنق فرسه، قد رُمِّلت[1] محاسنُ وجهه بالدّماء ، وعُفّر جَبينُه بالثّرى ، وأسرع إليه سِباعُ الارض ، وانحطّت عليه طيرُ السّماء .

فكم من مُقلة في مِنقار طائر ، طالما بكى صاحبُها من خشيَة الله ؛ وكم من كفّ بانت عن مِعصَمها ، طالما اعتمد عليها صاحبُها في سُجوده ؛ وكم من خدّ عتيق ، وجبين رَقيق ، قد فُلِق بعمَد الحديد .

رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها في الجِنان .

ثم قال: الناس منّا ونحن منهم إلا عابدَ وثَن ، أو كفرةَ أهلِ الكتاب ، أو إماماً جائراً ، أو شادّاً على عَضُده[2] .

وخطبة لأبي حمزة بالمدينة :

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة خطبة شكّك فيها المستبصر وردّت المُرتاب، قال: أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعَمل بكتابه وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ،

---

١ رملت : لطخت .

٢ شد على عضده : اعانه وقوّاه .

وصِلة الرَّحم ، وتَعظيم مـا صَغـَّرت الجبـابرة من حق الله ، وتَصغير ما عَظـَّمت من الباطل ، وإماتة ما أحيوا من الجَور ، وإحياء ما أماتوا من الحُقوق ، وأنْ يُطاع الله ويُعصى العبادُ في طاعته ، فالطاعةُ لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعـةَ لمخلوق في مَعصية الخالق .

نَدعوكم إلى كتـاب الله وسُنـّة نبيـّـه ، والقَسْم بالسوية ، والعَدل في الرَّعيـة ، ووَضع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها .

وإنـّا والله ما خرجنا أشَراً ولا بَطَـراً ولا لهواً ولا لـَعِباً ، ولا لدَولة مُلـْك نريد أن نَخوض فيه ، ولا لثأرٍ قد نِيل منّا ؛ ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجَور قد ظهرت ، وكثر الادعاء في الدّين ، وعُمل بالهوى ، وعُطـّلت الأحكام ، وقـُتل القائم بالقِسط ، وعُنـّف القائل بالحق ، وسمعنا مُناديـاً ينادي إلى الحق والى طريقٍ مُستقيم ، فأجَبْنا داعيَ الله ، فأقبلنا من قبائل شتـّى ، قليلـين مُستضعفين في الارض ، فآوانا الله وأيـّدَنا بنَصره ، فأصبحنا بنعمته إخواناً ، وعلى الدّين اعواناً .

يا أهل المدينة ، أوّلـُكم خير أوّل ، وآخِركم شرّ آخر ، إنكم أطعتم قـُرّاءكم وفقهاءكم فاختـانوكم عن كِتاب غير ذي

عوَج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المُبطلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتاً غيرَ أحياء وما تشعرون .

يا أهل المدينة ، يا أبناء المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوها بإحسان، ما أصحّ أصلَكم ، وأسقم فرعَكم ! كان آباؤكم أهلَ اليقين وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ، وأنتم أهلُ الضلالة والجهالة ، استعبدتكم الدُّنيا فأذلَّتكم ، والأمانيُّ فأضلَّتكم ، فتح الله لكم بابَ الدين فأفسدتموه ، وأغلق عنكم باب الدُّنيا ففتحتموه ، سِراعٌ إلى الفتنة ، بطاء عن السُّنَّة ، عُميٌ عن البُرهان ، صُمٌّ عن العرفان ، عَبيد الطَّمع ، حُلفاء الجزَع .

نِعمَ ما ورَّثكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس ما تورِّثون أبناءكم إنْ تمسَّكوا به .

نصرَ الله آباءكم على الحق ، وخذَلكم على الباطل .

كان عدد آبائكم قليلاً طيِّباً ، وعددكم كثيرٌ خبيث .

اتَّبعتم الهوى فأرْداكم، واللَّهو فأسهاكم، ومواعظُ القرآن تزجركم فلا تزدجرون ، وتُعبِّركم فلا تعتبرون .

سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء فقلتم: والله ما فيهم الذي يَعدل، أخذوا المال من غير حِلّه فوضعوه في غير حقّه ، وجارُوا في

الحُكم فحكَموا بغير ما أنزَلَ الله ، واستأثروا بفَيئنا فجَعلوه دُولةً بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مَقاسِمَنا وحقوقنا في مُهور النساء .

وقلنا لكم : تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجارُوا في الحُكم فحكَموا بغير ما أنزل الله ، فقلتم : لا نقْوى على ذلك ، وَوَدِدْنا أنَّا أصبنا مَن يكفينا ، فقُلنا : نحنْ نكفيكم ، ثم الله راعٍ علينا وعليكم ، إن ظَفِرْنا لنُعطين كلَّ ذي حقٍّ حقه .

فَجئنا فاتقينا الرِّماح بصُدورنا ، والسُّيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله ! فوالله لو قلتم : لا نَعرف الذي تقول ولا نَعلمه ، لكان أعذرَ ، مع أنه لا عُذْرَ للجاهل .

ولكنْ أبى الله إلا أن يَنطق بالحق على ألسِنتكم ويأخُذَكم به في الآخرة .

ثم قال : النّاس منّا ونحن منهم إلا ثلاثة : حاكماً جاء بغير ما أنزَل الله ، أو مُتبعاً له ، أو راضياً بعمله .

أسقطنا من هذه الخطبة ما كان من طَعْنه على الخلفاء ؛ فإنه طعن فيها على عثمان وعليّ بن أبي طالب ، رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز . ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر

وعمر ، وكفّر مَن بعدهما ، فلعنةُ الله عليه. إلا أنه ذكر من الخُلفاء رجلًا أصغى إلى المَلاهي والمعازف ، وأضاع أمر الرعيّة ، فقال :

كان فلان بن فلان[1] من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مُضَيِّع للدين والدنيا .

اشترى له بُرْدَين بألف دينار ، اتّزَرَ بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعَدَ حَبابة عن يمينه وسَلاّمة عن يساره ، فقال : يا حَبابة غَنّيني ويا سَلاّمة اسقيني ، فإذا امتلأ سُكراً أو ازدهى طَرباً شَقّ ثوبيه وقال : ألا أطير ؟ فطَيَّر إلى النار وبئس المَصير . فهذه صفة خلفاء الله تعالى !

وخطبة لأبي حمزة :

أما بعد ، فإنك في ناشىء فِتنة ، وقائم ضلالة ، قد طال جُثومها ، واشتدت عليك هُمومها ، وتلوّنت مصايد عدوّ الله منها وما نَصَبَ من الشَّرَك لأهل الغَفْلة عمّا في عواقبها . فلن يَهُدّ عمودَها ، ولن يَنزِع أوتادها ، إلا الذي بيده مُلك الأشياء ، وهو الرّحمن الرحيم .

---

١ يريد يزيد بن عبد الملك .

ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيَّروا في ظُلَمِها ، ولم يُشايعوا أهلها على شُبهها ، مصابيحُ النور في أفواهِهم تزهو ، وألسنتهم بحُجَج الكتاب تنطق ، رَكِبوا مَنهج السَّبيل ، وقاموا على العلم الأعظم .

هم خُصماء الشيطان الرَّجيم، بهم يُصْلح الله البلاد ، ويَدفع عن العباد .

طوبى لهم وللمُستصبحين بنورهم، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من ارتج عليه في خطبته

أول خُطبة خطبها عثمان بن عفّان أُرتج عليه ، فقال : أيها الناس ، إنّ أوّلَ كل مَركب صعب ، وإن أعِش تأتِكم الخُطب على وجهها ، وسيَجعَلُ اللهُ بعد عُسْر يسراً إن شاء الله .

•

ولما قَدِم يزيد بن أبي سفيان الشام والياً عليها لأبي بكر ، خَطب الناسَ فأرتج عليه ، فعاد إلى حمد الله ، ثم أرتج عليه ، فعاد الى الحمد ، ثم أُرتج عليه ، فقال : يا أهل الشام، عسى الله أن يجعل بعد عسر يُسْراً ، وبعد عِيّ بياناً ، وأنتم إلى إمامٍ فاعلٍ أحوَجُ منكم إلى إمام قائل .

ثم نزل . فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

•

صعد ثابت قُطنة مِنبر سجِستان ، فقال : الحمد لله ، ثم أُرتج عليه ، فنزل وهو يقول :

فإن لا أكُنْ فيهم خَطيباً ، فإنني
بسَيفي ، إذا جدّ الوَغى ، لَخَطيبُ

فقيل له : لو قلتها فوق المِنبر لكنتَ أخطبَ الناس .

•

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما وَليَ فَحَصِر ، فقال : أيها الناس ، إني كنتُ أعددتُ مقالاً أقوم به فيكم فَحُجبت عنه ، فإن الله يحول بين المرء وقلبه ، كما قال في كتابه ، وأنتم إلى إمام عَدْل أحوجُ منكم إلى إمام خَطيب ، وإني آمُركم بما أمر الله به ورسولُه ، وأنهاكم عما نهاكم الله ورسوله ، وأستغفر الله لي ولكم .

•

وصعدَ خالد بن عبد الله القَسْريّ المِنبر ، فأرتج عليه ، فمكثَ ملياً لا يتكلم ، ثم تهيَّأ له الكلام فتكلم فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يجيء أحياناً ، ويَعزُب أحياناً ، فيسبح عند مجيئه سَيْبُه ، ويعزّ عند عُزوبه طَلبه ، ولرُبما كوبر فأبى ، وعُولج فنَأى ، فالتأنّي لمجيئه خيرٌ من التعاطي لأبيِّه ، وتركه عند تنكّره أفضلُ من طَلبه عند تعذّره ، وقد يُرتَج على البليغ

لسانه ، ويَختَلج من الجَري جَنانـه ، وسأعود فأقول إنْ شاء الله .

•

صَعِدَ أبو العَنبَس مِنبراً من مَنابر الطائف ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أُريد أن أقول لـكم ؟

قالوا : لا .

قال : فما ينفعكم ما اريد أن أقول لـكم ! ثم نزل .

فلما كان في الجُمعة الثانية صَعِد المنبر وقال : أما بعـد ، فأرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أُريد أن أقول لـكم ؟

قالوا : نعم .

قال : فما حاجتُكم إلى أن أقول لـكم ما عَلِمتم !

ثم نزل . فلما كانت الجُمعة الثالثة قال : أما بعد ، فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أُريد أن أقول لـكم ؟

قالوا : بعضُنا يدري وبعضنا لا يدري ؛ قال : فليُخبِر الذي يدري منـكم الذي لا يدري .

ثم نزل .

•

وأتى رجلٌ من بني هاشم اليمامةَ ، فلما صَعِـد المِنبر أرتج

عليه ، فقال : حيّا الله هذه الوجوهَ وجَعلني فِداها ، قد أمرتُ طائفي بالليل أن لا يرى أحداً إلا أتاني به، وإن كنتُ أنا هو. ثم نزل .

•

وكان خالدُ بن عبد الله إذا تكلّم يَظنُّ الناس أنه يَصنع الكلام لعُذوبة لفظه وبلاغة مَنطقه ، فبينا هو يخطُب يوماً إذ وَقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سُبحان مَن الجرادُ مِن خلقه ، أدمج قوائمها وطَرفها وجَناحيها ، وسَلّطها على مَن هو أعظم منها .

•

خَطبَ عبد الله بن عامر بالبصرة في يوم أضحى، فأرتج عليه، فمكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عِيّاً ولُؤماً ، من أخذ شاةً من السُّوق فهي له وثمنها عليّ .

•

قيل لعبد الملك بن مَروان : عجّل عليك المَشيب يا أميرَ المؤمنين .

فقال : كيف لا يُعجّل وأنا أعرِض عقلي على الناس في كلّ جُمعة مرّةً أو مرّتين !

خطب النكاح*

خطبة نكاح :

خَطب عثمانُ بن عَنبسة بن أبي سُفيان الى عُتبة بن أبي سفيان ابنته . فأقعده على فَخذه ، وكان حَدَثاً ، فقال : أقربُ قريب خَطب أحبُّ حبيب ، لا أستطيع له رَدّاً ، ولا أجد من إسعافه بُدّاً ، قد زوّجتُكها وأنت أعزُّ عليَّ منها ، وهي ألصَق بقلبي منك ، فأكرِمها يعذُب على لساني ذِكرُك ، ولا تُهِنْها فيَصغُرَ عندي قَدرُك ، وقد قرّبتُك مع قُربك ، فلا تُبعد قلبي من قلبك .

وخطبة نكاح :

العُتبيّ قال : زوّج شبيب بن شَيبة ابنه بنتَ سوّار القاضي ، فقلنا : اليومَ يَعُبُّ عُبابه . فلمّا اجتمعوا ، تكلّم فقال : الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله . أما بعد ، فإنّ المعرفة منّا ومنكم وبنا وبكم تَمنعنا من الإكثار ، وإنّ فلاناً ذكر فلانة .

---

* النكاح : عقد الزواج .

وخطبة نكاح :

العُتبي قال : كان الحَسَن البصري يقول في خُطبة النِّكاح بعد الحمد لله والثناء عليه : أمَّا بعد ، فإنَّ الله جمع بهذا النِّكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرِّقة ، وجعَل ذلك في سُنَّة من دينه ، ومنهاج من أمرِه . وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يَبذل من الصداق كذا ، فاستخيروا الله ورُدُّوا خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح :

العُتبي قال : حَضرتُ ابن الفقيْر خطب على نفسِه امرأةً من باهلة فقال : وما حَسَنٌ أن يمدَحَ المرءُ نفسَه ، ولكنَّ أخلاقاً تُذَمُّ وتُمدَحُ وإنَّ فلانة ذُكِرت لي .

وخطبة نكاح :

العُتبي قال : يُستَحَب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تقصيره . فخَطب محمدُ بن الوليد الى عمر بن عبد العزيز أختَه ، فتكلَّم محمد بكلام طويل . فأجابه عمر : الحمد لله ذي الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أمَّا بعد ، فإنَّ الرَّغبة منك دَعتْك إلينا ، والرَّغبة فيك أجابتك منَّا ، وقد أحسنَ بك ظنَّاً مَن أودعك كريمَته ، واختارك ولم يختر عليك ، وقد

زوّجتكها على كتاب الله، إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان .

وخطبة نكاح :

خطب بلالٌ الى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال : أنا بلال وهذا أخي : كنّا ضالّين فهدانا الله، عبدين فاعتقنا الله، فقيرين فأغنانا الله؛ فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن تردّونا فالمستعان الله .

وقال عبدُ الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زوّجك أميرُ المؤمنين ابنته فاطمة .

قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيراً ، فقد أجزلت العطيّة وكفيت المسألة .

نكاح العبد :

الأصمعيّ قال : زوّج خالدُ بن صفوان عبدَه من أمته ، فقال له العبد : لو دعوتَ الناس وخطبت !

قال : ادعهم أنت .

فدعاهم العبد، فلمّا اجتمعوا، تكلّم خالد بن صفوان ، فقال : إنّ الله أعظم وأجلّ من أن يُذكر في نِكاح هذين الكلبين ، وأنا أشهدكم أني زوّجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية .

خطب الاعراب

الأصمعيّ قال: خطبَ اعرابي فقال: أما بعد، فإن الدُّنيا دار ممرّ، والآخرة دار مَقرّ، فخُذوا من مَمرّكم لمَقرّكم، ولا تهتكوا أستارَكم عند من لا تخفى عليه أسرارُكم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان تخرج منها أبدانكم، ففيها حَييتم، ولغيرها خُلقتم.

اليومَ عمل بلا حساب، وغداً حسابٌ بلا عمل. إنّ الرجل اذا هَلك قال الناس: ما تَرك؟ وقالت الملائكة: ما قدّم؟ فقدّموا بعضاً، يكون لكم فرضاً، ولا تتركوا كُلاًّ، فيكون عليكم كَلاًّ.

أقول قولي هذا والمحمود الله، والمُصلّى عليه محمد، والمدعوُّ له الخليفة، ثم إمامُكم جَعفر، قوموا الى صلاتكم.

وخطبة لاعرابي:

الحمدلله الحميد المُستحمد، وصلى الله على النبي محمد، أما بعد، فان التعمّق في ارتجال الخُطب لَمُمكن، والكلامَ لا يَنثني حتى يُنثنى عنه، والله تبارك وتعالى لا يُدرك واصفٌ كُنهَ صفته،

ولا يبلغ خطيب منتهى مِدحته ، له الحمدُ كما مَدح نفسه ، فانهضوا الى صلاتكم .

ثم نزل فصلى .

خطبة اعرابي لقومه :

الحمد لله، وصلى الله على النبيّ المصطفى وعلى جميع الانبياء. ما أقبحَ بمثلي أن يَنهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشيء ويجتنبه ، وقد قال الاول :

ودَعْ ما لُمتَ صاحبَه عليه ،
فذَمٌ ان يلومك من تَلومُ

ألهمنا الله وإياكم تقواه ، والعملَ برضاه .

•

وفي الأم زيادةٌ من غير أصلها ، فأوردتها كهيئتها ، وهي خُطبة لعلي كرّم الله وجهه أوردت في هذه المُجتَبة تِلو خطبة المأمون يوم عيد الفطر :

جاء رجل الى عليّ كرّم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين، صِفْ لنا ربنا لنزداد له محبّة، وبه معرفة . فغضب عليٌّ كرّم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاةُ جامعة .

فاجتمع الناسُ اليه حتى غصّ المسجد باهله ، ثم صَعِد المنبر وهو مُغضَب مُتغيِّر اللون، فحَمد الله وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم صلى على النبيّ، صلى الله عليه وسلم، ثم قال : الحمد لله الذي لا يَعُزّه المَنع،ولا يُكديه الاعطاء،بل كل مُعطٍ يَنقص سواه، هو المنّان بفرائد النِّعم ، وعَوائد المَزيد ، وبجوده ضمِنت عيالةُ الخلق ، ونُهِج سبيلُ الطلب للراغبين اليه .

وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل، وما اختلف عليه دَهر فتختلفَ فيه حال ، ولو وهب ما انشقّت عنه معادن الجبال ، وضَحِكت عنه أصدافُ البحار ، من فِلَذ اللُّجين ، وسبائك العِقيان ، وشَذْر الدُّرّ وحَصيد المَرجان، لبعض عباده ، ما أثّر ذلك في مُلكه ولا في جوده ، ولا أنفد ذلك سَعةَ ما عنده . فعندَه من الافضال ما لا يُنفِده مَطلَب وسؤال، ولا يخطِر لكم على بال ؛ لأنه الجوادُ الذي لا تَنقصه المواهب ، ولا يُبرمه الحاح المُلحّين بالحوائج ، إنما أمرُه اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

فما ظَنُّكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيرُه ؟ سبحانه وبحمده ! أيها السائل ، اعقل ما سألتني عنه ، ولا تسأل أحداً بعدي ، فإني أكفيك مؤونة الطَّلب ، وشِدّة التعمّق في المَذهب .

وكيف يوصف الذي سألتني عنه ، وهو الذي عجزت عنه الملائكة ، على قربهم من كرسيّ كرامته ، وطُول وَلَهِهم اليه ، وتعظيمهم جلالَ عِزّته ، وقُربهم من غَيب ملكوته ، أن يَعلموا من عِلمه إلاّ ما علّمهم ، وهم من ملكوت العرش بحيثُ هم ، ومن معرفته على ما فطرهم عليه ، فقالوا : سُبحانك لا عِلْم لنا إلاّ ما علّمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فمدح الله اعترافهم بالعَجز عمّا لم يُحيطوا بـه عِلماً ، وسمّى تركَهم التعمّق فيما لم يُكلّفهم البحثَ عنه رُسوخاً .

فاقتصِر على هذا ، ولا تَقدِر عظمةَ الله على قَدْرِ عقلك ، فتكونَ من الهالكين .

واعلم أنّ الله الذي لم يَحدُث فيُمكِنَ فيـه التغيُّر والانتقال ، ولم يَتغيَّر في ذاته بمُرور الأحوال ، ولم يَختلف عليه تعاقبُ الأيّام والليـال ، هو الذي خلق الخلقَ على غير مِثال امتثله ، ولا مِقدار احتذى عليه مِن خالقٍ كان قبلَه ؛ بل أرانا من ملكوت قُدرته وعجائب ربُوبيّته ، ممّا نَطقت به آثار حِكمته ، واضطرارِ الحاجة من الخَلق الى أن يُفهِمهم مبلغ قوّته ، ما دلّنا بقيام الحُجّة له بذلك علينا على معرفته . ولم تُحِط به الصفات بإدراكها إيّاه بالحدود متناهياً ، وما زال ، إذ هو الله الذي ليس كمثله شيء ، عن صِفة المخلوقين مُتعالياً ،

انحسرت العيون عن أن تنالَه ، فيكون بالعيان موصوفاً ، وبالذات التي لا يعلمها إلاّ هو عند خلقه معروفاً .

وفات لعلوّه عن الأشياء مواقعَ وهم المتوهّمين ، وليس له مِثل فيكونَ بالخلق مُشبّهاً ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزّهاً .

وكيف يكون من لا يُقدَر قدره مُقدّراً في روايات الأوهام ، وقد ضلّت في إدراك كيفيته حواسُّ الأنام ؛ لأنه أجلُّ من أن تحدّه ألبابُ البشر بتَظير .

فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين ، وسُبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين .

ألا وإن لله ملائكةً صلى الله عليهم وسلم ، لو أنّ ملكاً هبط منهم إلى الأرض لما وسعَته ، لِعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكته مَن سدّ الآفاق بجناح من أجنحته دون سائر بدَنه ؛ ومن ملائكته مَن السمواتُ إلى حُجزَته[1] وسائرُ بدنه في جِرم الهواء الأسفل ، والأرضُون إلى رُكبته ؛ ومن ملائكته من لو اجتمعت الإنسُ والجنّ على أن يَصِفوه ما

---

[1] حجزته : مشد ازاره .

وصفوه ، لبُعدِ ما بين مَفاصِله ، ولحُسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف مَن سَبْعُمائة عام مِقدارُ ما بين مَنكبيه إلى شَحْمة أذنيه ؛ ومِن ملائكته من لو ألقيت السُّفن في دُموع عينيه لَجرَت دَهْرَ الدّاهرين . فأين أين بأحدكم ! وأين أين أن يدرِك ما لا يُدرَك !

أدب المنابر

كتاب الواسطة	٥
خطبة رسول الله	١١
خطبة ابي بكر يوم السقيفة	١٥
خطب عمر بن الخطاب	٢١
خطبة لعثمان بن عفان	٢٨
خطب علي بن ابي طالب	٢٩
خطب معاوية	٥٦
خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه	٦٩
خطبة عبد الملك بن مروان	٧٢
خطبة الوليد بن عبد الملك	٧٣
خطبة سليمان بن عبد الملك	٧٤
خطب عمر بن عبد العزيز	٧٥
خطبة ابن الاهتم	٧٩
خطبة يزيد بن الوليد	٨٢

خطب بني العباس

خطبة ابي العباس السفاح بالشام	٨٤
خطب المنصور	٨٦
خطبة لسليمان بن علي	٨٩
خطبة عبد الملك بن صالح بن علي	٩٠

خطبة صالح بن علي	٩١
خطب داود بن علي بالمدينة	٩٢
خطبة المهدي	٩٤
خطبة هارون الرشيد	٩٧
خطبة المأمون في يوم الجمعة	١٠٠
خطبة عبد الله بن الزبير	١٠٦
خطبة زياد البتراء	١١١
خطبة لجامع المحاربي	١١٨
خطب الحجاج بن يوسف	١٢١
خطبة لطاهر بن الحسين	١٣٧
خطبة لعبد الله بن طاهر	١٣٨
خطبة لقتيبة بن مسلم	١٣٩
خطبة ليزيد بن المهلب	١٤٢
خطبة لقس بن ساعدة الايادي	١٤٣
خطبة لعائشة أم المؤمنين	١٤٥
خطبة لعبد الله بن مسعود	١٤٨
خطبة لعتبة بن غزوان	١٥٠
خطبة لعمرو بن سعيد الاشدق	١٥٢
خطبة للاحنف بن قيس	١٥٧
خطبة ليوسف بن عمر	١٥٨
خطبة لشداد بن أوس الطائي	١٥٩
خطبة لخالد بن عبد الله القسري	١٦٠
خطبة لمصعب بن الزبير	١٦١
خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة	١٦٢

خطبة شبيب بن شية ١٦٣
خطبة لعتبة بن أبي سفيان ١٦٤

خطب الخوارج

خطبة لقطري بن الفجاءة في ذم الدنيا ١٧٠
خطبة لابي حمزة بمكة ١٧٥
من ارتج عليه في خطبته ١٨٢
خطب النكاح ١٨٦
خطب الاعراب ١٨٩

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الأعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ أخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢

۲۰۰ غ.ل.

V. 4 (no. 16)

العقد العربي
١٦

الكتابة والكتّاب

مكتبة صادر
بيروت

١٦

الكتابة والكتاب

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب ،
فيه ادب – وأقوال – ونوادر – وملح –
وتاريخ – واخبار الخ . الخ . . . .

•

الكتابة والكتاب

هو كتاب المجنبة الثانية من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

١٦

الكتابة والكتّاب

مكتبة صادر
بيروت

Near East
PJ
7745
.I15
.I5
v.4
c.1

١٩٥٣/١٣٦

كتاب المجنبة الثانية

في التوقيعات والفصول والصدور
وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

قال أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربّه: قد مضى قولُنا في الخُطب وفضائلها، وذكرِ طوالها وقصارها، ومقامات أهلها؛ ونحن قائلون بعون الله وتَوفيقه في التّوقيعات والفُصول والصُّدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتّاب وفضل الايجاز؛ إذ كان اشرفُ الكلامِ كلّه حُسْناً، وأرْفعهُ قدراً، وأعظمهُ من القلوب موقعاً، وأقلّه على اللسان عملاً، ما دلّ بعضُه على كلّه، وكفى قليلُه عن كثيره، وشَهِدَ ظاهره على باطنه؛ وذلك أن تَقِلّ حُروفه، وتكثرَ معانيه. ومنه قولُهم: رُبّ إشارة أبلغ من لفظ. ليس أنّ الاشارة تُبيّن ما لا يُبيّنه الكلامُ، وتبلغُ ما يَقصُر عنه اللسان، ولكنّها إذا قامت مَقام اللّفظ، وسَدّت مسدّ الكلام، كانت أبلغَ، لقلّة مؤونتها وخفّة محملها.

قال أبرويز لكاتبه: اجمَع الكثيرَ مما تريد من المعنى، في القليل مما تقول.

يحضه على الايجاز وينهاه عن الإكثار في كتبه .

ألا تراهم كيف طعنوا على الإسهاب والإكثار حتى كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من الاسهاب ! قيل له : وما الإسهاب[1]؟ قال : المسهب الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقر[2]، ويشول به شولان الروق[3] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أبغضكم إلي الثرثارون المتشدقون . يريد أهل الإكثار والتقعير في الكلام .

ولم أجد أحداً من السلف يذم الايجاز ويقدح فيه ويعيبه ويطعن عليه. وتحب العرب التخفيف والحذف ، ولهربها من التثقيل والتطويل كان قصر الممدود أحب إليها من مد المقصور ، وتسكين المتحرك أخف عليها من تحريك الساكن ، لأن الحركة عمل والسكون راحة .

وفي كلام العرب الاختصار والاطناب ، والاختصار عندهم أحمد في الجملة ، وإن كان للإطناب موضع لا يصلح إلا له.

وقد تومىء إلى الشيء فتستغني عن التفسير بالإيماء ، كما قالوا : لمحة دالة .

•

١ الاسهاب : اطالة الكلام لغير فائدة .

٢ الباقر : جماعة البقر .

٣ الروق : القرن والرمح .

كتب عمرو بنُ مَسْعدة إلى ضَمْرة الحَروريّ كتابا، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقّع في ظهره: إذا كان الاكثار أبلغَ كان الايجاز مُقصّراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الاكثار عِيّاً.

•

وبعَث إلى مَروانَ بن محمد قائدٌ من قُوّاده بغلامٍ أسود، فأمرَ عبدَ الحميد الكاتبَ أن يكتبَ اليه يَلْحاهُ ويعنّفه، فكتب وأكثر، فاستثقل ذلك مروانُ، وأخذ الكتاب فوقّع في أسفله: أما إنك لو علِمت عدداً أقلّ من واحد ولوناً شرّاً من أسود لبعثتَ به.

•

وتكلّم ربيعةُ الرأي فأكثر وأعجبه إكثارُه، فالتفت الى أعرابيّ الى جنبه، فقال له: ما تَعدّون البلاغة عندكم يا أعرابيّ؟

قال له: حذف الكلام وإيجاز الصواب.

قال: فما تَعدّون العِيّ؟

قال: ما كنتَ فيه منذُ اليوم.

فكأنما ألقمه حَجَراً.

أول من وضع الكتابة

أوّل من وَضع الخطّ العربيّ والسرياني وسائرَ الكُتُب آدم صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلثمائة سنة ، كتَبه في الطّين ثم طَبخه ، فلمّا انقضى ما كان أصابَ الأرضَ من الغرَق وَجد كلُّ قوم كتابهم ، فكتبوا به . فكان إسماعيل عليه الصلاة والسلامُ وجد كتابَ العرب .

•

ورُوي عن أبي ذَرّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّ إدريس أوّلُ من خَطّ بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم .

•

وعن ابن عبّاس أنّ أوّلَ من وَضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وكان أوّل من نطق بها ، فوُضِعت على لفظه ومنطقه .

•

وعن عمر بن شبّة بأسانيده : أن أولَ من وَضع الخطّ العربيّ : أبجد وهوّز وحُطّي وكَلمن وسعفص وقرشت ، هم

قوم من الجِبلّة الآخرة، وكانوا نزولاً عند عَدنان بن أدد ، وهم من طَسْم وجديس .

•

وحُكيَ أنّهم وضَعوا الكتُب على أسمائهم ، فلمّا وجدوا حُروفاً في الألفاظ ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسمّوها الروادف ، وهي : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحق في حروف الجُمَل .

•

وعنه أن أول من وَضَع الخط نفيس ونصر وتَيْما ، بنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه مُتّصل الحروف بعضها ببعض ، حتى فرّقه نَبْت وهَمَيْسَع وقَيْذر .

•

وحكوا أيضاً ان ثلاثة نفر من طيىء اجتمعوا ببقعة ، وهم مُرامر بن مُرّة وأسْلم بن سِدْرة وعامر بن جَدَرة ، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربيّة على هجاء السريانية ، فتعلّمه قوم من الأنبار . وجاء الإسلامُ وليس أحد يكتب بالعربيّة غيرَ سبعة عشر إنساناً ، وهم: عليّ بن أبي طالب كرّمَ الله وجهه ، وعمرُ بن الخطّاب ، وطَلحة بن عبيدالله ، وعثمان ، وأبو عُبيدة

ابن الجرّاح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حُذَيْفة بن عُتبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعَلاء بن الحَضرمي ، وأبو سَلمة بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرح ، وحُويطب بن عبد العُزّى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجُهَيم بن الصلت بن مَخرَمة .

•

استفتاح الكتب

إبراهيم بن محمد الشَّيْباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم حتى أنزلت سورة هود وفيها : « بسم الله مجراها ومُرساها » ، فكُتب : بسم الله ؛ ثم نزلت سورة بني إسرائيل : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » ، فكُتب : بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت سورة النمل : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرَّحمن الرحيم » ، فاستفتح بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وصارت سُنَّة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الى أصحابه وأمراء جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان . وكذلك كانوا يكتبون اليه ، يبدأون بأنفسهم ، فممن كتب اليه وبدأ بنفسه : أبو بَكر والعلاء بن الحَضرميّ وغيرُهما .

وكذلك كُتُب الصحابة والتابعين ، ثم لم تزل حتى وَلِيَ الوليدُ بن عبد الملك ، فعظَّم الكتابَ وأمرَ أن لا يُكاتبه الناسُ بمثل ما يُكاتِب به بعضهم بعضاً ، فجرَت به سنَّة الوليد إلى يومنا هذا ، إلاّ ما كان من عُمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإنهما عملا بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع الأمر إلى رأي الوليد ، والقومُ عليه إلى اليوم .

ختم الكتاب وعنوانه

وأما ختم الكتاب وعُنوانه : فإن الكتب لم تزل مشهورة ، غيرَ معنونة ولا مختومة ، حتى كُتبت صحيفة المُتلمّس ، فلمّا قرأها خُتمت الكتب وعُنونت ، وكان يؤتى بالكتاب فيقال : مَن عُنِيَ به ، فسُمّي عُنواناً .

•

وقال حسّان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَحّوْا بأشْمَطَ ، عُنوانُ السُّجود به ،
يُقَطّعُ الليلَ تَسبيحاً وقرآنا

•

وقال آخر :

وحاجةٍ دون أُخرى قد سَمَحْتُ بها ،
جعلتُها ، للذي أحببتُ ، عُنوانا

•

وقال أهلُ التفسير في قول الله تعالى : « إنّي أُلقي إليّ كتابٌ كريم » أي مختوم ، إذ كانت كرامة الكتاب خَتْمه .

تاريخ الكتاب

لا بدّ من تأريخ الكتاب، لأنه لا يُدَلّ على تحقيق الأخبار وقُرب عهد الكتاب وبُعده إلاّ بالتأريخ. فإذا أردتَ أن تؤرّخ كتابَك فانظر إلى ما مضى من الشهر وما بَقِي منه، فإن كان ما بقي أكثر من نصف الشهر، كتبت: لكذا وكذا ليلةً مضت من شهر كذا، وإن كان الباقي أقلّ من النصف، جعلتَ مكان: مَضت، بقيت.

وقد قال بعضُ الكتّاب: لا تكتب إذا أرّخت إلاّ بما مضى من الشهر، لأنه معروف، وما بقي منه مجهول؛ لأنك لا تدري أيتمّ الشّهر أم لا.

ولا تجعل سِحاءة[1] كتابك غليظة، إلاّ في كتب العهود والسجلاّت التي يُحتاج إلى بقاء خواتيمها وطوابعها؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعضُ عمّاله على العراق كتاباً، وجعل سِحاءته غليظة، فأمر بإشخاص الكاتب إليه، فلمّا

---

١ سحاءة القرطاس: ما سحي منه اي قشر واخذ.

ورَد عليه ، قال عبدُ الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختَمَ كتابك ثم ارجع إلى عملك ، وإن عُدت الى مثلها عُدنا إلى إشخاصك لقطعها .

ولا تُعظّم الطّينة جداً ، وطِنْ كُتُبَكَ بعد كَتْبك عناوينها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طينت قبل العنوان فأدب مُنتحل .

•

تفسير الامي

فأما الأمي فمجازُه على ثلاثة وجوه : قولُهم أمّي ، منسوب إلى أمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويقال : رجل أمي ، إذا كان من أم القُرى .

قال الله تعالى : « لِتُنْذِرَ امّ القُرى ومَن حولها . »

وأما قوله تعالى : « النبيّ الأمّي » فإنما أراد به الذي لا يقرأ ولا يكتب .

والأمية في النبيّ صلى الله عليه وسلم فضيلة ، لأنها أدلُّ على صدقِ ما جاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشّعر ولا يُنشده؟

•

قال المأمون لأبي العلاء المِنقري : بَلَغني أنك امّي ، وأنك لا تقيم الشّعر ، وأنك تلحن في كلامك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أمّا اللحن ، فربما سَبَقني لساني بالشيء منه ؛ وأما الأمية وكَسْر الشعر ، فقد كان النبيّ صلى

الله عليه وسلم أمياً ، وكان لا ينشد الشعر .

فقال المأمون : سألتُك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهو الجهل ؛ أما علمتَ يا جاهل أن ذلك في النبيّ صلى الله عليه وسلم فضيلة ، وفيك وفي أمثالك نَقيصة !

شرف الكتاب وفضلهم

فمن فضلهم قولُ الله تعالى على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلم: «عَلّمَ بالقَلَمِ عَلّمَ الانسانَ ما لم يعلَم.» وقوله تعالى: «كِراماً كاتبين.» وقولُه: «بأيْدي سَفَرة. كِرامٍ بَرَرة.»

وللكتّاب أحكام بيّنة كأحكام القُضاة، يُعرفون بها، ويُنسبون إليها، ويتقلّدون التدبير وسياسة المُلك بها دون غيرهم، وبهم يُقام أوَد الدين، وأمور العالمين.

فمن أهل هذه الصناعة: عليّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وكان مع شرفه ونُبله وقَرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكتب الوحي، ثم أفضت إليه الخلافة بعد الكتابة؛ وعثمان بن عفان، كانا يكتبان الوحي، فإن غابا، كتب أُبيّ ابن كعب وزيد بن ثابت، فإن لم يشهد واحد منهما، كتب غيرُهما.

وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين يديه في حَوائجه، وكان المُغيرة بن شُعبة والحُصين ابن نُمير يكتبان ما بين الناس، وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا.

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عُقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم ، وفي دُور الأنصار بين الرجال والنساء .

وكان ربما كتب عبدُ الله بن الأرقم الى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حُذيفة بن اليمان يكتب خَرْص ثمار الحجاز .

وكان زيدُ بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ، وقيل : إنه تعلّم بالفارسية من رسول كِسرى ، وبالرومية من حاجب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقِبطِية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

ورُوي عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقام لحاجة ، فقال لي : ضَع القلم على أذنك فإنه أذكر للمُملي وأقضى للحاجة .

وكان مُعَيْقيب بن أبي فاطمة يكتب مغانم النبيّ صلى الله عليه وسلم .

وكان حَنْظلة بن الربيع بن المُرقّع بن صَيفيّ ، ابن أخي أكثم بن صيفيّ الأسيّدي ، خليفة كل كاتب من كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ،

وكان يضع عنده خاتمه ، وقال له : الزمني وأذكرني بكل شيء أنا فيه ؛ وكان لا يأتي على مالٍ ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ، فلا يَبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شيء .

ومرَّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يوماً بامرأة مقتولة يوم فَتح مكة ، فقال لحنظلة : الحق خالداً وقل له : لا تقتلن ذُرية ولا عَسيفاً[1] .

ومات حَنظلة بمدينة الرُّها ، فقالت فيه امرأته ، وحُكي أنه من قول الجِن ، وهذا محال :

يا عَجَبَ الدَّهْرِ لمَحزونة ،
تَبْكي على ذي شَيْبَةٍ شاحِبِ

إن تسألني اليومَ ما شَفَّني
أخبرْكَ قِيلاً ، ليسَ بالكاذبِ

أنَّ سَوادَ الرأس أودى به
وجدي على حَنظلةَ الكاتبِ

---

١ العسيف : الأجير .

ولما وَجّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعداً الى العراق وكتب إليه أن يُسبّع القبائل أسباعاً ، ويجعل على كل سُبع رجلا ، ففعل سعد ذلك ، وجعل السُّبع الثالث تميماً وأسداً وغطفان وهوازن ، وأميرَهم حنظلةَ بن الرّبيع الكاتب ؛ وكان أحدَ من سُيّر الى يَزْدجرد يدعوه الى الاسلام .

وكان الحُصين بن نُمير ، من بني عبد مناة ، شهد بيعة الرّضوان ، ودعاه رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، ليكتب صُلْح الحُديبية ، فأبى ذلك سُهَيْل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منّا ، فكتب عليّ بن أبي طالب .

ورُوي عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سُهَيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بالحُدَيبية حين صالح قريشاً ، كان عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرْح يكتب له ، ثم ارتدّ ولَحِق بالمُشركين ، وقال : إنّ محمداً يكتب بما شئت . فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحَلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنّه ضَرباً بالسيف .

فلمّا كان يومُ فتح مكة ، جاء به عثمانُ ، وكان بينهما رَضاع ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا عبدُ الله قد أقبل تائباً ، فأعرضَ عنه ، والأنصاريُّ مُطيفٌ به ومعه سَيفُه ، فمدّ

رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم، يدَه وبايعه، وقال للأنصاري: لقد تَلَوَّمتُكَ[1] أنْ تُوفي بنَذرك .

فقال: هلاّ أومضت إليَّ؟

فقال صلى الله عليه وسلم: لا يَنبغي لي أن أومض .

•

---

١ تلومتك: انتظرتك .

أيام ابي بكر

رضي الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمانُ بن عفان ، وزيدُ بن ثابت .

ورُوي أنّ عبدَ الله بن الأرقم كتب له ، وان حنظلة بن الربيع كتب له أيضاً .

ولما تقلّد الخلافةَ دعا زيدَ بن ثابت، وقال له : أنت شابٌّ عاقل لا نتّهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنتَ تكتب الوَحْي ، فتتَبّع القرآن فاجمعه .

وفيه يقول حسّان بنُ ثابت :

فمَن للقوافي بعد حسّانَ وابنه ؛
ومَن للمثاني بعد زيد بنِ ثابت ؟

أيام عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

كَتب لعمر بن الخطّاب زيدُ بن ثابت ، وعبدُ الله بن الأرقم ، وعبدُ الله بن خلف الخُزاعيّ ، أبو طَلحة الطلحات ، على ديوان البَصرة . وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة ابن الضحّاك ، فلم يزل عليه إلى أن ولي عبيد الله بن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن سَعد القَيْنيّ .

أيام عثمان بن عفان

رضي الله عنه

كان يكتب لعثمان مَروانُ بن الحَكَم . وكان عبد الملك ابن مروان يكتب له على ديوان المدينة، وأبو جَبيرة على ديوان الكوفة ، وعبدُ الله بن الارقم على بيت المال ، وأبو غَطفان بن عَوف بن سعد بن دينار ، من بني دُهمان ، من قيس عَيلان، يكتب له أيضاً ، وكان يكتب له أُهَيب ، مولاه ، وحُمران ، مولاه .

ايام علي بن ابي طالب

كرّم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نِمران الهَمداني، ثم ولِيَ قضاء الكوفة لابن الزبير ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له .

ورُوي أن عبدالله بن حسن كتب له ، وكان عبدالله بن أبي رافع يكتب له ، وسِماك بن حرب .

•

وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان سعيدُ بن أنس الغَسّاني.

وكاتبُ يزيد بن معاوية سَرْجون بن منصور .

وكاتبُ مَروان بن الحكم حُميد بن عبد الرحمن بن عوف .

وكاتبُ عبد الملك بن مروان سالمٌ مولاه ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الاكبر .

وكاتبُ الوليد بن عبد الملك جَناح مولاه .

وكاتبُ سليمان بن عبد الملك عبدُ الحميد الأصغر .

وكاتبُ عمر بن عبد العزيز الليثُ بن أبي رُقَيّة ، مولى أمّ الحكم ، وكتب له رَجاء بنُ حَيْوة وخُصَّ به ، وإسماعيل بن

أبي حكيم مولى الزُّبير ، وسليمان بن سعد الخُشَنيّ على ديوان الخَراج ، وكان عمر يكتب كثيراً بيده .

وكاتبُ يزيد بن عبد الملك عبدُ الحميد أيضاً ، ثم لم يَزل كاتباً لبني أمية إلى أيام مَروان بن محمد وانقضاء دولة بني أمية .

وكان عبد الحميد أولَ من فتق أكمام البلاغة ، وسهّل طُرقها ، وفكّ رِقاب الشّعر .

الدولة العباسية

ثم جاءت الدولة العباسية فكان كاتبُ أبي العبّـــاس وأبي جعفر أبا أيوب الموريانيّ الأهوازيّ .

وكاتبُ موسى الهادي بن محمد المهدي إبراهيمَ بنَ ذَكوان الحَرّاني .

وكاتبُ هارون الرشيد بن محمد المهدي يحيى بنَ خالد البرمكي، ثم الفَضْلَ بن الرَّبيع ، ثم إبراهيمَ بن صُبَيح .

وكاتبُ محمد بن زُبيدة الأمين الفضلَ بن الرَّبيع .

وكاتبُ عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الفضلَ بنَ سَهل، ثم الحسنَ بنَ سَهل، ثم عمرو بنَ مسعدة، ثم أحمدَ بن يوسف.

وكاتبُ أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضلَ بن مروان ، ومحمدَ بن عبد الملك الزيات .

وكاتبُ الواثق هارون بن محمد المعتصم محمدَ بن عبـد الملك الزيات أيضاً .

وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم إبراهيمَ بن العبّاس ابن صول ، مولًى لبني العبّاس .

وكاتبُ المُنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن المتوكل ، أحمدَ بن الخَصيب ، ثم كتب للمستعين أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعيّه ما أسخطه عليه ، ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شُجاعُ بن القاسم كاتبه ، ثم سَخط عليهما فقتلهما ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صَرفه وقلّد وزارته محمدَ بن الفَضل الجرجاني .

ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المُعتزُّ وزارته جَعفرَ بن محمود الجُرجاني ، فلما استقام الأمر ردّ وزارته إلى أحمد بن إسرائيل .

وكاتبُ المهتدي محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجُرجاني ، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمدُ بن المتوكل عبيدَ الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسنَ بن مَخلد ، وكان سبب موته أنه صَدَمه غلامٌ له في الميدان يقال له رَشيق ، فحُمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات .

وتقلّد الوزارة للمُعتضد احمدُ بن طَلحة ، وللموفق بن جعفر المتوكل عُبيدُ الله بن سليمان بن وهب .

وتقلّد الوزارة للمكتفي بالله أبي محمد عليّ بن المُعتضد بالله القاسمُ بن عُبيد الله بن سليمان .

وتقلّد الوزارة لجعفر المُقتدر بالله بن المُعتضد بالله عليُّ بن محمد بن الفُرات ، ثم محمد بن عُبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ، ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مُقلة ، الذي يوصف خطّه بالجَوْدة ، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبيد الله بن محمد الكَلْوذانيّ ، ثم الحُسين بن القاسم بن عبيد الله بن سُليمان بن وهب ، ولُقّب بعميد الدولة ، وكان يكتب على كُتبه : من عَميد الدولة أبي علي بن وليّ الدولة ، وذُكر لقبه على الدنانير والدراهم ، ثم الفَضْل بن جعفر بن محمد ابن الفُرات .

وتقلّد الوزارة للقاهر بالله أبي مَنصور محمدِ بن المُعتضد محمدُ بن عليّ بن مُقلة ، ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحُصيني .

وتقلّد الوزارة للراضي بالله أبي العبّاس محمد بن جعفر المقتدر محمدُ بن علي بن مُقلة ، ثم عبدُ الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير علي بن عيسى ، ثم محمد بن القاسم الكَرْخي ، ثم الفضلُ بن جعفر بن محمد بن الفُرات ، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد .

وتقلّد الوزارة للمتّقي بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر كاتبُه أحمد بن محمد بن الأفطس ، ثم أبو إسحاق القراريطي ، ثم عليّ بن محمد بن مُقلة .

وتقلّد الوزارة للمستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكتفي بالله الحسينُ بن محمد بن أبي سُليمان ، ثم محمد بن علي السامريّ ، المُكتنى أبا الفَرج .

ثم ولي المطيع بالله الفضلُ بن المقتدر ، فوَزَرَ له الحسن بن هارون .

اسماء من كتب لغير الخليفة

كان المُغيرة بن شُعبة كاتباً لأبي موسى الأشعريّ . وكان سعيد بن جُبَير كاتباً لعبد الله بن عُتبة بن مسعود، وكان قاضياً بعد ذلك .

وكان الحسنُ بن أبي الحسن البصريّ ، مع نُبله وفِقهه ووَرعه وزُهده ، كاتباً للرَّبيع بن زياد الحارثيّ بخراسان ، ثم ولِي قضاء البَصرة لعُمر بن عبد العزيز، فقيل له: مَن وَلَّيت القضاءَ بالبَصْرة ؟ فقال : ولَّيتُ سيِّد التابعين الحسنَ بن أبي الحسن البصريّ .

وكان محمد بن سِيرين، مع عِلمه وورعه ، كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان زيادُ ابن أبيه، مع رأيه ودَهائه، وما كان من معاوية في ادعائه ، يكتب للمُغيرة بن شُعبة ، ثم لعبد الله بن عامر ابن كُرَيز ، ثم لعبد الله بن عبّاس، ثم لأبي موسى الأشعري . فوجّهه أبو موسى من البَصرة لعمرَ بن الخطّاب ليرفع إليه حسابَه ، فأمر له عمرُ بألف درهم ، لما رأى منه من الذّكاء ، وقال له : لا ترجع لأبي موسى .

فقال: يا أميرَ المؤمنين، أعَن خيانة صرَفتَني أم عن تقصير؟
قال: لا عن واحدة منهما، ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على الرَّعيّة.

ثم وَلي بعد الكتابة العِراق.

وكان عامرُ الشَّعبي مع فِقهه وعِلمه ونُبله كاتباً لعبد الله ابن مُطيع، ثم لعبد الله بن يزيد، عاملِ عبد الله بن الزُّبير على الكوفة؛ ثم وَلي قضاء الكوفة بعد الكتابة.

وكان قَبيصة بن ذُؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم.

وكان عبدُ الرحمن كاتبَ نافع بن الحارث، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة.

وكان عبد الله بن خلف الخُزاعي، أبو طَلْحة الطلحات، كاتباً على ديوان البَصرة لعمر وعثمان، ثم قُتل يوم الجَمَل مع عائشة، رضي الله عنها.

وكان خارجةُ بن زيد بن ثابت على ديوان المَدينة، ثم طلب الخلافة فقُتل دونها.

وكان يزيد بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المُطّلب ابن أسد بن عبد العُزّى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية، وكان بعده حُميد بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهري.

أشراف الكتاب

كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتب له عشرة كُتّاب : عليّ بن ابي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاصي ، وأبان بن سعيد بن العاصي ، وأبو سعيد بن العاصي ، وعمرو بن العاصي ، وشُرحبيل بن حَسَنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء بن الحَضرمي، ومعاوية بن أبي سفيان، فلم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاةُ والسلام .

وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبي بكر ، ثم صار خليفةً .

وكان مروانُ بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان، ثم صار خليفة .

وكان عمرو بن سعيد بن العاصي كاتباً على ديوان المدينة ، ثم طلبَ الخلافة فقُتل دونها .

وكان المُغيرة بن شُعبة كاتباً لأبي موسى الأشعري .

وكان الحسنُ بن أبي الحسن البصريّ كاتباً للربيع بن زياد الحارثي بخراسان .

وكان سعيدُ بنُ جُبير كاتباً لعبد الله بن عُتبة بن مَسعود ، وكان فاضلاً .

وكان زياد كاتباً للمُغيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، ثم لعبد الله بن عبّاس .

وكان عامرٌ الشعبي كاتباً لعبد الله بن مُطيع ، وهو والي الكوفة لعَبد الله بن الزبير .

وكان محمد بن سيرين كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان قَبيصة بن ذُؤيب كاتباً لعبد الملك على ديوان الخاتم.

وكان عبدُ الرحمن بن أبْزى كاتب نافع بن الحارث الخُزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عُبيد الله بن أوس الغسّاني ، سيد أهل الشام ، كاتبَ معاوية .

وكان سعيد بن نِمْران الهمداني ، سيّد همدان ، كاتبَ علي ابن أبي طالب ، ثم ولِي بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير.

وكان عبدُ الله بن خلف الخُزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقُتل يوم الجَمَل مع عائشة .

وكان خارجةُ بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قِبَل عبد الملك .

وكان يزيدُ بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسْود بن المُطّلب ابن أسَد بن عبد العُزّى على ديوان المدينة زمانَ يزيد بن مُعاوية . وكان بعده حُميد بنُ عبد الرحمن بن عوف الزُهْريّ ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبل بالكتابة

وكان قبل خاملاً

سَرْجون بن منصور الرُّومي ، كاتبٌ لمعاوية ويزيدَ ابنه ومَروان بن الحَكم وعبد الملك بن مَروان ، إلى أن أمره عبدُ الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه عبدُ الملك بعض التفريط ، فقال لسُليمان بن سعد كاتِبه على الرَّسائل : إنَّ سَرجون يُدِلّ علينا بصناعته ، وأظُنُّ أنه رأى ضرورتنا إليه في حِسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟

فقال : بلى ، لو شئت لحوّلتُ الحِساب من الرومية الى العربية .

قال : افعل .

قال : أنظرني أعانِ ذلك .

قال : لك نَظِرة ما شئت .

فحَوّل الديوانَ ، فولاّه عبدُ الملك جميعَ ذلك .

وحسّانُ النَّبَطِيّ كاتِبُ الحجّاج ، وسالم مولى هِشام ابن عبد الملك ، وعبدُ الحميد الأكبر ، وعبدُ الصّمد ، وجَبلة

ابن عبد الرحمن ، وقَحْذم ، جَدُّ الوليد بن هشام القَحْذمي ، وهو الذي قلب الدواوين من الفارسية الى العربية .

ومنهم : الفرّاء ، كاتبُ خالد بن عبد الله القَسْري .

ومنهم : الرَّبيع ، والفَضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجَعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المُقَفَّع ، والفَضل بن سَهْل ، والحسن بن سَهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام الجُنْديسابوريّ ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيّات ، والحسن ابن وَهب ، وإبراهيم بن العبّاس الصُّولي ، ونجاح بن سَلمة ، وأحمد بن محمد بن المدبّر . فهؤلاء نَبُلوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

من أدخل نفسه في الكتابة

ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور ، كاتب الأفشين ، والفَضل بن مَروان ، وداود بن الجرّاح ، وأبو صالح عبد الله ابن محمد بن يَزداد ، وأحمد بن الخصيب . هؤلاء لَطّخوا أنفسهم بالكتابة وما دانوها .

وقال بعضُ الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حِمارٌ في الكِتابةِ يَدّعيها ،
كدعوى آل حَربٍ في زيادِ

فَدَع عنك الكِتابة لستَ منها ،
ولو غرّقتَ ثوبكَ في المِدادِ

ومنهم : أبو أيّوب ، ابن أخت أبي الوزير ، وهو القائل يرثي أمّ سليمان بن وَهب الكاتب :

لأمّ سليمانٍ علينا مُصيبةٌ ،
مُغلْغلةٌ ، مثلُ الحُسام البَواترِ

وكنتِ سِراجَ البيتِ يا امَّ سالمٍ ،
فأضحى سراجُ البيتِ وَسْطَ المقابرِ

فقال سُليمان بن وهب : ما نزَل بأحـدٍ من خَلْق الله ما نزَل بي ، ماتت أُمي فرُثيت بمثل هذا الشعر ، ونُقل اسمي من سُليمان الى سالم .

•

صفة الكتاب

قال إبراهيم بن محمد الشَّيْباني : من صِفة الكاتب اعتدال القامة ، وصِغَر الهامة ، وخِفَّة اللَّهازم ، وكَثافة اللّحية ، وصِدق الحِسّ ، ولُطْف المَذهب ، وحَلاوة الشَّمائل ، وحُسْن الاشارة ، ومَلاحة الزِّي ، حتى قال بعضُ المَهالبة لولده : تَزَيَّوا بزِيِّ الكُتّاب ، فإن فيهم ادبَ الملوك وتواضعَ السُّوقة .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكِتابة أن يكون الكاتب : نَقِيّ المَلْبس ، نَظيف المَجْلس ، ظاهر المُروءة ، عَطِر الرّائحة ، دَقيق الذّهن ، صادق الحِسّ ، حَسَن البيان ، رَقيق حواشِي اللسان ، حُلو الاشارة ، مَليح الاستعارة ، لطيفَ المسالك ، مُستَقِرّ التركيب ؛ ولا يكون مع ذلك فَضْفاض الجُثة ، مُتفاوت الأجزاء ، طويل اللّحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أنّ هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذّكاءُ والفِطْنة .

وأنشد سعيد بن حُميد في إبراهيم بن العباس :

رأيتُ لهازمَ الكُتّاب خفّت ،
ولِهْزِمتاك شأنُهما القَدامه[1]

وكُتّابُ الملوك لهم بَيانٌ ،
كمِثْل الدُّرّ ، قد رَصَفوا نِظامَه

وأنت ، إذا نطقتَ ، كأنَّ عَيراً
يَلُوك ، بما يَفُوه بـه ، لِجامَه

•

وقال آخر :

عليكَ بكاتبٍ لَبِقٍ ، رشيقٍ ،
زكيٍّ ، في شمائِلـه حرارَه

تُناجيـه بطَرفك مِن بَعيـدٍ ،
فيفهمُ رَجْعَ لَحْظك بالاشاره

•

---

١ اللهازم ، واحدتها اللهزمة : مضغة في اسفل الحنك ، وهما لهزمتان. القَدامة : العي عند الكلام .

ونظر أحمد بن الخَصِيب الى رجل من الكتّاب : قَدْم المنظر[1] ، مُضْطرب الخَلق ، طويل العُثنون ، فقال : لأن يكون هذا فِنْطاساً مُرَكّب أشبه من أن يكون كاتباً .

•

فاذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخِصال ، فهو الكاتبُ البليغ ، والأديب النّحرير ؛ وإن قَصّرت به آلة من هذه الآلات ، وقَعدت به أداةٌ من هذه الأدوات ، فهو مَنقوص الجمال ، مُنكسف الحِس ، مَبخوس النّصيب .

•

[1] قدم المنظر : اي غليظ سمين .

ما ينبغي للكاتب ان ياخذ به نفسه

قال إبراهيم الشَّيْباني : أوّل ذلك حُسن الخط الذي هو لسان اليد ، وبَهْجة الضمير ، وسفير العقل ، ووحي الفِكرة ، وسِلاح المعرفة ، وأُنس الاخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بُعد المسافة ، ومُستودع السرّ ، وديوان الأمور . ولستُ أجد لحسن الخط حدّاً أقف عليه أكثرَ من قول عليّ بن رَبَن النصراني الكاتب ، فاني سألتُه واستوصفتُه الخَطّ ، فقال : اعلّمك الخط في كلمة واحدة .

فقلت له : تفضّل بذلك .

فقال : لا تكتبْ حرفاً حتى تَستفرغَ مجهودَك في كتابة الحَرف ، وتَجعلَ في نفسك أنك لا تَكتبُ غيره حتى تَعجِزَ عنه ، ثم تنتقل الى ما بعده .

وإياك والنَّقط والشَّكل في كتابك الا ان تمر بالحَرف المُعضِل الذي تعلم أنّ المكتوب اليه يعجز عن استخراجه ؛ فإني سمِعتُ سعيدَ بن حُميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشْكل الحرفُ على القارىء أحبُّ إليّ من أن يُعابَ الكتابُ بالشّكل .

وكان المأمونُ يقول : إيّاكم والشونيز[1] في كُتُبكم، يعني النّقط والاعجام .

ومن ذلك ان يُصلِحَ الكاتبُ آلتَه التي لا بُدّ منها ، وأداتَه التي لا تتمّ صناعتُه إلا بها ، مثل دَواتِه ، فليُنعِم رَبَّها[2] وإصلاحها ، وليتخيّر من أنابيب القصبِ أقلّه عُقداً ، وأكثره لَحْماً ، وأصلبَه قشراً ، وأعدله استواءً، ويجعل لقرطاسه سكّيناً حادّة لتكون عوناً له على بري أقلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصبة .

واعلم أنّ محلّ القلم من الكاتب كمحلّ الرّمح من الفارس .

•

قال العتّابيّ : سألني الأصمعيُ يوماً في دار الرشيد : أيُّ الانابيب للكتابة أصلح وعليها أصبر ؟

فقلتُ له : ما نَشِفَ بالهجيرِ ماؤه ، وستَره عن تلويحه غشاؤه ، من التّبريّة القُشور ، الدرّيّةِ الظُّهور ، الفِضّيّة الكسور .

قال : فأيّ نوع من البَري أصوبُ وأكتبُ ؟

---

١ الشونيز : الحبّة السوداء .
٢ ربها : اصلاحها .

فقلت : البَرْيَةُ المُستوية القَطّة ، التي عن يمين سِنّها قُرنة[1] تأمن معها المجّة عند المَدّة والمَطّة ، للهواء في شَقّها فتيق ، والرّيح في جوفها خريق[2] ، والمِدادُ في خرطومها رقيق .

قال العتّابيّ : فبقي الأصمعيّ شاخصاً إليّ ضاحكاً لا يُحيرُ مسألةً ولا جواباً .

•

ولا يكون الكاتب كاتباً حتى لا يستطيع أحدٌ تأخيرَ أوّل كتابه وتقديمَ آخره .

وأفضل الكتّاب ما كان في أوّل كِتابته دليلٌ على حاجته ، كما أنّ أفضل الأبيات ما دلّ أوّلُ البيتِ على قافيته . فلا تُطيلنّ صَدرَ كِتابك إطالةً تُخرِجه عن حدّه ، ولا تُقصّر به دون حدّه ، فإنهم قد كَرِهوا في الجملة أن تَزيدَ صُدور كتب الملوك على سَطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

•

وقيل للشّعْبيّ : أيّ شيء تعرف به عقلَ الرّجُل ؟
قال : إذا كَتَب فأجاد .

---

١ القرنة : الطرف الشاخص من كل شيء .
٢ ريح خريق : راجعة غير مستمرة السير .

وقال الحَسنُ بن وَهْب : الكاتبُ نفسٌ واحدة تجزّأت في أبدان مُتفرّقة .

•

فأمّا الكاتبُ المستحقّ اسم الكِتابة ، والبليغُ المحكوم له بالبلاغة ، مَن إذا حاول صيغة كتابٍ سالت عن قلمه عيونُ الكلام من ينابيعها، وظهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير استكراه ولا اغتصاب .

•

بلغني أنّ صديقاً لكُلثوم العتّابيّ أتاه يوماً فقال له : اصنع لي رسالةً ؛ فاستعدّ مدّة ثم علّق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلاّ شاردةً عنك .

فقال له العتّابي : إني لمّا تناولتُ القلم تداعتْ عليّ المعاني من كل جهـة ، فأحببتُ أن أترك كل معنًى حتى يرجع الى موضعه ثم أجتني لك أحسنها .

•

قال أحمدُ بن محمد : كنتُ عند يزيد بن عبد الله أخي ذبيان ، وهو يُملي على كاتبٍ له ، فأعجَل الكاتبَ ودارَك في

الإملاء عليه ، فتلجلج لسانُ قلم الكاتب عن تقييدِ إملائه ، فقال له : اكتُب يا حمار .

فقال له الكاتبُ : أصلحَ الله الأمير ، إنه لمّا هطلت شآبيبُ الكلام وتدافعت سُيولُه على حَرف القلَم ، كَلّ القَلَمُ عن إدراك ما وَجب عليه تقييدُه .

فكان حضور جواب الكاتب أبلغَ من بلاغة يزيد .

وقال له يوماً وقد مطّ حرفاً في غير موضعه : ما هذا ؟

قال : طغيانٌ في القلم .

•

فإنْ كان لا بُدّ لك من طلب أدوات الكِتابة فتصفّح من رسائل المُتقدّمين ما يُعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يُرجَع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الاشعار والأخبار والسِّيَر والأسمار ما يَتّسع به مَنْطِقُك، ويطولُ به قلَمك .

وانظر في كتب المقامات والخُطب ، ومحاوبة العرَب ، ومعاني العجم ، وحُدود المَنطق ، وأمثال الفُرس ورسائلهم وعُهودهم وسِيَرهم ووقائعهم ومكايدهم في حُروبهم ، والوثائق

والصُّور وكُتُب السجلات والأمانات، وقَرْض الشّعر الجيّد، وعِلم العَروض ، بعد أن تكون مُتوسّطاً في عـلمِ النّحو والغَريب ، لتكون ماهراً تنتزعُ آيَ القُرآن في مواضعها ، والأمثالَ في أماكنها ، فإنّ تَضمّن المَثَل السائر ، والبَيت الغابر البارع ، مما يَزين كتابك ، ما لم تُخاطب خليفةً أو مَلِكاً جليلَ القَدر ، فإنّ اجتلاب الشّعر في كُتُب الخُلفاء عيبٌ ، إلا أن يكون الكاتب هو القـارض للشّعر والصانع له ، فـإنّ ذلك يَزيد في أبّهته .

•

خبر حائك الكلام

ابو جعفر البغداديّ قال : حدّثنا عثمانُ بن سعيد قال : لما رجع المعتصم من الثّغر وصار بناحية الرّقّة ، قال لعمرو بن مَسعدة : ما زلتَ تسألني في الرُّخّجيّ حتى ولّيتُه الاهواز ، فقَعدَ في سُرّة الدُّنيا يأكلها خَضماً وقضماً ، ولم يُوجِّه الينا بدِرهم واحد . اخرُج اليه من ساعتك .

فقلت في نفسي : أبَعْد الوزارة أصيرُ مُستحَثّاً على عامل خراج ؟

ولكنْ لم أجدْ بدّاً من طاعة امير المؤمنين، فقلت: أخرُجُ اليه يا امير المؤمنين .

فقال : احلف لي انك لا تُقيم ببغداد الا يوماً واحداً .

فحلفت له، ثم انحدرت الى بغداد، فأمرتُ ففُرِش لي زوْرق بالطّبريّ ، وغُشّي بالسّلخ[1] ، وطُرِح عليه الكُر[2] .

---

[1] السلخ : الجلد .

[2] الكر : الكساء .

ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هِزقل ودير العاقول[1] اذا رجلٌ يصيح : يا ملاّح ، رجلٌ منقطع .

فقلت للملاح : قرّب الى الشّطّ .

فقال : يا سيدي ، هذا شحّاذ ، فان قعد معك آذاك .

فلم التفتْ الى قوله ، وأمرتُ الغلمان فأدخلوه ، فقعد في كوْثل[2] الزّورق . فلما حضر وقتُ الغداء عزمت ان ادعوه الى طعامي ، فدعوته ، فجعل يأكل أكل جائع بنَهامة الا أنه نظيف الأكل . فلما رُفع الطعامُ أردتُ أن يَستعمل معي ما يستعمل العوامُّ مع الخواصّ : أن يقومَ فيغسل يدَه في ناحية ، فلم يفعل ، فغمزه الغِلمان فلم يقُم ، فتشاغلتُ عنه ثم قلت : يا هذا ، ما صناعتُك ؟

قال : حائك .

فقلتُ في نفسي : هذه شرٌّ من الاولى .

فقال لي : جُعِلتُ فِداك ، قد سألتَني عن صناعتي فأخبرتُك ، فما صناعتك انت ؟

قال : فقلت في نفسي : هذه اعظمُ من الأولى ، وكرهتُ

---

١ دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم . ودير العاقول : بين مدائن كسرى والنعمانية .

٢ الكوثل : مؤخر السفينة .

أن أذكر له الوزارة، فقلتُ : اقتصر له على الكتابة ، فقلت: كاتب .

قال : جُعلتُ فداك ، الكُتّاب على خمسة أصناف: فكاتب رسائل يحتاج الى أن يعرف الفَصل من الوصل ، والصُّدور ، والتّهاني ، والتّعازي ، والتّرغيب والتّرهيب ، والمقصور والمَمْدود ، وجُملاً من العربيّة .

وكاتب خراج يحتاج إلى أن يَعْرف الزَّرْع والمِساحة ، والأشوال[1] والطُّسوق[2] ، والتّقسيط ، والحساب .

وكاتب جُند يحتاج إلى أن يَعرف مع الحساب الأطماع[3] ، وشِيات الدواب ، وحِلَى[4] الناس .

وكاتب قاضٍ يحتاج إلى أن يكون عالماً بالشُّروط والأحكام والفُروع والناسخ والمَنسوخ والحلال والحرام والمواريث .

---

١ الاشوال ، جمع شول ، الواحدة شائلة : وهي الناقة اتى على حملها او وضعها سبعة اشهر فجف لبنها .

٢ الطسوق ، واحدها طسق : ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الارض .

٣ الاطماع : الرواتب الجارية على الجند في الأوقات التي يستحقونها فيها على ما يقتضيه كل زمان .

٤ حلى ، واحدتها حلية : الصفة .

وكاتب شُرطة يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجُروح والقِصاص والعقول[1] والدّيات . فأيهم أنت أعزّك الله ؟

قال : قلت : كاتب رسائل .

قال : فأخبرني إذا كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أُمّه ، فكيف تكتب له ، أتهنّيه أم تُعزّيه ؟

قلت : والله ما أقفُ على ما تقول .

قال : فلستَ بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول أصلحك الله وقد ولاك السلطان عملاً فبَثَثْت عُمّالك فيه ، فجاءك قوم يتظلّمون من بعض عُمّالك ، فأردتَ أن تَنْظر في أمورهم ، وتُنصفهم إذ كنت تُحبّ العدل والبِرّ ، وتؤثر حُسن الأحدوثة وطيب الذّكر ، وكان لأحدهم قَراح[2] ، كيف كنت تمسحه ؟

قال : كنت أضرب العُطوف في العَمود ، وأنظر كم مقدار ذلك .

---

١ العقل : الدية .

٢ القراح : المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر .

قال : إذن تظلمَ الرجل .

قلتُ : فأمسح العَمود على حِدَة .

قال : إذن تظلمَ السلطان .

قلت : والله ما أدري .

قال : فلستَ بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جُند .

قال : فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مَقْطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السُفلى ، كيف كنت تكتب حِلْيتهما ؟

قال : كنت أكتب : أحمدُ الأعلم وأحمد الأعلم .

قال : كيف يكون هذا ورِزْقُ هذا مائتا درهم ورزق هذا ألفُ درهم ، فيقبض هذا على دَعْوة هذا ، فتظلِم صاحب الألف !

قلت : والله ما أدري .

قال : فلستَ بكاتب جُند ، فأيهم أنت ؟

قلتُ : كاتب قاضٍ .

فقال : فما تقول أصلحك الله في رجل توفي وخَلّف زوجة وسُرّية ، وكان للزوجة بنت وللسُرية ابن ، فلما كان في تلك الليلة أخذت الحُرّة ابن السُرّية فادّعته ، وجعلتْ ابنتها مكانه ،

فتنازعتا فيه ، فقالت هذه : هذا ابني ، وقالت هذه : هذا ابني ، كيف تحكم بينهما وأنت خليفةُ القاضي ؟

قلت : والله لستُ أدري .

قال : فلستَ بكاتب قاضٍ ، فأيهم انت ؟

قلت : كاتب شُرطة .

قال : فما تقول أصلحك الله في رجل وَثب على رجل فشجّه شَجّةً موضِحة[1] ، فوثب عليه المَشْجوج فشجّه شَجّة مأمومة[2] ؟

قلتُ : ما أعلم .

ثم قلت : أصلحك الله ، قد سألتَ ففسّر لي ما ذكرتَ .

قال : أما الذي تزوّجت أمّه فتكتبُ إليه : أما بعد ، فإن أحكامَ الله تجْري بغير محابّ المَخْلوقين والله يختار للعباد ، فخار الله لك في قَبْضها إليه ، فإن القبرَ أكرمُ لها ، والسلام ؛ وأما القَراح ، فتضرب واحداً في مِساحة العُطوف ، فمن ثَمّ بابُه ؛ وأما أحمد وأحمد ، فتكتب حِلْية المَقْطوع الشّفة العُليا : أحمد الأعلم ، والمَقطوع الشفة السفلى : أحمد

---

١ الموضحة من الشجاج : التي بلغت العظم فأوضحت عنه .
٢ مأمومة : أي بلغت أم الرأس .

الأشرم ؛ وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيّهما كان أخفَّ فهي صاحبة البنت ؛ وأما الشجّة ، فإن في الموضحة خمساً من الإبل ، وفي المأمومة ثلاثاً وثلاثين وثلثاً ، فيَرُدّ صاحبُ المأمومة ثمانيةً وعشرين وثلثاً .

قلت : أصلحك الله ، فما نزَع بك إلى هنا ؟

قال : ابنُ عمّ لي كان عاملاً على ناحية ، فخرجتُ إليه فألفيتُه مَعزولاً ، فقُطع بي ، فأنا خارج أضطرب في المعاش .

قلتُ : ألستَ ذكرتَ أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ولستُ بحائك الثياب .

قال : فدعوتُ المزيّن فأخذ من شَعَره ، وأدخِل الحمّام فطَرحتُ عليه شيئاً من ثيابي . فلمّا صرتُ إلى الأهواز كلّمت الرُّخَّجيّ فأعطاه خمسةَ آلاف درهم ورجع معي ، فلمّا صرتُ إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك في طريقك ؟ فأخبرتُه خبري حتى حدّثته حديث الرجل . فقال لي : هذا لا يُستَغنى عنه ، فلأيّ شيء يصلُح ؟

قلتُ : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة .

قال : فولاّه أميرُ المؤمنين البِناء والمرمّة . فكنتُ والله ألقاه في الموكب النّبيل فينحطّ عن دابّته ، فأحلف عليه ، فيقول : سُبحانَ الله ! إنما هذه نعمتك ، وبك أفدتُها .

فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيتُ قوماً أنفذ طريقةً في الأدب من هؤلاء الكُتّاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعّراً وَحشياً ، ولا ساقطاً سُوقياً .

•

وقال بعض المهالبة لبنيه : تزيّوا بزيِّ الكُتّاب فإنهم جمعوا أدب الملوك وتواضُع السوقة .

•

وعتَب أبو جعفر المنصور على قومٍ من الكُتّاب فأمر بحبسهم ، فرفعوا إليه رُقعة ليس فيها إلاّ هذا البيت :

ونحنُ الكاتبون ، وقد أسأنا ،
فهَبْنا للكرام الكاتبينا

فعفا عنهم وأمر بتخليةِ سبيلهم .

•

وقال المؤيّد : كُتّاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة . والكتابةُ أشرفُ مراتبِ الدُّنيا بعد الخلافة ، وهي صناعةٌ جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة .

•

وقال سهلُ بن هارون : الكتابة أولُ زينة الدُّنيا التي اليها يتناهى الفضلُ ، وعندها تَقِف الرَّغبة .

•

ما يجوز في الكتابة

وما لا يجوز فيها

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت الى مُخاطبة المُلوك والوزراء والعُلماء والكُتّاب والخُطباء والأدباء والشُّعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطبْ كلًّا على قدْر أبهته وجلالته ، وعُلوّه وارتفاعه ، وفِطْنته وانتباهه .

واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ؛ منها : الطبقات العَلِيّة أربع ، والطبقات الأُخر ، وهي دونها ، أربع ؛ لكل طبقة منها درجة ، ولكلّ قِسْمها ، لا ينبغي للكاتب البليغ أن يقصّر بأهلها عنها ويَقْلب معناها الى غيرها .

فالحدّ الأوّل : الطبقات العُليا ، وغايتها القُصوى الخِلافة ، التي أجلّ الله قدرَها وأعلى شأنها عن مُساواتها بأحد من أبناء الدُّنيا في التعظيم والتوقير .

والطبقة الثانية لوزرائها وكُتّابها الذين يُخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتِقون الفُتوق بآرائهم .

والطبقة الثالثة أمراء ثُغورهم وقوّاد جُنودهم ، فإنه يجب

مُخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه ، وحظّه وغَنائه وإجزائه ، واضطلاعه بما حَمل من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم .

والرابعة القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العُلماء ، وحِلْية الفضلاء ، فمعهم أبهة السُّلطنة وهَيْبة الأمراء .

واما الطبقات الأربع الأخر فهم : الملوك الذين أوجبت نعمُهم تعظيمَهم في الكُتب إليهم ، وأفضالهُم تفضيلَهم فيها .

والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم الذين بهم تُقرع أبوابهم ، وبعناياتهم تُستماح أموالهم .

والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكُتب بشَرف العِلم وعلوّ درجة أهله .

والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بحِدّة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفّحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مُكاتبتهم .

واستغنينا عن الترتيب للسّوقة والعوامّ والتجّار باستغنائهم بمهناتهم عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبُ يجب عليك أن تَرعاها في مراسلتك إياهم في كتبك ، فتزِن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قَسمه ، وتوفيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك

وأضعتَه لم آمن عليك أن تَعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، ويجريَ شُعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتَنظم جوهر كلامك في غير سلكه .

فلا تعتدّ بالمعنى الجَزْل ما لم تُلبسه لفظاً لائقاً بمن كاتبتَه ، ومُلتئماً بمن راسلته ؛ فان إلباسَك المعنى ، وإن صحّ وشرُف ، لفظاً متخلّفاً عن قَدْر المكتوب اليه لم تَجْرِ به عاداتهم ، تهجينٌ للمعنى ، وإخلال بقَدْره ، وظُلْم بحق المكتوب اليه ، ونَقص مما يجب له ؛ كما ان في اتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجَرت به سُنتهم ، قطعاً لعُذرهم ، وخُروجاً من حقوقهم ، وبُلوغاً إلى غاية مُرادهم ، وإسقاطاً لحُجة أدبهم .

فمن الالفاظ المرغوب عنها ، والصُدور المستوحش منها في كتب السادات والمُلوك والامراء ، على اتفاق المعاني ، مثل : أبقاك الله طويلا ، وعمّرك مَليّاً . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلا . ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً في المخاطبة . كما أنهم جعلوا : أكرمك الله ، و : أبقاك ، أحسن منزلاً في كتب الفضلاء والأُدباء ، من : جُعلت فداك ، على اشتراك معناه ، واحتمال أن يكون فداءَه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءَه من الشرّ .

ولولا أنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لسعد بن أبي وقّاص : ارمِ فداك أبي وأمي ، لكرهنا أن يَكتب بها أحد. على ان كُتّاب العسكر وعوامّهم قد وَلعوا بهذه اللّفظة حتى استعملوها في جميع محاوراتهم ، وجعلوها هِجّيراهم في مخاطبة الشريف والوضِيع ، والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الورّاق :

كلُّ مَنْ حلَّ سُرَّ مَنْ رى من الناس،
ومَن قد يُداخل الأملاكا

لو رأى الكلْب ماثلًا بطريق ،
قال للكَلب : يا جُعِلت فِداكا

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمتع بك ، الا في الابن والخادم المنقطع اليك ؛ وأما في كُتب الاخوان ، فغير جائز بل مَذموم مَرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أحُلْتَ عما عَهِدتُ من أدبكْ ؟
أم نِلتَ مُلكاً فتِهتَ في كُتبكْ ؟

أم قد ترى أنّ في مُلاطفة الاخوان،
نَقصاً عليك في ادبك ؟

أكان حقاً كتابُ ذي مِقَـة ،
يكون في صدره : وأمتَع بك

أتعبتَ كفيـك في مكاتبتي ؛
حسبُكَ مـا قد لقيتَ في تَعبك

فكتب اليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف أخون الإخاء يا أمَـلي ،
وكلّ شيء أنالُ من سبَبِـكْ

أنكرتَ شيئـاً فلستُ فاعله ،
ولن تراه يُخَطّ في كُتُبِـك

إنْ يكُ جهلٌ أتاك من قِبَـلي ،
فعُدْ بفَضْلٍ عليّ من حَسبك

فاعفُ ، فدتك النفوس ، عن رجلٍ ،
يَعيش حتى الممـاتِ في أدبِـك

•

ولكلّ مَكتوب اليـه قدرٌ ووزن ، ينبغي للكاتب ألاّ يتجاوز به عنه ، ولا يُقصّـر به دونه . وقد رأيتهم عابوا الأحوص

حين خاطب الملوك خطاب العوامّ في قوله :

وأراك تفعل ما تقول ، وبعضُهم
مَذِق الحديث، يقول ما لا يفعل[1]

وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلّوا قدر الملوك أن يُمدحوا بما تُمدح به العوامّ ؛ لأن صِدْق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح فهو واجب على العامّة ، والملوكُ لا يُمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يَحسن مدحُهم بالنّوافل ؛ لأنّ المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزْني بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ما استُودِعْت ، وإنك لتصدُق في وَعدك وتفي بعهدك، فكأنه قد أثنى بما يجب ، ولو قصده بثنائه إلى مَقصده كان أشبه في الملوك .

ونحن نعلم أنّ كل أمير يتولى من أمر المؤمنين شيئاً فهو أميرُ المؤمنين ، غير أنهم لم يُطلقوا هذه اللفظة إلا على الخُلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكيّس هو العاقل ، لكن لو وصفتَ رجلا فقلت : إنه لعاقل ، كنت مدحته عند الناس ، وإن قلت : إنه لكيّس ، كنت قد قصّرت به عن وصفه وصغّرت من

١ مذق الحديث : في حديثه مداورة ومواربة .

قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ؛ لأنّ العامّة لا تلتفت الى معنى الكلمة ، ولكن إلى ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامّة لهـــذه الكلمة مع الحداثة والغِرّة وخساسة القدر وصِغَر السن .

وقد روينا عن عليّ كرم الله وجهه أنه تسمّى بالكيّس حين بنى سِجن الكوفة ، فقال في ذلك :

أما تُراني كَيّساً مُكَيّسا
بنيتُ ، بعد نافع ، مُخَيّسا[1]
حِصناً حَصيناً وأميناً كَيّسا

وقال الشاعر :

ما يصنع الاحمق المرزوق بالكَيْسِ[2]

وكذلك نعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء ، كذلك روينا عن ابن عباس .

---

١ كيساً مكيساً : ظريفاً نافعاً . المخيس : سجن كان بالكوفة .
٢ الكيس : العقل .

وسمع سعدُ بن أبي وقّاص ابنَ أخ يلبّي ويقول في تلبيته: لبّيك يا ذا المعارج ، فقال : نحن نعلم أنه ذو المعارج ، ولكن ليس كذا كنّا نلبّي على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إنما كنّا نقول : لبّيك اللهم لبّيك .

وكان أبو ابراهيم المزني يقول في بعض ما خاطب به داود ابن خلف الأصبهاني: فان قال كذا فقد خرج عن الملّة، والحمد لله . فنقض ذلك عليه داودُ ، وقال فيما ردّ عليه : تحمد الله على ان تُخرج امرءاً مسلماً من الاسلام ، وهذا موضع استرجاع ، وللحمد مكان يليق به ! وإنما يقال في المصيبة : إنا لله وإنا اليه راجعون .

فامتثِلْ هذه المذاهب ، واجرِ على هذه القواعد ، وتحفّظ في صدور كُتبك وفصولها وخواتمها ، وضع كل معنى في موضع يليق به ، وتخيّر لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تختم به فُصولك في موضع ذكر البلوى بمثل : نسأل الله دفع المحذور ، وصَرف المكروه ، واشباه هذا ؛ وفي موضع ذكر المُصيبة : إنا لله وإنا اليه راجعون ؛ وفي موضع ذكر النعمة : الحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً .

فان هذه المواضع يجب على الكاتب ان يتفقّدها ويتحفظ فيها، فان الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يضع كل معنى في موضعه،

ويعلق كل لفظة على طبقتها من المعنى .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمالُ ما أتت بـه آيُ القرآن من الاقتصار والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعامّ والعامّ بالخاص، لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بالقرآن قوماً فُصحاء فهموا عنه جلّ ثناؤه أمره ونَهْيَه ومراده ، والرسائل إنما يخاطب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .

وكذلك ينبغي للكاتب أن يجتنب اللفظ المشـترك والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : « واسأل القرية التي كنّا فيها والعِيرَ التي أقبلنا فيها » وكقوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » ، احتاج الكاتب ان يُبين معناه : بل مكرهم بالليل والنهار ؛ ومثل هـذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضاً في الرسائل والبلاغات المشهورة مـا يجوز في الأشعـار الموزونـة ، لأن الشـاعر مضطر ، والشّعر مقصور مقيّـد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صَرْفَ ما لا ينصرف من الأسماء، وحَذفَ ما لا يُحذف منها . واغتفروا فيـه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير، والاضمار في موضع الاظهار ، وذلك كله غـير مُستساغ في الرسائل ولا جـائز في البلاغات . فممـا أجيز في الشعر من الحذف مثـل

قول الشاعر :

قواطناً مكّةَ من وُرْق الحَمِى

يعني الحمام .
وقول الآخر :

صِفر الوشاحين صَموت الخَلْنخل

يريد : الخلخال .
وكقول الآخر :

دارٌ لسَلْمى إذ مِن هواكا

يريد : إذ هي .
وكقول الحُطيئة :

فيها الرماحُ ، وفيها كلّ سابغة ،
جَدْلاء ، مَسْرودةٍ من صُنع سلاّمِ

يريد : سليمان .
وكقول الآخر :

من نَسْج داود أبي سلاّم ،
والشيخ عثمان أبي عفّان

أراد : عثمان بن عفان .

وكما قال الآخر :

وسائلةٍ بثَعلبةَ بنِ سَيرٍ ،
وقد عَلِقتْ ، بثَعلبةَ ، العَلوقُ[1]

وأراد : ثَعلبة بن سيّار .

وكما قال الآخر :

ولستُ بآتيه ، ولا أستطيعه ،
ولاكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فَضلِ

أراد : ولكن .

•

وكذلك لا ينبغي في الرسائل أن يُصغَّر الاسم في موضع التّعظيم ، وإن كان ذلك جائزاً ، مثل قولهم : دويهية ، تصغير داهية . وجُذيل ، تصغير جِذْل . وعُذيق ، تصغير عَذْق .

وقال الشاعر ، وهو لَبيد :

وكلُّ أُناس سوف تَدْخل بينهم
دويهيـةٌ ، تَصفرّ منها الأناملُ

---

١ العلوق : المنية .

وقال الحُباب بن المُنذر ، يومَ سقيفة بني ساعدة : أنا عُذَيقها المُرجّب ، وجُذَيلها المُحكّك . وقد شرحه أبو عبيد[1] .

•

ومما لا يجوز في الرسائل وكَرِهوه في الكلام أيضاً مثلُ قولهم : كلّمتُ إياك ، وأعني إياك ، وهو جائز في الشعر . وقال الشاعر :

وأحْسِنْ وأجْمِل في أسيرك إنّه
ضعيفٌ ، ولم يأسِر كإياك آسِرُ

وقال الراجز :

إياك حتى بلّغت إياك

فتخيّر من الألفاظ أرجحها لفظاً ، وأجزلها معنى ، وأشرفها جوهراً ، وأكرمها حسباً ، وأليقها في مكانها ، وأشكلها في موضعها ؛ فإن حاولت صَنعة رسالة فَزِن اللفظة ، قبل ان

---

١ العذيق ، تصغير عذق : النخلة . المرجب : الذي جعل له رجبة ، وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة ، وذلك اذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقعر من الرياح العواصف . الجذيل المحكك : عود ينصب في مبارك الابل تتمرس به الابل الجربى .

تُخرجها ، بميزانِ التَّصريف إذا عَرضت ، وعايرِ الكلمة بمعيارها إذا سَنحت ، فإنه ربما مَرَّ بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ : أنا فاعل ، أحسنَ من أن تكتب : أنا أفعل ، وموضع آخر يكون فيه : استفعلت ، أحلى من : فعلت .

فأدِر الكلام على أماكنه ، وقلّبه على جميع وُجوهه ، فأيّ لَفظة رأيتَها أخفّ في المكان الذي ندبتَها إليه ، وأنزِعَ إلى الموضع الذي راودتها عليه ، فأوْقعها فيه ، ولا تجعل اللّفظة قلقة في موضعها ، نافرةً عن مكانها ، فإنك متى فعلت هجّنت الموضع الذي حاولت تحسينه ، وأفسدتَ المكان الذي أردت إصلاحه ؛ فإنّ وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقَصْدَك بها إلى غير مُصابها ، إنما هو كترقيع الثوب الذي لم تتشابه رقاعه ، ولم تتقارب أجزاؤه ، فخرج من حَدّ الجِدَّة ، وتغيّر حُسنه كما قال الشاعر :

إنّ الجديدَ ، إذا ما زيدَ في خَلَقٍ،
تَبيّنَ الناسُ انّ الثوبَ مَرقوعُ

وكذلك كلما احلولى الكلامُ وعَذُبَ وراقَ وسهُلت مخارجه كان أسهلَ وُلوجاً في الأسماع ، وأشدّ اتصالاً بالقلوب، وأخفّ على الأفواه ؛ لا سيما إذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ

مُونق شريف ، ومُعايراً بكلامٍ عَـــذب لم يَسِمْه التكليف بِيسمه ، ولم يُفسده التعقيد باستغلاقه .

•

وكتب عيسى بن لَهيعة إلى أخيه أبي الحسن وزوّر كلامه وجاوز المقدار في التنطّع ، فوقّع في أسفل كتابه :

أنّى يكون بليغاً ، مَن اسمُه كان عِيّا[1]
وثالثُ الحرفِ منه، أذًى كُفيتَ مُسيّا[2]

•

قال : وبلغني أن بعض الكتّاب عادَ بعضَ الملوكِ فوجده يئنّ من علّـــة ، فخرج عنه ومرّ بباب الطاق[3] ، فإذا بطـير يدعى الشّفانين[4]، فاشتراه وبعث به اليه، وكتب كتاباً وتنطّع في بلاغته : وتذكر أنه يقال له شفانـين ، أرجو أن يكون شفاءً من أنين .

---

١ يشير الى العين والياء من اسم عيسى .
٢ يشير الى السين وما فيه من معنى الاساءة . مسيّاً : مسهل مسيئاً .
٣ باب الطاق : محلة ببغداد .
٤ الشفانين ، واحدها شفنين : ضرب من الحمام ، وقيل : هو اليمام .

فوقّع في أسفل الكتاب : والله لو عطستَ ضَبّا ما كنت عندنا إلاّ نَبَطيّاً ، فأقصرْ عن تنطّعك ، وسهّل كلامك.

قوله : لو عطست ضبّاً ، يريد أن الضّباب من طعام الأعراب وفي بلدهم ؛ فقال : لو عطستَ فنثرت ضبّاً من عُطاسك لم تُلحَق بالاعراب ولم تكن إلاّ نَبَطيّاً .

وقد جاء في بعض الحديث : إن القِطّ من نَثرة عطسة الأسد ، وإن الفأر من نَثرة عطسة الخنزير . فقال هذا : لو أن الضبّ من نثرتك لم تكن إلاّ نبطيّاً .

وفي هذا المعنى قال مخلد الموصليّ يهجو حبيباً :

أنت عندي عربيّ ، ليس في ذاك كلامْ
شعر ساقَيْك وفَخذيْ ك خُزامى وثُمام[1]
وقَذى عينكَ صِبغٌ ، ونواصيك ثغام[2]
وضلوع الصدر،من شِدْ وِكَ ، نَبْعٌ وبَشام[3]
لو تحرّكت كذا لا نْجفلت منك نعام

---

١ الخزامى والثام : نبتان .
٢ الثغام : نبت .
٣ البشام : شجر عطر الرائحة ورقه يسوّد الشعر ويستاك بقضبه .

وظبـــاءٌ راتعـــا ت ويرابيع عِظام[1]
وحَمامٌ يتغنّى ، حبّذا ذاكَ الحَمام
أنا مــا ذنبي لأنْ كذّبني فيك الأنام
وفتىً يحلف : ما إن عَرّفتْ فيه الكرام[2]
ثم قالوا : جاسميّ ، من بني الأنباط حام[3]
كَذَبوا ، ما أنتَ إلاّ عربيّ والســـلام

•

وقد رأيتهم شبّهوا المعنى الخفيّ بالرُّوح الخفيّ ، واللفظ الظاهر بالجثمان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجَزْل لفظٌ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام مُتّسقاً ، وتضاؤل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء في الأطمار الرثّة .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ وإشارة وعَقد وخطّ . وقد ذكر له أرسطاطاليس صِنفاً خامساً في كتاب

---

١ اليرابيع ، واحدها يربوع : دويبة فوق الجرذ .
٢ عرقت فيه الكرام : تخلّق بأخلاقهم .
٣ جاسمي ، منسوب الى جاسم : حي قديم .

المنطق، وهو الذي يسمّى النّصبة[1]. والنّصبة: الحال الدالّة التي تقوم مقام تلك الاصناف الاربعة، وهي الناطقة بغير لفظ، والمشيرة إليك بغير يد، وذلك ظاهر في خَلق السموات والأرض وكل صامت وناطق.

وجميع هذه الاصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المَعاني، وسافرة عن وجوهها.

وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الاصناف، صِنفان، هما: القلم واللسان، وكلاهما للقلب ترجمان.

فأمّا اللسان فهو الآلة التي يخرج الانسان بها عن حد الاستبهام الى حدّ الانسانية بالكلام؛ ولذلك قال صاحب المنطق: حدُّ الانسان الحي الناطق.

وقال هشام بن عبد الملك: إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح.

وقال عليّ بن عُبَيدة: إنما يُبين عن الانسان اللسان، وعن المودّة العينان.

وقال آخر: الرجل مَخبوء تحت لسانه.

وقالوا: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه.

---

[1] النصبة: كل ما نصب فجعل علماً.

وقال الشاعر :

وما المرء إلاّ الأصغران : لسانُه
ومعقولُه ، والجسمُ خَلْقٌ مُصَوَّرُ

فإنْ طُرّةٌ راقتك يوماً ، فربما
أمرَّ مَذاقُ العُود ، والعُود أخضر[1]

وللخط صورة معروفة ، وحِلية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامَها في الإيضاح عند المشهد ، ويفضُلها في المَغيب ، لأن الكتب تقرأ في الأماكن المتباينة ، والبُلدان المتفرّقة ، وتُدرس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذَلْقاً فصيحاً لا يعدو سامعَه ، ولا يجاوزه إلى غيره .

---

١ الطرة : الهيئة الحسنة .

البلاغة

قال سهل بن هارون : سياسةُ البلاغة أشدُّ من البلاغة .

•

وقيل لجعفر بن يحيي بن خالد : ما البلاغة ؟

قال : التقرُّب من المَعنى البعيد ، والدّلالة بالقليل على الكثير .

•

وقيل لابن المُقفّع : ما البلاغة ؟

قال : قِلّة الحَصَر ، والجُرأة على البَشر .

قيل له : فما العيّ ؟

قال : الإطراق من غير فِكرة ، والتّنحنح من غير عِلّة .

•

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟

قال : تَطْويل القصير ، وتقصير الطويل .

•

وقيل لأعرابيّ : ما البلاغة ؟

فقال : حَذْف الفُضول ، وتَقْريب البعيد .

•

وقيل لارسطاطاليس : ما البلاغة ؟
فقال : حُسْن الاستعارة .

•

وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟
فقال : إيضاح المُعْضِل ، وفكّ المُشكل .

•

وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟
فقال : ما قَرُب طَرفاه ، وبعُدَ مُنتهاه .

•

وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟
قال : إصابةُ المعنى ، والقَصْد لِلحُجّة .

•

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟
قال : تَصوير الحقّ في صورة الباطل ، والباطل في صورة الحق .

•

وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟
فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار في الكتب

وأمـــا تَضْمين الأسرار في الكُتب حتى لا يقرأها غيرُ المكتوب إليه ففيه أدب تجب معرفتُه . وقد تعلّقت العامّـةُ بكتاب القُمّيّ[1] والأصبهانيّ[2] .

وكان أبو حاتم سهل بن محمـد قد وصف لي منهما أشياء جليلة من تبـديل الحروف ، وذلك يُمكن لكل إنسان . غيرَ أنّ اللطيف من ذلك : أن تأخذ لبنـاً حليباً فتكتب به في القِرطاس ، فيَذرّ المكتوبُ له عليـه رَماداً سُخْناً من رَماد القراطيس ، فيظهرُ ما كُتبت به إن شاء الله .

وان شئتَ كتبتَ بمـاء الزّاج الأبيض ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمرّ عليه شيئاً من غُبار الزّاج .

وإن أحببتَ أن لا يُقرأ الكتاب بالنهـار ويُقرأ بالليل فاكتُبه بمرارة السُّلحفاة .

---

١ القمي : اسماعيل بن محمد .

٢ هو أبو علي الحسن بن عبد الله .

قولهم في الاقلام

قالوا : القلم أحدُ اللسانين ، وهو المُخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على لغات مختلفة ، من معانٍ مَعْقودة بحروف معْلومة مؤلفة ؛ مُتباينات الصور ، مختلفات الجهات ؛ لقاحُها التفكير ، ونِتاجها التّدبير ؛ تَخرُس مُنفردات ، وتَنْطِق مُزْدوجات ؛ بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ؛ خلا قلمٍ حرّف باريه قطته ليتعلّق المِداد به ، وأرهف جانبيه ليُرَدّ ما انتشر عنه إليه ، وشَقّ رأسه ليحتبس المِدادُ عليه ، فهنالك استمد القلم بشقّه ، ونثر في القرطاس بخطه ، حروفاً أحكمها التفكّر ، وجرى على أسلته الكلامُ ، الذي سَدّاه العقل ، وألحمه اللسان ، ونهسته اللهوات ، وقطّعته الأسنان ، ولفظته الشّفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء .

وقال الشاعر ، وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

وأسمرَ طاوي الكَشْح ، أخرَسَ ، ناطقٍ ،
له ذَمَلانٌ في بُطون المَهارِقِ [1]

---

[1] الذملان : السير اللين .

إذا استعجلَتْهُ الكفُّ أمطرَ وبْلَه ،
بلا صوت إرعاد ولا ضوء بارق

إذا ما حدا غُرَّ القوافي رأيتَها
مُجلّيَةً ، تغضي أمام السوابق

كأنَّ عليه من دُجى الليلِ حُلَّةً ،
إذا ما استهلَّتْ مُزْنُه بالصواعق

كأنَّ ، اللآلي والزَّبَرْجَدُ ، نُطْقُه ،
ونَوْرُ الخُزامى في عيون الحدائق

•

وقال العلويُّ في صِفة القلم :

وعُرْيانَ من خِلْعةٍ مُكْتَسٍ ،
يَميس من الوشي في يَلْمَقِ[1]

تحدَّرُ ، من رأسه ، ريقة ،
تَسيل على ذِرْوة المَفْرِق[2]

---

١ اليلمق : القباء .
٢ الريقة : اراد بها الحبر ، المداد .

فكم من أسيرٍ له مُطْلَقٍ،
وكم من طَليقٍ له موثَقِ

يُقيمُ ويوطِنُ غربَ البلاد،
ويَنْهى ويأمرُ بالمَشْرِقِ

قليلٌ، كثيرُ ضُروبِ الخُطوط،
وأخرسُ، مُسْتَمِعُ المَنْطِقِ

يَسيرُ بِرَكْبٍ ثلاثٍ عِجالٍ،
إذا ما حدا الفكرُ في مُهرقِ[1]

•

وقال آخرُ في القلم:

لكَ القَلَمُ المُطيعكَ، غيرَ أنّا
وَجدنا رسْمَهُ خيرَ المُطاعِ

له ذَوقان: من أرْيٍ هَنِيٍّ،
ومن شَريٍ وَبِيٍّ ذي امتناعِ[2]

---

١ اراد بركب ثلاث عجال: الاصابع الثلاث التي تمسك القلم.
٢ الاري: العسل. الشري: الحنظل.

أحذُّ اللَّفظ ، يَنْطِق عن سِواه ،
فيُسمِع ، وهو ليس بذي استماع[1]

إذا استسقى بلاغتك استهلّت ،
عليه ، سماء فِكْرك باندفاع

•

وقال :

وبيت بعَلْياء العَلاة ، بنيته
بأسمرَ مَشقوق الخَياشِم ، يُرْعَف[2]

كأنّ عليه ، مَلْبساً ، جلدَ حيّة
مُقيم ، فما يَمضي وما يتخلّف

جليلُ شُؤون الخَطْب ، ما كان راكباً
يسيرُ ، وإنْ أرجلتَه ، فمُضَعَّف[3]

•

وقال حبيبُ بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لك القلمُ الأعلى الذي بشَباته ،
يُصاب من الأمر الكُلى والمَفاصِلُ

---

١ احذ اللفظ : ماضيه ، سريع نفاذه .
٢ اراد بالاسمر : القلم . يرعف : استعار الارعاف وهو سيلان الدم لسيلان الحبر .
٣ راكباً : اي راكباً على الاصابع ، واذا ازلته عنها يصير ضعيفاً .

لُعاب الأفاعي القاتلات لُعابُه،
وأريُ الجنَى اشتارته أيدٍ عواسِلِ

له ريقةٌ طَلٌّ، ولكنّ وقعَها
بآثاره، في الشرق والغَرب، وابل

فصيحٌ إذا استنطقتَه، وهو راكبٌ؛
وأعجمُ، إن خاطبتَه، وهو راجل

إذا ما امتطى الخمسَ اللطاف،وأفرغت
عليه شِعابُ الفِكر، وَهيَ حَوافل

أطاعته أطرافُ القنا، وتقوّضت،
لنَجواه تقويضَ الخِيام، الجَحافل

اذا استغزر الذهنَ الجليّ، وأقبلت
أعاليه في القِرطاس، وهي أسافلُ

وقد رَفدته الخنصران، وسدّدت،
ثلاثَ نواحيه، الثلاثُ الأنامل

رأيتَ جليلاً شأنهُ، وهو مُرهَفٌ
ضَنًى، وسميناً خَطبهُ، وهو ناحِلُ

٦

ولمّا قال حبيب هذا الشعرَ حسدَه الخَثعَميّ ، فقال لابن الزيّات :

مـــا خُطبة القلم ، التي أنبيتَها ،
وردت عليك لشاعرٍ مجـــدودِ

•

وأنشد البُحتريّ لنفسه يصف قلم الحسن بن وَهْب :

وإذا تألّق في النّديّ كلامُه المَصقول ،
خِلتَ لسَانَـــه من عَضْبِهِ

وإذا دجَت أقلامُه ، ثم انتحت ،
بَرَقَت مصابيحُ الدُّجى في كُتْبه

باللّفظِ يَقربُ فَهْمُهُ ، في بُعده ،
منّـا ، ويَبعد نَيْلُه في قربـِه

حِكَمٌ ، فسائحُها ، خِلالَ بنانه ،
متـدفّق ، وقَليبُهـا في قلبـه

وكأنها ، والسّمعُ معقودٌ بهـا ،
شخصُ الحبيب بـدا لعينِ مُحبّه

•

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتّاب ويصف القلم :

قَلَمُ الكتابة في يمينـك آمِنٌ ،
ممّا يَعود عليه ، فيما يكتُبُ

قلمٌ بـه ظِفْرُ العدوّ مُقلَّمٌ ،
وهو الأمانُ لما يُخافُ ويُرْهَبُ[1]

يُبْدي السرائرَ ، وهو عنها مُحْجَبٌ ،
ولسانُ حجّته بصَمت يُعْرِبُ

●

ومن قولنا في القلم :

بكفّه ساحرُ البيـانِ ، إذا
أداره في صحيفـةٍ سَحَـرا

يَنطِق ، في عُجمة ، بلفظته ،
تُصَمّ عنها ، وتُسمِع البَصَرا

نوادرٌ ، يَقرَع القلوبَ بهـا ،
إنْ تَستَبِنْها وجدتَها صُوَرا

---

١ مقلم : مقصوص .

نظامُ دُرِّ الكلامِ ضمَّنه
سِلكاً ، لخطّ الكتابِ مُستطَرا[1]

إذا امتطى الخِنصرين أذكرَ مِن
سَحبانَ ، فيما أطال واختصرا[2]

يُخاطبُ الغائبَ البعيدَ بما
يخاطِبُ الشاهدَ ، الذي حضرا

ترى المقاديرَ تستدفّ له ،
وتنفُذُ الحادثاتُ ما أمَرا[3]

شَخْتٌ ، ضئيلٌ ، لفِعْله خطرٌ ،
أعظِم بهِ ، في مُلمّة ، خطرا[4]

تَمُجّ فكّاه ريقةً صَغُرتْ ،
وخَطْبُها في القلوبِ قد كبُرا

تُواقِعُ النفسُ منه ما حذِرت ،
وربما جُنِّبتْ به الحَذرا

---

١ مستطراً : مكتوباً .
٢ سحبان : هو سحبان وائل الذي ضرب العرب المثل بفصاحته .
٣ تستدف : تسهل .
٤ الشخت : الدقيق .

مُهفهَف ، تَزدهي بـه صُحف ،
كأنما حُليَتْ بــه دُررا

كأنما تَرتـع العيونُ ، بها ،
خلالَ رَوْض ، مُكلل َزهَرا

إن قُرِّبت مُرِّطت طوابعُها ،
مـا فُضَّ طينٌ لها ولا كُسِرا[1]

يكادُ عنوانها ، لرَوْعتـه ،
يُنبيك عن سِرِّها الذي استترا

•

ومن أحسن ما شُبّهت به الأقلام وشُبّه بها قول ذي الرُّمّة :

كأنَّ أنوف الطيرِ ، في عَرَصاتها ،
خراطيمُ أقلامٍ تَخُطُّ وتُعجِمُ

•

ومثلُه قول عديٍّ بن الرِّقاع في ولد البقرة :

تُزجي أغنَّ ، كأنَّ إبرة رَوْقه
قلمٌ ، أصاب من الدَّواة مِدادَها

•

---

١ مرطت : نزعت وتطايرت ، والمراد فضّت .

ومن قولنا :

يخرُجْنَ من فُرُجاتِ النّقع دامية ،
كأنّ آذانَها أطرافُ أقلامِ

•

ومنه قول المأمون :

كأنما قابلَ القرطاسُ ، إذ مُشِقت
منها ، ثلاثةَ أقلامٍ على قلمِ [1]

•

ومثله قولنا :

إذا أدارت بنانُه قلماً ،
لم تدْرِ للشّبه أيّها القلمُ

•

ومن قولنا في الأقلام :

ومعشرٍ ، تنطِق أقلامُهم ،
بحكمة ، تلقنها الأعينُ

تلفظُها ، في الصكّ ، اقلامُهم ،
كأنما أقلامهم ألسنُ

•

---

١ مشقت : استدقت .

ومن قولنا في الاقلام :

يا كاتباً ، نقشت أناملُ كفّه
سِحرَ البيان ، بلا لسان يَنطِقُ

إلا صقيلَ المتن مَلمُوم القُوى،
حُدّت لهازمُه وشُقّ المَفرِق

فإذا تكلّم رغبةً ، أو رَهبةً ،
في مَغربٍ أصغى اليه المَشرق

يَجري بريقةِ أرْبه أو شَرْبه ،
يَبكي ويضحك من سُراه المُهرق[1]

•

ولعبد الله بن المعتز كلامٌ يصف فيه القلم : القلم يخدُم الإرادة، ولا يملّ الاستزادة ؛ يسكت واقفاً، وينطِق ساكناً ؛ على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء .

•

وقال سليمان بنُ وَهْب ، وزير المهديّ : كل قلم تُطيل

---

١ المهرق : القرطاس .

جِلْفته[1] فإن الخط يخرج به أوقص[2].

•

وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط، فكتب اليه : أما بعد، فليكن قلمك بحريّاً، لا سميناً ولا رقيقاً، ما بين الرقّة والغِلَظ ، ضيّق النّقب . فابرِه برياً مُستوياً كمِنقار الحمامة ، اعطف قَطّته ، ورقّق شَفرته .

وليكن مداذُك صافياً ، خفيفاً إذا استمددت منه ، فانقعه ليلة ثم صَفّه في الدواة .

وليكن قِرْطاسك رقيقاً مُستوي النّسج ، تخرج السّحاةُ مستوية من أحد الطرفين إلى الآخر ، فليست تستقيم السطور إلاّ فيما كان كذلك .

وليكن أكثرَ تمطيطك في طرفِ القرطاس الذي في يسارك وأقلّه في الوسط ، ولا تمطّ في الطرف الآخر ، ولا تمطّ كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة ، ولا تترك الاخرى بغير مطّ ؛ فإنك إذا فرّقت القليل كان قبيحاً ، وإذا جَمعتَ الكثير كان سمجاً .

ثم ابتدىء الألف برأس القلم كله واخطُطه بعرضه واخْتمه بأسفله .

---

١ جلفته : بريته .

٢ الاوقص : القصير العنق مع ميل ، والكلام على التشبيه .

واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطّة العُليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، ورأس كل مُرسَل ، برأس القلم .

واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء ، والمطّة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، بالسن السُّفلى من القلم ، وامطُط بعرض القلم .

والمطّ نِصف الخط ، ولا يقوى عليه إلاّ العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضاً إلاّ بالنّظر إلى اليد في استعمالها الحركة ، والسلام .

•

وقال ابنُ طاهر لكاتبه : ألِق دَواتك ، وأطل سِنّ قلمك ، وفرّج بين السطور ، وقَرمط[1] بين الحروف .

•

وقال إبراهيم بن جبلة : مَرّ بي عبدُ الحميد ، وأنا أخط خطّاً رديئاً ، فقال لي : اتحب ان يجود خطّك ؟

قلت : بلى .

قال : أطِل جِلفة القلم وأسمِنها ، وحرّف قَطّتك وأيمنها .

---

١ قرمط : قارب .

ففعلت فجاد خطي .

•

وقال العتّابي : ببُكاء القلم تبتسم الكتب .

•

وقال بعض الحكماء : أمرُ الدين والدنيا تحت شباة السيف والقلم .

•

وقال حبيب الطائي :

لولا مُناشدةُ القُربى لغادركم
حصائدَ المُرْهفَين : السيفِ والقلمِ

•

وقال أرسطاطاليس : عقول الرّجال تحت سنّ أقلامهم .

•

وقال أبو حكيمة : كنتُ أكتب المصاحف ، فمرّ بي عليّ ابن أبي طالب كرّم الله وجهه ، فقال : أجْلل قلمك .

فقصمتُ من قلمي قصمة .

فقال : هكذا ، نوّره كما نوّره الله .

•

وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مَشقاً[1]، وقال: أجود الخطّ أبيَنه.

•

وقال سليمان بن وهب: زيّنوا خُطوطكم بإسبال ذوائبها.

•

وقال عمرو بن مسعدة: الخط صورة ضئيلة، لها معانٍ جليلة، وربما ضاق على العيون، وقد ملأ أقطار الظنّون.

•

وذكر علي بن عُبيدة القلم فقال: أصمّ يسمع النّجوى، أعيا من باقل، وأبلغ من سحبان وائل، يجهل الشاهد، ويخبر الغائب، ويجعل الكتب بين الاخوان ألسناً ناطقة، وأعيُناً لاحظة، وربما ضمّنتها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الالسن عند المشاهدة.

•

وقال أحمد بن يوسف الكاتب: ما عبراتُ الغواني في خُدودهنّ بأحسن من عبرات الأقلام في خُدود الكتب.

•

---

١ المشق في الكتابة: مد حروفها.

وقال العتّابي : الأقلام مطايا الفطن .

•

وتخاير[1] غلامان في بعض الدواوين فقاما إلى استاذهما يعرضان عليه خطوطهما ، فكره أن يُفضّل أحدهما على الآخر، فقال لأحدهما : أما خطّك أنت فوَشيٌ محوك . وقال للآخر : وأمــا خطّك انت فذهب مَسبوك ، تكافيتما في غاية وتوافيتما في نهاية .

•

وقال آخر : دخلتُ الديوان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيبُ عِقيان وعليه مكتوب :

وا بأبي ، وا بأبي ، من كفّ من يكتب بي

•

وقال أبو هِفّان يصف القلم :

وإذا أمرّ ، على المهارق ، كفّه ،
بأنامل ٍ يحملنَ شَخْتاً مُرْهَفا

---

١ تخاير : تفاخر .

ومقصّراً ، ومُطوّلاً ، ومقطّعاً ،
ومُوصّلا ، ومشتّتاً ، ومؤلّفا

كالحيّة الرّقشاء ، إلاّ أنه
يستنزل الأرْوى إليه تلطّفا[1]

يجفو بها قلمٌ يمُجُّ لُعابَه ،
فيعود سيفاً صارماً ، ومثقّفا

•

وقال آخر في وصف الدواة :

ومُسودّةِ الأرجاءِ قد خُضتُ حالَها ،
ورويّتُ من قَعرٍ لها ، غيرِ مُنبَطِ ،[2]

خميصَ الحشى ، يَروى على كلّ مشربٍ ،
أميناً على سرّ الأمين المُسلّطِ

•

١ الأروى : اناث الوعول ، الواحدة أروية .
٢ الحال : الطين الاسود ، أراد به الحبر . المنبط ، من أنبط الماء : استخرجه .

وقال بعض الكتّاب :

ومـا رَوْض الربيعِ ، وقـد زهاه
نَدى الأسحـارِ ، يأرَج بالغـداةِ ،

بأضوعَ ، أو بأسطعَ من نسيمٍ ،
تؤدّيـه الأفـاوه من دواةِ

•

وقال آخر في وصف محبرة :

ولُجّةِ بحرٍ أجمّ العُبا ب، بادٍ، وأمواجُه تزخَرُ
إذا غاص فيه أخو غَوصة ، سريعُ السّباحةِ ما يَفتُر
فأنفِسْ بذلك من غائص ، بديعُ الكلامِ له جوهر
وأكرِم ببحرٍ له لُجّة ، جواهرُها حِكَمٌ تُنثَرُ

•

وقال ثُمامةُ بن أشرس : ما أثّرته الاقلام لم تَطمع في درسه الأيام .

•

ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تخطّ خطّاً حسناً ، فقال فيها :

وزادت لدينا حُظوةٌ حين أطرقت ،
وفي إصبعيها أسمرُ اللّونِ ، أهيفُ

أصمُّ ، سميعٌ ، ساكنٌ ، متحرّكٌ ،
ينال جَسيمات المُنى ، وهو أعجفُ

•

وقال بعض الكتّاب :

إذا ما التقينا وانتضينا صوارماً ،
يكاد يُصِمُّ ، السامعين ، صريرُها

تَساقطُ ، في القِرطاسِ ، منها بدائع ،
كمِثلِ اللآلي ، نظمُها ونثيرُها

•

قال بِشر بن المُعتمر : القلب مَعدِن ، والحِلم جوهر ، واللسانُ مُستنبط ، والقلم صائغ ، والخط صيغة .

•

وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا رَعف أعلنَ أسراره ، وأبان آثاره .

•

وقالوا : حسن الخطّ يناضل عن صاحبه ، ويوضّح الحجّة ، ويمكن له دَرَك البُغية .

•

وقال آخر : الخطّ الرديء زمانة[١] الأديب .

•

وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال ، منها : جَودة بَرْي القلم ، وإطالة جِلفته ، وتحريف قَطّته ، وحسن التأتّي لإمطاء الأنامل[٢]، وإرسال المَدّة بقدر اتساع الحروف ، والتحرّز عند فراغها من الكسوف ، وترْك الشكل على الخطأ ، والإعجام على التّصحيف، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع .

•

وقال سعيد بن حُميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلمَه في أحسن أجزائه وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويُعطيه من القرطاس حقّه .

•

وقال عبد الله بن عبّاس : كل كتاب غير مختوم فهو غُفْل .

•

وفي تفسير قول الله تعالى : «إنّي أُلقي إليّ كتابٌ كريم .» قال : مختوم .

•

١ الزمانة : العاهة .
٢ امطاء الانامل : جعل القلم يمتطيها ، يركب عليها ، او جعلها تمتطيه .

ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصّة قد أكثرَ صاحبُها إعجامَها، فقال: ما أحسنَ ما كتبت، إلاّ أنك أكثرت شونيزها[1].

•

وقال أبو عبيدة: لا يقال: كأس، إلاّ إذا كان فيها شراب، وإلاّ فهي زجاجة؛ ولا مائدة، إلاّ اذا كان عليها طعام، وإلا فهي خِوان؛ ولا قلم، إلاّ إذا بُرِيَ، وإلاّ فهو قصبة.

•

وقال آخر: جلوس الأدباء عند الورّاقين، وجلوس المخنّثين عند النخاسين، وجلوس الطفيليين عند الطبّاخين.

•

وكتب عليّ بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه: أما بعد، فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم الوسم، فحلّت محل الانساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصّحريّة[2] أسرع في الكواغد[3]، وأمرّ في الجلود، كما أنّ البحريّة منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، وأشدّ لتصريف الخطّ فيها.

---

١ الشونيز: الحبة السوداء.

٢ الصحرية: نسبة الى الصحرة وهي فضاء أملس بين أرضين، او فرجة في الجبال.

٣ الكواغد: الاوراق، القراطيس.

ونحن في بلد قليل القصب رديئه ، وقد أحببتُ أن تتقدّم في اختيار أقلام بحريّة ، وتتأنّق في انتقائها قِبَلك ، وتطلبها في مظانّها ومنابتها من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيمم باختيارك منها الشديدة المُحْص[1] ، الصُّلبة المَعَضّ ، النقيّة الجُدود ، القليلة الشُّحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المَحمِل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعدُ من الحَفاء .

وأن تقصد بانتقائك الرّقاق القضبان ، المقوّمات المتون ، المُلس المعاقد ، الصافية القُشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكُعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القَوام ، المستحكمة يُبساً ، وهي قائمة على أصولها ، لم تُعْجَل عن إبان يَنْعها ، ولم تؤخّر إلى الاوقات المَخوفة عليها من خَصَر الشتاء ، وعفَن الأنداء ، فإذا استجمعَتْ عندك أمرت بقَطعها ذراعاً ذراعاً ، قَطعاً رقيقا ، ثم عبّأت منها حُزَماً فيما يصونها من الاوعية ، ووجّهتَها مع مَن يؤدي الأمانة في حِراستها وحِفظها وإيصالها ، وكتبتَ معه رقعة بعدّتها وأصنافها ، بغير تأخير ولا توانٍ ، إن شاء الله تعالى .

---

[1] المحص : قوة الخلق مع ضمور .

قولهم في الحبر

قال بعض الكتّاب : عطّروا دفاتر آدابكم بجيّد الحبر ، فإن الأدب غَواني[1] والحبر غوالي[2] .

•

ونظر جعفر بن محمد الى فتى على ثيابه أثرُ المِداد وهو يستره ، فقال له :

لا تجزعنّ من المِداد ، فإنه
عِطرُ الرّجالِ وحِلْيةُ الكُتّابِ

•

وأتى وكيعَ بن الجرّاح رجلٌ يمتّ إليه بحُرمة ، فقال له : وما حُرمتك ؟

قال له : كنتَ تكتب من مِحبرتي عند الأعمش .

فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنانير ، وقال له : اعذُر فما أملك غيرها .

---

١ الغواني ، واحدتهن غانية : المستغنية بجمالها عن التجمل .
٢ الغوالي ، واحدتها غالية : خليط من الطيب .

وفي الاقلام

أهدى ابنُ الحَرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاماً وكتب إليه : إنه لما كانت الكتابة ، أبقاك الله ، أعظمَ الأمور ، وقِوامَ الخلافة ، وعمودَ المملكة ، خصصتُك من آلتها بما يخفّ مَحمله ، وتثقل قيمته ، ويَعْظُم نفعه ، ويجلُّ خَطَره ، وهي أقلامٌ من القصب النابت في الصَّخْر ، الذي نَشِف في حرّ الهجير ماؤه ، وستره من تلويحه غشاؤه ، فهي كاللآلىء المكنونة في الصَّدَف ، والأنوار المحجوبة في السُّدَف ، تِبريّة القشور ، دُرّيّة الظهور ، فِضّيّة الكسور ، قد كستها الطبيعة جواهرَ كالوَشي المُحبَّر ، وفِرِنْدِ الدّيباج[1] المُنيَّر[2] .

١ فرند الديباج : أي ثوب الديباج .
٢ المنيّر : الذي جعل له نير وهو هدب الثوب ولحمته .

قولهم في الصحف

نِعْمَ الأنيسُ، إذا خلوتَ، كتابُ،
تلهو بـه إن ملّك الأحبابُ

لا مُفشِياً سرّاً، إذا استودعتَه،
وتُفـاد منه حِكمةٌ وصواب

•

وقال آخر :

ولكلّ صاحبِ لذّةٍ متنزّهٌ،
أبداً، ونُزهة عالمٍ في كُتْبِهِ

•

وقال حبيب :

مِدادٌ مثلُ خافيةِ الغُرابِ ؛
وقِرطاسٌ كرَقراقِ السّرابِ[1]

---

[1] الرقراق : المتلألىء .

وألفاظٌ كألفاظِ المثاني ؛
وخطٌّ مثلُ وَشْمِ يدِ الكَعابِ[1]

كتبتُ ، ولو قدرتُ هَوًى وشَوْقاً
إليك ، لكنتُ سطراً في الكتاب

وقال في صحيفة جاءته من عند الحسن بن وَهْب :

لقد جلّى كتابُكَ كلَّ بَثٍّ
جَوٍ ، وأصابَ شاكلةَ الرَّميِّ[2]

فضضتُ ختامَهُ ، فتبلّجتْ لي
غرائبُهُ ، عن الخبرِ الجليِّ

وكان أغضَّ في عيني ، وأندى
على كبدي ، من الزهرِ الجنيِّ

وأحسنَ موقعاً منّي ، وعندي ،
من البُشرى ، أتت بعد النعيِّ

وضُمِّنَ صدرُهُ ما لم تُضَمَّنْ
صدورُ الغانياتِ ، من الحُليِّ

---

١ المثاني : آيات القرآن : أوتار العود . الكعاب : الفتاة الناهد .
٢ البثّ : الحزن . جوٍ : شديد . شاكلة : خاصرة . الرمي : المرمي بالسهام .

فكائنْ فيه من معنىً خطيرٍ ؛
وكائنْ فيه من لفظٍ بهيّ

فيا ثَلَجَ الفؤاد ، وكان رَضْفاً ؛
ويا شِبَعي برَونقـه وريّي[1]

فكم أفصحتَ عن برٍّ جليلٍ
به ، ووأيتَ من وَأيٍ سَنيّ[2]

كتبتَ به ، بلا لفظٍ كريه ،
على أذن ، ولا خطٍّ قميّ[3]

رسالةَ من تمتّع ، منذُ حينٍ ،
ومتّعنا من الأدبِ الرّضيّ

لئن غرّبتها ، في الأرضِ ، بِكراً ؛
لقد زُفّت إلى قلبٍ وفيّ

وإن يكُ من هداياك الصّفايا ؛
فرُبّ هديّةٍ لك كالهديّ[4]

•

---

١ الرضف : الحجارة المحماة .
٢ الوأي : الوعد .
٣ القمي ، مسهل قميء : الصغير الذليل .
٤ الهدي : العروس .

وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوابة :

في كلّ يوم صدورُ الكُتْب صادرةٌ ،
من رأيه ، ونَدى كَفّيْه ، عن مُثُلِ

عن خطّ أقلامه خَطّ القضاءُ ، على الأعداء ،
بالموتِ بينَ البيضِ والأسَلِ

لُعابها عِلَلٌ في الصّدر ، تَنفثه ،
وربّما كان فيه النّفعُ للعِلَلِ

كأنّ أسطارَها ، في بَطْن مُهْرَقها ،
نَورٌ ، يُضاحك دمعَ الواكف الخَضِلِ

•

وقال البُحتريّ في محمد بن عبد الملك الزيات :

قد تصرّفتَ في الكتابة ، حتى
عَطّل الناسُ فنّ عبد الحَميدِ

في نظام ، من البلاغة ، ما شكّ
امرؤ أنّه نظامُ فريدِ[1]

---

١ الفريد : اللؤلؤ ، الدرّ .

وبَديع كأنه الزَّهَر الضاحك ،
في رَوْنق الرَّبيع الجديـدِ

ما أعيرت منه بُطونُ القراطيس ،
ومـا حُمّلت ظُهورُ البريدِ

حُجج تُخرِس الألدَّ بألفـاظٍ
فُرادى ، كالجَوْهر المعْـدودِ

حُزْنَ مُستعملَ الكلامِ اختياراً ؛
وتجنّبن ظُلْمـة التعقيدِ

كالعَذارى غَدَوْن في الحُلل البيض ،
إذا رُحْن في الخُطوط السُّودِ

•

وقال عليّ بن الجهم في رقعة جاءته بخطّ جيّد :

ما رُقعة جاءتك مَثْنيّةٌ ،
كأنها خـدٌّ على خـدّ

نَثْر سواد في بياضٍ ، كما
ذُرّ فَتيتُ المِسْك في الوَرْد

ساهمةُ الأسْطُر ، مصروفة ،
عن جهة الهَزْل ، إلى الجِدّ

يا كاتباً أسلمني عَتْبُهُ ،
إليكَ ، حَسْبي منك ما عِندي

•

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيبانيّ : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحقي إلى الفضل بن يحيى بن خالد رقعة بأبيات له يصف فيها قامته ، وكثافة لحيته ، وحلاوة شمائله ، وبراعة أدبه ، وبلاغة قلمه ، فقال :

أنا من بُغية الأميرِ ، وكَنْزٌ
من كُنوز الأمير ، ذو أرباحِ

كاتبٌ ، حاسبٌ ، أديبٌ ، لبيبٌ ،
ناصحٌ ، زائد على النُّصّاح

شاعرٌ مُفْلِق ، أخفُّ من الريشة ،
مما تكون تحت الجناح

ليَ في النّحو فِطنةٌ ونَفاذ ،
أنا فيه قِلادةٌ بوِشاح

لو رمى بي الأميرُ ، أصلحه الله ،
رِماحاً ، صدمتُ حدَّ الرِّماح

ثم أروى من ابن سيرين ، في الفِقْه ،
بقول مُنَوَّرِ الإفصاح

لستُ بالضّخم في رِوائي ، ولا القَدْمِ ،
ولا بالمُجعّد الدَّحداح[1]

لحيةٌ كَثّة ، وأنفٌ طويل ،
واتقاد كشُعلة المصباح

وكثير الحديث من مُلح الناس ،
بصيرٌ بخافياتٍ مِلاح

كم وكم قد خبأتُ عندي حديثاً ،
هو عند الأمير كالتّفاح

أيمنُ الناس طائراً ، يومَ صَيْدٍ ،
في غُدوٍّ ، أو بُكرة ، أو رَواح

أعلم الناس بالجَوارح والصّيد ،
وبالخُرّد الحِسانِ المِلاح

---

[1] القدم : الجاهل . الدحداح : القصير .

كُل هذا جمعتُ ، والحمد لله ،
على أنني ظريفُ المِزاح

لستُ بالناسكِ المُشمّرِ ثوبَيْه ،
ولا الفاتِـك الخليع الوَقاح

لو دعاني الأميرُ عـاين منّي
شَمّريّاً ، كالبُلبل الصـدّاح[1]

قال : فدعاه . فلما دخل عليه أتاه كتاب من ارْمينيَـة فرمى به إليه وقال له : أجِبْ .

فأجاب بما في غرضـه وأحسن . فأمر له بألف ألف درهم ، وكُنا نراه أولَ داخل وآخر خارج ، وكان إذا ركب فركابه مع ركابه .

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعر أبا نواس فقال :

أنت أولى بقِلّـة الحظّ منّي ،
يا مُسمّى بالبُلبل الصـدّاحِ

قَبِلوا منـه ، حين عزّ لديهم ،
أخرسَ القَول ، غيرَ ذي إفصـاح

---

١ الشمري : الماضي في الأمور ، المجرب .

ثم بالريش شبه النفس في الخفة ،
مما يكون تحت الجناح

فإذا الشمّ من شماريخ رضوى ،
خفة عنده ، نوى المسباح[1]

لم يكن فيك غير شيئين ، مما
قلتَ في نعت خلقك الدحداح

لحيةٌ جعدة ، وأنفٌ طويلٌ ،
وسوى ذاك ذاهبٌ في الرياح

فيك ما يحمل الملوكَ على السخف ،
ويزري بالماجد الجحجاح

باردُ الظرف ، مظلمُ اللبّ ، تياهٌ ،
معيدُ الحديث ، سمج المزاح

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألفَ ألفِ درهم .

فبعث إليه أبو نواس : لو أعطيتني مائةَ ألفِ ألفِ درهم لم أجد بدّاً من إذاعتها .

---

١ الشماريخ ، واحدها شمراخ : رأس الجبل . نوى : حب . المسباح : السبحة .

فيقال : إنّ الفضل بن يحيى لما سمع شعرَ أبي نُواس قال : لا حاجةَ لي في أبان ، لقد رُمي بخمس في بيتٍ لا يقبله على واحدة منهنّ إلا جاهل .

فقيل له : كذب عليه .

فقال : قد قبل ذلك ، فأقصاه .

وإنما أغرى أبا نُواس بهذا الكاتب أبانِ بن عبد الحميد اللاحقي أنّ الفضل بن يحيى أعطاه مالاً يُفرّقه في الشعراء ويُعطي كلّ واحدٍ على قَدره ، فبعث إلى أبي نُواس بدرْهم زائف ناقص ، وقال : إني أعطيتُ كلّ شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندي . فهجاه لذلك .

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كتب إليه سعدُ بن أبي وقاص في بُنيان يَبنيه ، فوقّع في أسفل كتابه : ابنِ ما يُكنّك من الهواجر وأذى المَطر .

ووقّع إلى عمرو بن العاص : كُن لرعيّتك كما تُحب أن يكونَ لك أميرُك .

عثمان بن عفان رضي الله عنه

وقّع في قِصّة قوم تظلّموا من مَروان بن الحَكَم وذكروا أنّه أمر بوَجْء[1] أعناقهم : فإنْ عَصَوْكَ فقُل إنّي بريء مما تَعملون .

ووقّع في قصّة رجل شكا عَيْلةً : قد أمرنا لك بما يُقيمك ، وليس في مال الله فَضْل للمُسرف .

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وقّع إلى طلحة بن عُبيد الله : في بيته يؤتى الحَكَم .

ووقّع في كتاب جاءه من الحسن بن عليّ رضي الله عنهما :

---

[1] بوجء : بشق .

رأيُ الشَّيخ خير من مَشهد الغُلام .

ووقّع في كتاب سَلْمـان الفارسيّ ، وكان سأله كيف يُحاسَب الناسُ يوم القيامة : يُحاسَبون كما يُرْزقون .

ووقّع في كتاب الحُصين بن المُنذر إليه يذكر أنّ السيف قد أكثر في ربيعة : بقيّة السّيف أنمى عدداً .

وفي كتاب جاءه من الأشتر النّخَعي فيه بعضُ ما يَكره : مَن لك بأخيك كله .

وفي كتاب صَعصعة بن صَوْحان يسأله في شيء :

قيمةُ كل امرىء ما يُحسن .

معاوية بن ابي سفيان

كتب إليه عبدُ الله بن عامر في أمر عاتَبه فيه ، فوقّع في أسفل كتابه : بَيتُ أميّة في الجاهليّة أشرف من بيت حبيب . فأما في الإسلام ، فأنت تراه .

وفي كتاب عبد الله بن عامر يسأله أنْ يُقطعه مالاً بالطائف : عِشْ رَجَباً تَرَ عجباً .

وفي كتاب زياد يُخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته : إنّ أبا سفيان وأبا الفضل كانا في الجاهليّة في مِسْلاخ[1] واحد ،

---

١ المسلاخ : الاهاب ، الجلد .

وذلك حِلْف لا يَحُلّه سوءُ أدبك .

وكتب إليه ربيعةُ بن عِسْل اليَربوعيّ يسأله أن يُعينه في بناء داره بالبَصرة باثني عشر ألف جِذع : أدارُك في البَصرة أم البَصرةُ في دارك ؟

يزيد بن معاوية

ووقّع في كتاب عبد الله بن جعفر اليه يستميحه[1] لرجال من خاصّته : احكُم لهم بآمالهم الى منتهى آجالهم . فحكم بتسعمائة الف ، فأجازها .

وكتب اليه مسلم بن عُقبة المُرّي بالذي صنع أهلُ الحرّة ، فوقّع في أسفل كتابه : فلا تأسَ على القوم الفاسقين .

وفي كتاب مُسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه في الخراج : قليلُ العِتاب يُحكم مرائر الأسباب ، وكثيرُه يَقطع اواخي[2] الانساب .

ووقّع إلى عبد الرحمن بن زياد ، وهو عامله على خُراسان : القرابة واشجة ، والأفعال متُباينة ، فخُذ لِرَحمك مِن فِعلك .

---

١ يستميحه : يطلب منه السماح .

٢ الاواخي ، واحدتها الاخية : حبل يدفن في الارض مثنيًا فيخرج منه شبه حلقة تشد بها الدابة .

وإلى عُبيد الله بن زياد: أنتَ أحدُ أعضاء ابن عمّك فاحرص أن تكون كلّها .

عبد الملك بن مروان

وقّع في كتاب أتاه من الحجّاج : جَنّبني دماء بني عبد المُطلب ، فليس فيها شفاء من الطّلب .

وكتب إليه الحجّاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يُقاسي منهم ، ويستأذنه في قتل أشرافهم ، فوقّع له : إنّ من يُمن السائس أنْ يتألّف به المختلفون ، ومن شُؤمه أن يختلف به المُؤتلفون .

وفي كتاب الحجّاج يخبره بقوّة ابن الأشعث : بضَعْفك قَوي ، وبخُرقك طَلع .

ووقّع في كتاب ابن الأشعث :

فما بالُ مَن أسعى لأجْبُرَ عَظْمه ،
حِفاظاً ، ويَنْوي مِن سفاهته كَسْرِي ؟

ووقّع أيضاً في كتاب :

كيف يَرْجون سِقاطي ، بعدما
شَمل الرأسَ مَشيبٌ وصَلَعْ ؟

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجّاج لمّا بلغه أنه خَرِق[1] فيما خلّف له عبد الملك ، يُنكر ذلك عليه ويُعرّفه أنه على غير صواب ، فوقّع في كتابه : لأجمعنّ المال جَمْع مَن يعيش أبداً ، ولأفرقنّه تفريق مَن يموت غداً .

ووقّع إلى عمر بن عبد العزيز : قد رَأب الله بك الداء ، وأوْذم[2] بك السقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قُتيبة بن مُسلم إلى سليمان يتهدّده بالخَلع ، فوقّع في كتابه :

زَعم الفرزدقُ أنْ سيَقتل مَرْبَعاً ؛
أبشِرْ بطول سلامةٍ يا مَرْبَعُ

ووقّع في كتابه أيضاً : العاقبةُ للمتّقين .

وإلى قُتيبة أيضاً جوابَ وَعيده : وإنْ تَصْبِروا وتتّقوا لا يَضُرْكم كيدُهم شيئاً .

---

[1] خرق : لم يحسن التصرف .
[2] أوذم : شد .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العُمّال إليه يستأذنه في مرمّة مَدينته ، فوقّع أسفلَ كتابه : ابنها بالعَدْل ، ونَقِّ طرقها من الظلم .

وإلى بعض عُمّاله في مثل ذلك: حَصّنها ونَفسَك بتقوى الله.

وإلى رجل ولاّه الصّدقات ، وكان دميماً فعدل واحسن: ولا أقولُ للذين تَزْدَري أعينُكم لن يُؤتيَهم الله خيراً .

وكتب إليه صاحبُ العراق يُخبره عن سُوء طاعة أهلها ، فوقّع له : ارْضَ لهم ما تَرْضى لنفسك ، وخُذهم بجرائمهم بعد ذلك .

وإلى عديّ بن أرطاة في أمر عاتَبه عليه : إنّ آخر آية أنزلت « واتّقُوا يَوماً تُرْجَعُونَ فيه إلى الله » .

وإلى عامله على الكوفة ، وكتب إليه أنّه فَعل في أمر كما فعل عمرُ بن الخطّاب: اولئك الذين هَدى الله فبهداهم اقتدوا.

وإلى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقّع في كتابه : الله أعلم أنك لستَ أوّل خليفة تموت .

وأتاه كتاب عديّ يُخبره بسوء طاعة أهل الكُوفة ، فوقّع في كتابه: لا تَطلب طاعة مَن خَذل علياً، وكان إماماً مَرضياً.

وإلى عامله بالمدينة، وسأله أن يُعطيه موضعاً يَبْنيه، فوقّع:

كُنْ من الموت على حَذَر .

وفي قِصَّة مُتظلِّم : العدلُ إمامك .

وفي رُقعة محبوس : تُبْ تُطْلَق .

وفي رُقعة رجل قَتل : كتاب الله بَيْني وبَينك .

وفي رُقعة مُتنصِّح : لو ذكرتَ الموت شَغلك عن نصيحتك .

وفي رقعة رجل شكا أهل بيته : أنتما في الحقّ سِيّان .

وفي رُقعة امرأة حُبس زوجُها : الحقُّ حَبسه .

وفي رُقعة رجل تظلّم من ابنه : إنْ لم أُنصفك منه فأنا ظَلَمتُك .

يزيد بن عبد الملك

وقّع إلى صاحب خُراسان : لا يَغرّنّك حُسن رأيي فإنما تُفسده عَثْرة .

وإلى صاحب المدينة : عَثرت فاستقل .

وفي قصّة متظلّم : سَيَعلم الذين ظَلموا أيّ مُنْقَلب يَنقلبون .

وفي قصة متظلّم شكا بعضَ أهل بيته : ما كان عليك لو صَفحت عنه واستوصلتني[1] .

---

١ استوصلتني : طلبت وصلي ، أو صلتي .

في قصّة متظلّم : أتاك الغوث إن كنتَ صادقاً ، وحلّ بك النّكال إن كنتَ كاذباً ، فتقدّم أو تأخّر .

وفي قصّة قوم شكَوا أميرَهم : إنْ صحّ ما ادّعيتم عليه عَزلناه وعاقبناه .

وإلى صاحب خُراسان حين أمره بمُحاربة التّرك : احذر ليالي البَيات .

وإلى صاحب المدينة ، وكَتب يُخبره بوثوب أبناء الأنصار : احفظ فيهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهَبْهم له .

ووقّع في رُقعة محبوس لَزِمه الحدّ : نزل بحدّك الكتاب .

ووقّع في قصّة رجل شكا إليه الحاجةَ وكثرة العِيال وذكر أنّ له حُرمة : لعيالك في بَيت مال المسلمين سَهم ، ولك بحُرمتك مِنّا مِثْلاه .

وإلى عامله على العراق في أمر الخوارج : ضع سَيْفك في كلاب النّار ، وتقرّب إلى الله بقتل الكُفّار .

وإلى جماعة يشكون تعدّي عاملهم عليهم : لنفوّضنّكم ، فإني خَصم دونكم .

وفي كتاب عامله يُخبره فيه بقلّة الأمطار في بلده : مُرْهم بالاستغفار .

وإلى سهل بن سيّار : خَفِ اللهَ وإمامك فإنه يأخذك عند أوّل زلّة .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وقّع إلى مروان : أراك تُقدّم رِجلًا وتؤخّر أخرى[1] ، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت .

وإلى صاحب خُراسان في المُسوّدة : نَجَم أمرٌ أنت عنه نائم ، وما أراك منه أو منّي بسالم .

مروان بن محمد

كتب إلى نَصر بن سيّار في أمر أبي مُسلم : تحوّل الظاهر يدلّ على ضعف الباطن ، والله المُستعان .

ووقّع إلى ابن هُبيرة أمير خُراسان : الامر مُضطرب ، وأنت نائم وأنا ساهر .

وإلى حوثرة بن سُهيل حين وجّهه إلى قَحطبة : كن من بَيات المارقة على حذر .

ووقّع حين أتاه غرق قَحطبة وانهزام ابن هُبيرة : هـذا

---

[1] شبه تردد فكره في اتيان الأمر وعدمه بتردده في السير بتقديم رجل وتأخير اخرى وهو من المجاز المركب .

والله الإدبار ، وإلا فمن رأى مَيّتاً هَزَم حيّاً ؟

وفي جواب أبيات نصر بن سيّار إذ كتب إليه :

أرى خَلَلَ الرّماد وَميضَ جَمْرٍ ،
ويُوشك أن يكونَ له ضِرامُ :

الحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثُّؤلول[1] .

فكتب نصر : الثُّؤلول قد امتدّت أغصانُه ، وعظُمت نِكايته .

فوقّع إليه : يداك أوكَتا وفوكَ نَفَخ[2] .

١ الثؤلول : الخراج .
٢ مثل يضرب للذي لا يحتاط للامر ، فيقع منه في شرّ . اوكتا ، من اوكى القربة : ربط فاها .

توقيعات بني العباس

السفاح

كتب اليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أنّ منازلهم أخِذت منهم وأدخِلت في البناء الذي أمر به ولم يُعطَوا أثمانها ، فوقّع : هذا بناءٌ أُسِّس على غير تقوى ؛ ثم أمرَ بدفع قِيَم منازلهم إليهم .

ووقّع في كتاب أبي جعفر وهو يحارب ابن هُبَيرة بواسط : إنّ حلمك أفسد علمَك ، وتراخيَك أثّر في طاعتك ، فخُذْ لي منك ، ولك من نفسك .

ووقّع إليه في ابن هُبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرّة : لستُ منك ولست منّي إنْ لم تقتله .

وجاءه كتاب من أبي مُسلم يستأذنه في الحجّ وفي زيارته ، فوقّع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذنك لك .

ووقّع في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : مَن صَبرَ في الشدّة شارك في النّعمة ؛ ثم أمر بأرزاقهم .

وإلى عامل تُظلِّم منه : وما كنتُ متخذَ المضلّين عَضُداً .
وفي قومٍ شكوا غرق ضياعهم في ناحية الكوفة : وقيل بُعداً للقوم الظالمين .

ابو جعفر

وقّع في كتابه إلى عبدالله بن عليّ عمّه : لا تجعل للايام فيّ وفيك نصيباً من حوادثها .
ووقّع اليه أيضاً : « ادفع بالتي هي أحسن » ، إلى قوله : « وما يُلقّاها إلا ّ ذو حَظّ ٍ عظيم » ، فاجعل الحظ لي دونك يكن لك كلّه .
ووقّع إلى عبد الحميد صاحب خراسان : شكوتَ فأشكيناك[1] ، وعتبتَ فأعتبناك[2] ؛ ثم خرجتَ عن العامة ، فتأهّب لفراق السلامة .
وإلى أهل الكوفة ، وشكوا عاملَهم: كما تكونون يؤمّر عليكم .
وإلى قومٍ تظلّموا من عاملهم : لا ينالُ عهدي الظالمين .
وفي قصّة رجل شكا عَيْلة : سَل الله مِن رزقه .

---

١ اشكيناك : قبلنا شكواك .
٢ اعتبناك : أزلنا عتبك .

وفي قصّة رجل سأله أن يبني بقُربه مسجداً فإن مُصلاّه على بُعْد : ذلك أعظم لثوابك .

وفي قصّة رجل قُطعتْ عنه أرزاقُه : « ما يَفتَحِ اللهُ للناسِ مِن رحمةٍ فلا مُمسِكَ لها » الآية .

وفي قصّة رجل شكا الدَّين : إن كان دَيْنُك في مَرضاةِ الله قضاه .

وإلى صارورةٍ[1] سأله أن يَحُج : « ولله على الناسِ حِجُّ البيتِ مَن استطاع اليه سبيلاً . »

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طَهِّر عسكرك من الفساد يُعطِكَ النِّيلُ القِياد .

وإلى عامله على حِمص ، وجاءه منه كتابٌ فيه خطأ : استبدل بكاتبك وإلاّ استُبدِل بك .

وإلى صاحب ارمينية : إنّ لي في قفاك عيناً ، وبين عينيك عيناً ، ولها أربع آذان .

وإلى رجل استوصله : لا مانعَ لما أعطاه الله .

وفي كتابٍ أتاه من صاحب الهند يخبره أنّ جُنداً شَغَبوا عليه وكَسَروا أقفال بيت المال فأخذوا أرزاقهم منه : لو عدلتَ لم يَشغبوا ، ولو وفّيت لم يَنهبوا .

---

[1] الصارورة : الذي لم يحج .

المهـــدي

وقّع في قصّة متظلمين شكَوا بعض عُمّاله : لو كان عيسى عاملكم قُدناه إلى الحق كما يُقاد الجمل المخشوش[1]، يريد عيسى ولدَه .

ووقّع إلى صاحب ارمينية، وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : خُذِ العفوَ وأمُرْ بالعُرفِ وأعْرِض عن الجاهلين .

وإلى صاحب خُراسان في أمرٍ جاءه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفي قصة قوم أصابَهم قَحْط : يُقدَّر لهم قُوتُ سنةَ القَحط والسَّنة التي تليها .

وإلى شاعر ، أظنه مروان بن أبي حفصة : أسرَفتَ في مديحك فقصَّرنا في حِبائك .

وفي قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضي به دينَك ، وتُقِرُّ به عينك .

وفي قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوثُ .

وإلى رجل من بطانته استوصله : ليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

---

١ الجمل المخشوش : الذي يدخل في عظم أنفه خشبة .

وفي قصّة قوم تظلّموا من عاملهم وسألوه إشخاصه الى بابه: قد أنصف القارة[1] من راماها .

وفي قصة رجل حُبس في دَم : ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب .

وإلى صاحب خُراسان ، وكتب اليه يُخبره بغلاء الأسعار: خُذهم بالعدل في المِكيال والميزان .

وإلى يوسُف البَرَم حين خَرَج بخراسان : لك أماني ومؤكد أيماني .

موسى الهادي

كتب إلى الحسن بن قَحطبة في أمر راجعه فيه: قد أنكرناك منذُ لزمتَ أبا حنيفة ، كفاناه الله .

وإلى صاحب إفريقية في أمرٍ فرط منه : يابن اللّخناء[2] ، أنّى تَتمرّس[3] .

---

١ القارة : قبيلة مشهورة بالرماية .
٢ اللخناء : المنتنة .
٣ تتمرس : تمارس الفتن .

ووقّع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرحك لا يتّسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أنْ تُخرّب خزانتي وخزانة أخي يوسف ، فيأتيكَ منّي ما لا قِبَل لك به ، ومن الله أكثر منه .

ووقّع في قصة رجل من البرامكة : أنبتَتْه الطاعةُ وحَصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كُن منّي على مثل ليلة البَيات .

وإلى عامل خراسان : إنّ الملوك يُؤثَر عنهم الحَزم .

وإلى خُزيمة بن خازم ، إذ كتب اليه أنه وضع فيهم السيفَ حين دخل أرض إرمينية : لا أم لك ! تقتل بالذّنب مَن لا ذنب له .

وفي قصّة محبوس : مَن لجأ إلى الله نجا .

وفي قصة متظلّم : لا يُجاوَز بك العدل ، ولا يُقصّر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السّند ، إذ ظهرت العصبيّة : كلّ من دعا إلى الجاهلية ، تَعجّلَ إلى المنية .

وإلى عامله على خراسان : كُلُّ من رفع رأسه فأزِله عن بَدنه .

وفي رُقعة متظلّم مِن عامله على الأهواز ، وكان بالمتظلّم عارفاً : قد ولّيناك موضعَه فتنكّبْ[1] سيرته .

وفي كتاب بكّار الزُّبيري إليه يُخبره بِسرّ من أسرار الطالبيّين : جزى الله الفضلَ خيرَ الجزاء في اختياره إيّاك ، وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحُسن نيّتك .

وإلى محفوظ صاحب خراج مِصر : يا محفوظ ، اجعل خَرج مصر خرجاً[2] واحداً وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضَع رجليك على رقاب أهل هذا البَطْن ، فإنهم قد أطالوا ليلي بالسُّهاد ، ونفوا عن عيني لذيذَ الرقاد .

ووقّع إلى السِّنديّ بن شاهك : خَفِ الله وإمامَك فهما نجاتُك .

وإلى سُليمان بن أبي جعفر في كتاب وَرد عليه منه يذكر فيه وُثوب أهل دِمشق : استحييتُ لشيخٍ ولده المَنصور أن يهرُب عمّن وَلَدته كِندة وطيىء ، فهلا قابلتهم بوجهك ، وأبديتَ لهم صفحتك ، وكنتَ كمروان ابن عمك إذ خرج

---

١ تنكب : تجنّب .
٢ الخرج كالخراج : الاتاوة .

مُصلتاً سيفَه متمثلا ببيت الجحّاف بن حُكيم :

مُتقلّدين صَفائحاً هِندية ،
يَتركن مَن ضَربوا كمن لم يولَدِ

فجالدَ به حتى قُتل ، لله أم ولدته ، وأبٌ أنهضه !

وكتب مُتملّك الروم إلى هارون الرشيد : إني متوجّه نحوك بكل صليب في مملكتي ، وكل بَطل في جُندي . فوقّع في كتابه : سيَعلم الكافر لمن عُقبى الدّار .

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحَبس حين أحسّ بالموت : قد تقدّم الخَصم إلى موقف الفَصل ، وأنت بالأثر ، والله الحَكَم العدل ، وستُقدّم فتَعلم .

فوقّع فيه الرشيد : الحَكَم الذي رَضيتَه في الآخرة لك هو الذي أعدى الخَصم في الدنيا عليك ، وهو مَن لا يُردّ حُكمه ، ولا يُصرف قضاؤه .

المأمون

وقّع إلى علي بن هشام في أمر تظلّم فيه منه : مِن علامة الشّريف أن يَظلم مَن فوقه ويَظلمه مَن دونه ، فأيّ الرجلين أنت ؟

وإلى هشام : لا أدنيك ولك ببابي خَصم .

وإلى الرُستمي في قصة من تظلّم منه : ليس من المروءة أن تكون آنيتُك من ذهب وفضّة ، وغريمُك خاوٍ ، وجارك طاوٍ .

وفي قصّة متظلّم من عمرو بن مسعدة : يا عمرو ، اعمر نِعمتك بالعدل ، فإنّ الجَور يَهدمها .

وفي قصة متظلّم من أبي عبّاد : يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

وفي قصة متظلّم من أبي عيسى أخيه : فإذا نُفخ في الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذ ولا يتساءلون .

وفي قصة متظلّم من حُميد الطّوسيّ : يا أبا غانم ، لا تَغترّ بموضعك من إمامك ، فإنك وأخسّ عَبيده في الحق سيّان .

وإلى طاهر صاحب خراسان : احمد الله أبا الطيّب إذ أحلّك من خليفته محلّ نفسه ، فما لك مَوضع تسمو إليه نفسُك إلا وأنت فوقه عنده .

وفي كتاب بِشر بن داود : هذا أمان عاقدتُ الله عليه في مُناجاتي إيّاه .

وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فَدَك[1] حين أمره بردّها : قد أرضيتَ خليفة الله في فَدَك كما أرضى الله رسوله فيها .

---

١ فدك : قرية بالحجاز كانت للنبي فيئاً .

وفي قصة متظلّم من محمد بن الفَضل الطّوسي: قد احتملنا بَذاءك وشَكاسة خُلقك ، فأمّا ظُلمك للرعيّة فإنا لا نَحتمله .

ووقّع إلى بعض عمّاله : طالعْ كلّ ناحيـة من نواحيك ، وقاصية من أقاصيك ، بما فيه استصلاحُها .

وكتب إليه إبراهيم بن المهـديّ في كلام له : إن غَفرتَ فبفَضلك ، وإن أخذتَ فبحقّك . فوقّع في كتابه : القُـدرة تُذهب الحَفيظة ، والنّـدم جُزء من التوبة ، وبينهما عفو الله .

ووقّع في رُقعة مولى طلب كُسوة : لو أردتَ الكُسوة للزمتَ الخدمة ، ولكنك آثرت الرُّقاد ، فحظك الرُّؤيا .

ووقّع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه، وقد وافته الأموال : يؤمر له بخمسمائة ألف لطول هِمّته . ولثُمامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه ما لا يَعنيه . ولأبي محمد اليَزيدي: يؤمر له بخمسمائة ألف لِكِبَره . وللمعلّى بخمسمائة ألف لصحيح نيّته . ولإسحاق ابن إبراهيم بخمسمائة ألفٍ لِصدْق لهجتـه . وللعباس بخمسمائة ألف لفَصاحة منَطقه . ولأحمد بن أبي خالد بألف ألف لمُخالفة شهوته . ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دَمعتـه . وللمريسي بثلثمائة ألف لإسباغ وضوئه . ولعبد الله بن بِشْر بمثلها لحُسن وجهه .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وقّع إلى بعض عمّاله : قد كنتَ على الدُّعّار ، وإخالك داعراً[1] .

وكتبتْ إليه عائشة في وَصاة برجل ، فوقّع في كتابها : هو بيْن أبويه .

وإلى صاحب خُراسان في أمرٍ خالفه فيه : اشترِ بعضَ دينك ببعضٍ وإلاّ ذهب كله .

وإلى عامله بالكوفة : أمِط الحدود عن ذوي المروءات .

وفي قصّة متظلّم : أنا معك .

وفي قصّة قوم رفعوا على عامل رفيعةً[2] : مَن أماله الباطل قَوّمه الحق .

وفي قصّة مُستمنح : لك المُواساة .

وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة : النساء محارمهم دونك .

---

١ الداعر : الخبيث .

٢ الرفيعة : ما رفع به على الرجل .

وفي قصّة سارق : القَطع جزاؤك .

وفي قصّة امرأة حُبس زوجُها : حُكمه إلى الله .

وفي قصة قوم نَقبوا : تُنقب ظُهورهم .

وفي قصّة نبّاش : يُدفن حيّاً في قبره .

وفي قصّة متظلّم : الحقُّ يَسعك .

وفي قصّة مُتَنَصّح :

مهلاً فقد أبلغت أسماعي

وفي قصّة متظلم : كُفيت .

وفي قصة رجل شكا إليه عُقوق ابنه : ربما كان عُقوق الولد من سوء تأديب الوالد .

وفي قصة رجل شكا الحاجة : لك في مال الله نَصيبٌ أنت آخذه .

وفي قصة رجل جارح : الجُروح قصاص .

وفي قصة محبوس : التائب من الذنب كمن لا ذنبَ له.

وفي قصة قوم شكوا غرق ضياعهم : لا نعرض فيما تفرّد الله به .

وفي قصّة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لا حُكم فيما استأثر الله به .

وقّع في كتاب أتاه من قُتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد وذَهاب الغلاّت وما حلّ بالناس من القحْط : إذا أزِفَ خراجُك فانظر لرعيّتك في مصالحها، فبيتُ المال أشدّ اضطلاعاً بذلك من الأرْملة واليتيم وذي العيْلة .

وفي كتاب قُتيبة إليه أنه على عبور النهر ومُحاربة الترك: لا تخاطر بالمسلمين حتى تعرفَ موضعَ قدمك ، ومرمى سهامك .

وفي كتاب صاحب الكوفة يُخبره بسوء طاعتهم وما يقاسي من مُداراتهم : ما ظنُّك بقومٍ قتلوا من كانوا يعْبدونه .

وفي قصة محبوس ذكروا أنه تاب : ما على المحسنين من سبيل .

وإلى قتيبة : خُذ عسكرك بتلاوة القرآن ، فإنه أمنع من حصونك .

وفي كتابه الى بعض عمّاله: إيّاك والملاهي حتى تستنظف[1] خراجَك .

وفي كتابه الى ابن أخيه : ما رَكِبَ يهوديٌّ قبلكَ مِنبراً .

وفي كتابه إلى يزيد بن أبي مُسلم : أنت أبو عُبيدة هذا القَرن .

---

[1] تستنظف : تستوفي .

ابو مسلم

وقّع في كتاب سليمان بن كثير الخزاعيّ: لِكلّ نبأ مستقرّ وسوف تعلمون .

وإلى أبي العبّاس في يزيد بن عمر بن هُبيرة: فَلّ طريقٌ سهل تُلقى فيه الحجارة إلاّ عاد وَعراً، واللهِ لا يَصلُح طريقٌ فيه ابن هبيرة أبداً .

وإلى ابن قَحطبة: لا تنسَ نصيبك من الدنيا .

وإليه: ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة .

وإليه: لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار .

وإلى محمد بن صول ، وكتب إليه بسلامة أطرافه: وأمّا بنعمة ربّك فحدّث .

وكتب إليه قَحطبة: إن بعض قوّاده خَرج إلى عسكر ابن ضُبارة راغباً ، فوقّع في كتابه: « ألم ترَ إلى الذين بَدّلوا نِعمَة الله كُفراً » الآية .

وإلى عامله ببَلْخ: لا تؤخّر عمل اليوم لغد .

وإلى أبي سَلَمة الخلاّل حين أنكر نيّته: وإذا لَقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلَوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم .

وقّع في قصّة محبوس : لكلّ أجل كتاب .

وفي مثله : العَدْل يوبقه[1] ، والتّوبة تُطلقه .

وفي قصة مُتَنَصّح : بعضُ الصّدق قَبيح .

والى بعض عُماله : قد كَثُر شاكوك ، وقَلّ شاكروك ، فإما عدَلت ، وإما اعتزلت .

وفي قصة رجل شكا بعضَ خَدمه : خُذ بأذنه ورأسه فهو مالُك .

وإلى عامل فارس في رجل كتب إليه بالوَصاة : كُن له كأبيه لو كان مكانَك .

وإلى عامل مصر في رجل من بطانته يوصيه : إنه رَغب إلى شِعبك ، فارغب في اصطناعه .

وفي قصة متظلّم من بعض عُمّاله : إنّني ظلمتُك دونه .

وفي قصة محبوس : الجنايةُ حبَسته ، والتوبةُ تُطلقه .

وإلى قوم : عيَن الخليفة تَكلَؤكم ، ونَظره يَعمّكم .

وفي رُقعة صارورة استأذنه في الحج : مَن سافر إلى الله أنجح .

---

[1] يوبقه : يحبسه .

وفي قصة رجل شكا عزوبة : الصّوم لك وِجاء[١] .

وفي رقعة رجل سأل ولاية : لا أولّي بعضَ الظالمين بعضاً .

وفي قصة رجل سأله أنْ يُقفِل ابنَه فقد طالت غَيبته عنه : غَيبة يوسف صلّى الله عليه وسلّم كانت أطولَ .

وفي قصة رجل تظلّم من بعض عُمّاله : أنا لمثله حتى يُنصفك .

وفي قصة قوم شكوا سوء جِوار بعض قرابته : يَرحل عنكم .

وفي قصة مُستمنِح قد كان وَصلَه مراراً : دَع الضَّرْع يَدِرّ لغيرك كما دَرّ لك .

وإلى الفضل بن الربيع ، وجاءه منه كتاب غَمّه وأكربه : كَثرة مُلاحاة الرجال ربما أراقت الدّماء .

وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : لم نَزرعك لِنَحصدك .

وإلى بعض عُمّاله : اجعل وسيلتَك إلينا ما يَزيدك عندنا .

وإلى بعض نُدمائه : لا تَبعد عمن ضَمّك .

ووقّع إلى مُتَنصِّل من ذنب : حُكْم الفَلتات خلافُ حُكْم الإصرار .

---

٢ الوجاء : القطع بالسكين .

الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن : احمد الله يا أخي ، فما يَبيتُ خليفة الله إلا على ذِكْرك .

وإلى طاهر : لِخَيْرٍ ما اتَّضَعتَ .

وإليه : لشرٍّ ما سموتَ .

والى هرثمة ، وأشار عليه برأي : لا يُحلّ ما عقدت .

وفي قصة متظلّم : كفى بالله للمَظلوم ناصراً .

وفي قصة رجل نقَب بيتَ المال : يُدرأ عنه الحدّ إن كان له فيه سَهم .

ووقّع إلى حاجبه : تمهّل وتَسهّل .

وإلى صاحب الشّرطة : ترَفّق توفّق .

والى رجل شكا غَلبة الدّين : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسنَشفعها بمثلها ليَرغب المُستمنحون .

وفي قصة مُتظلّم : طِبْ نفساً فإن الله مع المظلوم .

وإلى رجل شكا إليه الدّين : الدّين سوء يَهيض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه .

وفي قصة قوم قطعوا الطريق : « إنما جَزاءُ الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويَسعَون في الأرض فساداً » الآية .

وفي امرئ قاتلٍ شَهِد عليه العدول فشُفع فيه : كتابُ الله أحقّ أن يُتّبع .

وفي قصة رجل شُهِد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضرب دون الحدّ ويُشهَّرُ ضَربه .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقّع في قصة متظلّم : يُنظَر فيما رَفع : فإن الحقّ منبع، وإلا فشفاء السقيم دواء السقم .

وفي قصة قوم تَظلّموا من واليهم : الحقُّ أولى بنا ، والعدل بُغيتنا ، وإن صَحّ ما ادعيتم عليه صَرفناه وعاقبناه .

وفي قصة امرأة حُبس زوجها : الحقُّ يحبسه والإنصاف يُطلقه .

وفي رُقعة رائد : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك في الاستحقاق ، وفوق الكِفاية مع الاقتصاد .

وكَتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيتُ في النّوم أني راكبٌ فرَساً ،
ولي وصيفٌ ، وفي كفّي دنانيرُ

فقال قومٌ لهم فَهْمٌ ومَعرفةٌ :
رأيتَ خيراً ، وللأحلام تعبيرُ

رؤياكَ فسّر ، غداً ، عند الأمير تجدْ
في الحلمِ خيراً ، وفي النّومِ التباشيرِ

فوقّع في أسفل كتابه : أضغاثُ أحلامٍ وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين . وأطلق له ما التمسه .

ودخل بعضُ الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مَروان فأنشده :

أغفيتُ عند الصبح ، نومَ مُسَهَّد ،
في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها

فرأيتُ أنّكَ رُعتني بوليدةٍ
رُعبوبةٍ ، حَسَنٍ عليَّ قيامُها[1]

وببَدرةٍ ، حُمِلت إليَّ ، وبَغلةٍ
دَهماء ، مُشرفةٍ ، يصِلُّ لِجامُها

فدعوتُ ربّي أن يُثيبكَ جنّةً ،
عِوضاً ، يُصيبكَ بَردُها وسلامُها

ليتَ المنابرَ يابنَ مروانَ النّدى ،
أضحت ، وأنتَ خطيبُها وإمامُها

---

١ رعبوبة : بيضاء حسنة .

فقال له عبد الملك بن بشر : في كلّ شيء أصبتَ إلاّ البغلة ، فإني لا أملك إلاّ شهباء .

فقال له : امرأتي طالق إن كنت رأيتها إلاّ شهباء ، إلا أنني غلِطت .

طاهر بن الحسين

وقّع في كتاب رجل تظلّم من أصحاب نَصر بن شَبيب : طلبتَ الحق في دار الباطل .

وفي قصة رجل طلب قَبالة[1] بعض أعماله : القَبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت صلاحاً ما كنتَ لها موضعاً .

وإلى السّندي بن شاهك ، وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه : عش ما لم أرك .

وإلى خُزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصّنيعة باستدامتها ، وإلى الغاية ما جرى الجواد ، فحُمِد السابق ، وذُمّ الساقط .

وإلى العباس بن موسى الهادي ، واستبطأه في خراج ناحيته :

وليس أخو الحاجاتِ من بات نائماً ،
ولكن أخوها من يبيتُ على رَحْلِ

---

١ القبالة : الكفالة .

وفي رُقعة مُتنصِّح : سننظر أصدقتَ أم كنتَ من الكاذبين .

وفي قصة محبوس : يُطلق ويُعتق .

وفي رُقعة مُستوصل : يُقام أوَده .

وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عُبيد : أبا عثمان ، أعِنّي بأصحابك ، فإنهم أهلُ العدل ، وأصحابُ الصدق ، والمؤثرون له . فوقّع في كتابه : ارفَع عَلَمَ الحق يَتبعك أهله .

توقيعات العجم

وقّع أرْدشير في أزمة عمّت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملك ورعيتُه محزونون .

ثم أمر ففرّق في الكُور جميعَ ما في بيوت الأموال .

•

ورفع رجل الى كِسرى بن قُباذ رُقعة يخبره فيها أن جماعة من بطانته قد فسدت نيّاتهم وخَبُثت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان . فوقّع في أسفل كتابه : إنما أملك ظاهرَ الأجسام لا النيّات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السّرائر .

•

ووقّع كسرى في رقعة مدح : طوبى للممدوح إذا كان للمَدح مستحقاً ، وللداعي إذا كان للاجابة أهلاً .

وكتب إليه متنصّح : إن قوماً من بطانته اجتمعوا للمنادمة ، فعابوه وثلّموه . فوقّع : لئن كانوا نطقوا بألسنة شتّى لقد اجتمعت مساويهم على لسانك ، فجُرحك أرْغب[1] ، ولسانك أكذب .

---

١ أرغب : أوسع .

ورفع إليه جماعةٌ من بطانته رُقعةً يشكون فيها سُوء حالهم . فوقّع : ما أنصفكم مَن إلى الشكيّة أحوجكم ؛ ثم فرّق بينهم ما وسعهم وأغناهم .

•

ووقّع أنوشروان الى صاحب خراجه : ما استُغزِر الخراج بمثل العَدْل ، ولا استُنْزِر بمثل الجَوْر .

ووقّع في قصة رجل تظلّم منه : لا ينبغي للملك الظلم ، ومِن عنده يُلتمس العَدل ، ولا البخلُ ، ومن عنده يُتوقّع الجُود ؛ ثم أمر بإحضار الرّجل وقعد معه بين يدي المُوبذ[1] .

ووقّع في قصّة محبوس : مَن ركب ما نُهي عنه حيل بينه وبين ما يَشتهي .

ورَفع إليه بعض خَدمه رقعةً يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف كذبه ، فوقّع : إنّ الله خفّف ظهرك فثقّلته ، وأحسن إليك فكفّرته ، فتُبْ إلى الله يَتُبْ عليك .

ووقّع في قصّة رجل سَعى إليه بباطل : باللسان احفظ رأسَك .

---

١ الموبذ : فقيه الفرس .

ووقّع في قصّة رجل ذكر أنّ بعض قرابة المَلك ظلَمه وأخذ مالَه : لا تَصلح العامّة إلا ببَعض الحَيْف على الخاصة، فإن كنتَ صادقاً أبحتُك جميع ما يَملكه .

فلم يتظلّم بعدها أحدٌ من قرابته .

•

فصول في المودة

كتب عبدُ الرحمن بن أحمد الحرّاني إلى محمد بن سَهل : أعزّك الله ، إنّ كل مجازاة قاصرةٌ عن حق السابق إلى افتتاح الوُدّ ، وقد علمتَ أنّني استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تستدعِه ، واعتمدتُك من الرّغبة فيك بما لم تُولِه .

•

وفصلٌ لأبي عليّ البَصير : قد أكّد الله بيننا من الودّ ، ما نأمن الدهرَ على حل عَقده ، ونَقض مرائره ، وما يَستوي فيه ثقتنا بأنفسنا لك ، وثقتنا بما عندك .

وفصل له : الحالُ فيما بيننا تحتمل الدالّة ، وتوجب الأنس والثّقة ، وبَسْط اللسان بالاستزادة ، وأنا أمُتُّ إليك بالحُرمة المتقدّمة ، والأسباب المؤكّدة ، التي تُحلّ صاحبها محلّ خاصة الأهل والقرابة .

•

وفصل لابراهيم بن العباس : المودّة يجمعنا حبلها ، والصناعةُ تؤلّفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخٍ في لِقاء ، أو تخلّف في

مُكاتبة ، موضوع بيننا يجب العُذر فيه .

•

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبٌّ إليك ، سامي الطّرف نحوك ، وذِكرك مُلْصَق بلساني ، واسمُك حلْو على لهواتي ، وشخصُك ماثلٌ بين عيني ، وأنت أقربُ الناس من قلبي ، وآخذُهم بمجامع هواي .

وفصل له : لنحنُ أحقّ بابتدائك بما ابتدأتنا به من الصّلة ، إلا أنك أحقُّ بالفَضل الذي سبقت إليه .

•

وفصل لسعيد بن حميد : إنّني أهديتُ مودتي إليك رغبةً ، ورَضيتُ بالقَبول منك مثوبةً ، فصِرتَ بقَبولها قاضياً لحق ، ومالكاً لرقّ ، وصرتُ بالتسرّع إلى الهديّة ، والتّنظّر للمَثوبة ، مُرتهن اللّسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إني صادفت منك جوهرَ نفسي ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لأنّ النفس يقود بعضُها بعضاً .

وقال أبو العتاهية :

وللقَلب على القلب دليلٌ ، حين يَلْقاه
وللنّاسِ مِنَ النّاس مَقاييسٌ ، وأشباه

وفصل له : لساني رَطْب بذكرك ، وقلبي مَعْمور بمحبتك ، حضرتَ أو غِبْتَ ، سِرتَ أو أقمتَ ، كقول مَعْقل أخي أبي دُلف :

لعمري ، لئن قَرَّت بقُرْبك أعينٌ ،
لقد سَخِنَت بالبَيْن منك عيونُ

فسِر ، أو أقِم ، وَقْفٌ عليك مودّتي ،
مكانُك من قلبي عليك مَصون

•

وفصل لابراهيم بن المهديّ : كتابي إليك كتاب مُخبر وسائل ؛ فأمّا الاخبار ، فعن تصرُّف الخطوب بما يُوجب العُذر عند صديقي العزيز عَليَّ في إبطائي بالتعهّد له ؛ وأما السؤال ، فعن إمساك هذا الأخ الوَدود المَودود عن مثل ذلك ؛ وإنّ العُذر كاشفٌ ما سَلَف ، مُصلح لما استؤنف .

•

فصول في الزيارة

كتب الحسين بن الحسن بن سَهل إلى صديق له : نحن في مأدُبة لنا تُشرف على روضة تُضاحك الشمسَ حُسناً ، قد باتت السماء تَطلّها[1] ، فهي شَرِقة[2] بمائها ، حالية بنُوّارها ، فبادر إلينا لنكون على سواء من استمتاع بعضنا ببعض .

فكتب إليه: هذه صفة لو كانت في أقاصي الأطراف لوجب انتجاعُها ، وحثُّ المطيّ في ابتغائها ، فكيف في موضع أنت تَسكنه، وتَجمع إلى أنيق مَنظره، حُسْنَ وجهك، وطيّب شمائلك ، وأنا الجواب .

•

وفصل: كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي إلى أحمد بن يوسف في المَصير إليه ، وعند أحمد بن يوسف إبراهيمُ بن المهديّ ، فكتب إليه: عندي من أنا عنده، وحُجّتنا عليك إعلامُنا إياك.

•

١ تطلها : تقطر عليها الطل ، الندى .
٢ شرقة : غاصّة .

وفصل: إنه مَن ظمىء شوقه من رؤيتك، استوجب الرّي من زيارتك . ثم كتب تحت هذا :

سِرْ إلينا تَفْديك نَفسي من السُّوء،
فقد طال عَهْدُنا بالتّلاقي

واجعلنْ ذاك، إن رأيتَ، جوابي،
فلقد خِفتُ سَطْوة الاشتياق

•

وفصل : إلى الله أشكو شِدّة الوَحشة لغَيْبتك، وفَرْط الحزْن من فِراقك، وظُلْم الأيام بَعدك، وأقول كما قال بعضُ المُحدثين :

غَضارة دُنيا أظلم العيشُ بعدَها،
وعند غروب الشمس يُعرَف فَقْدُها

•

وفصل : الشوقُ إليك وإلى عهد أيّامنا التي حَسُنت بك حتى كأنها أعياد، وقَصُرت بك حتى كأنها ساعات، يفوت الصّفات؛ ومما يجدّده ويُكثر دواعيه تَصاقُب الدّيار، وقُرب الجِوار، تَمّم الله لنا النّعمة المجدّدة فيك بالنّظر إلى الغرّة

المُبار كة ، التي لا وَحشة معها ولا انس بعدها .

•

وفصل : مَثلُنا ، أعزّك الله ، في قُرب تجاورنا ، وبُعد تزاورنا ، ما قِيل في أهل القُبور :

هُمُ جيرةُ الأحياء ، أمّا مزارُهم
فدانٍ ، وأما المُلتقى فبعيدُ

وكل عِلّة معك مُحتمَلة ، وكل جَفْوة مغفورة ؛ للشّغف بك ، والثّقة بحُسن نيّتك ، وسنأخذ بقول أبي قَيس بن الأسْلت :

ويُكْرِمها جاراتُها ، فيزُرْنَها ،
وتَغْفل عن إتيانهنّ ، فتُعْذَرُ

•

وفصل : كتب حَكيم إلى حَكيم : يا أخي ، إنّ أيام العُمر أقلُّ من أنْ تحتمل الهَجْر ، والسلام .

•

وفصل : كتب أحمدُ بن يوسف : لا تجوز قَطيعة الصديق لأنها لا تخلو من أحد وَجْهين : إمّا ضعف في نفس الاختيار ،

وإمّا مَلل . وكلاهما لا حُجة فيه .

•

وفصل : طال العهدُ بالاجتماع حتى كِدْنا نَتناكر عند الالتقاء ، وقد جعلك الله للسُّرور نِظاماً ، وللأنس تماماً ، وجَعل المَشاهد موحِشة إذا خَلَت منك .

•

وكتب الحسنُ بن وَهب إلى محمد بن عبد الملك الزيّات :

أوجبَ العُذر ، في تراخي اللّقاء ،
ما توالى مِن هذه الأنواءِ

فسلامُ الإله أهديهِ منّي ،
كُلَّ يومٍ ، لسيّدِ الوُزراء

لستُ أدْري ماذا أقول وأشكو
مِن سماء ، تَعوقُني عن سَماء

غيرَ أني أدعو على تِلك بالثّكل ، وأدعو لهذه بالبَقاء

•

وقال آخر :

أزور محمداً ، فإذا التقينـــا
تكلّمت الضمائرُ في الصّدورِ

فأرجع لم أُلمه ولم يَلُمني ،
وقد رضي الضّمير عن الضّمير

•

فصول في وصاة

كتب الحسنُ بن وَهب إلى مالك بن طَـوق في ابن أبي الشّيص : كتابي إليك خططتُـه بيميني ، وفرّغت له ذهني ، فما ظنّك بحاجة هذا موقعُها مني ؟ أتراني أقبل العُذر فيها ، أو أقصّر في الشكر عليها؟ وابن أبي الشّيص قد عرفته وعرفت نسبه وصفاته، ولو كانت أيدينا تَنبسط ببرّه ما عدانا إلى غيرنا، فاكتفِ بهذا منا .

•

وفصل : كتابي إليك كتاب مَعنيّ بمن كُتب له ، واثق بمن كُتب إليه ، ولَن يَضيع بين الثقة والعناية حاملُه .

•

وفصل : كتب العتّابي فكاد أن يُخِـلّ بالمعنى من شدّة الاختصار ، فكتب : حاملُ كتابي إليـك أنا ، فكن له أنا ، والسلام .

•

وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن

تحريكي إياك في أمره ، فإنّ الصنيعة حُرمة للمَصنوع إليه ، ووسيلةٌ إلى مُصطنِعه ، فبسَط الله يدَك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووَصل بك أسبابها .

وفصل له : مُوصِل كتابي إليك أنا، فكُن له أنا ، وتأمّله بعين مُشاهدتي وخُلّتي ، فلسانُه أشكرُ ما آتيتَ إليه ، وأذمُّ ما قصرتَ فيه .

•

فصول في عتاب

كتب أحمد بن يوسف: لولا حُسن الظنّ بك، أعزّك الله، لكان في إغضائك عنّي ما يَقبضني عن الطّلِبة إليك، ولكنْ أمسك برَمق من الرّجاء عِلمي برأيك في رِعاية الحق، وبَسطُ يدك إلى الذي لو قبضتَها عنه لم يكن له إلا كَرمُك مُذكِّراً، وسُؤددك شافعاً.

•

فصل: ما أبعد البُرءَ من مريض داؤه في دوائه، وعِلّته في حِمْيته، وأنا منك كالغاصّ بالماء لا مَساغ له. وكما قال الشاعر:

كنتُ من كُرْبتي أفِرُّ إليهم،
وهمُ كُربتي، فأين الفِرارُ؟

•

فصل: أنا مُنتظرٌ واحدةً من اثنتين: عُتبَى[1] تكون منك، أو عُتبي تُغني عنك.

•

---

[1] العتبى: الرضا.

فصل: أما بعد، فقد كنتَ لنا كلَّك، فاجعل لنا بعضَك، ولا نرضى إلا بالكل لك منا.

•

فصل: أنا أبقي على وُدك من عارض يغيّره، أو عتاب يقدح فيه، وآمُلُ عائداً من حُسن رأيك يغني عن اقتضائك.

•

فصل: ألهمك الله من الرُّشد بحَسب ما مَنحك من الفَضل. ولو أنَّ كل مَن نَزع إلى الصَّرم قلّدناه عِنان الهَجر لكُنّا أولى بالذَّنب منه، ولكِنّا نرد عليك من نفسك، ونأخذ لها منك.

•

فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين: أما بعد، فقد عاقَني الشكُّ في أمرك عن عزيمة الرأي فيك. ابتدأتَني بلُطف عن غير خِبرة وأعقَبته جفاء من غير ذنب، فأطمَعني أوّلُك في إخائك، وآيسني آخرُك من وفائك، فسبحان من لو شاء لكَشف من أمرك عن عزيمة الرّأي فيك، فأقمنا على ائتلاف، أو افترقنا على اختلاف.

•

فصل: إذا جعلتَ الظنَّ شاهداً تُعدّل شهادته، بعد أن

جعلته حَكماً يحيف في حكومته ، فأين المَوئل من جورك ، ولستُ أسلك طريقاً من العَتب عليك ، إلاّ سدّه ما أنطوي عليه من مودّتك . ولا سبيل إلى شكايتك إلاّ إليك ، ولا استعانة إلاّ بك ، ومـا أحقّ مَن جعلك على أمره عوناً أن تكون له إلى النجاح سبباً . وقال الشاعر :

عجبتُ لقلبكَ كيف انقلبْ ،
ومن طولِ وُدّك، أنّى ذهَبْ ؟

وأعجبُ مـن ذا ، وذا ، أنّني
أراكَ بعينِ الرّضا في الغضب

•

وفصل : إن مسألتي إليك حوائجي مع عَتبك عـلـيّ لمن اللؤم ، وإنّ إمساكي عنها في حال ضرورة إليها مع عِلمي بكرمك في السُّخط والرّضا لـَعجز؛ غيرَ أنّي أعلم أن أقرب الوسائل في طلب رضاك مُساءلتُك مـا سنح من الحاجة ، إذ كنتَ لا تجعل عَتْبك سبباً لمنع مَعروفك .

•

وفصل : لو كانت الشُّكوك تَختلجني في صِحّة مودّتك ، وكريم إخائك ، ودوام عهدك ، لطال عَتبي عليك في تواتر

كتْبي واحتباس جواباتها عني ؛ ولكنَّ الثقة بما تقدّم عندي تعذرك ، وتحسّن ما يُقبّحه جفاؤك ، والله يديم نعمته لك ولنا بك .

•

وفصل لابن المدبّر : وَصل كتابُك المفتتَح بالعِتاب الجميل ، والتّقريع اللّطيف : فلولا ما غلَب عليَّ من السرور بسلامتك لتقطّعتُ غمّاً بعتابك الذي لَطُف حتى كاد يخفى عن أهل الرّقّة والفِطنة ، وغَلُظ حتى كاد يفهمه أهلُ الجهل والبَلَه . فلا أعدمني الله رضاك مُجازياً على ما استحقّه عتبك ، وأنت ظالم فيه ، فهو وليُّ المخرج منه .

•

وقال أبو الدرداء : عتابُ الأخ خيرٌ من فقده .

•

وقال الشاعر :

إذا ذهب العتابُ ، فليس وُدٌّ ،
ويبقى الوُدُّ ما بَقِي العِتابُ

•

وقال آخر في هذا المعنى :

إذا كنتَ تغضبُ من غير ذنبٍ ،
وتعتبُ في كلّ يومٍ عليّا

طلبتُ رِضاك ، فإن عزّني
عددتُك ميتاً ، وإن كنتَ حيّا

فلا تعجبنّ بما في يديك ،
فأكثرُ منه الذي في يديّا

•

وفصل في عتاب : العِتابُ قبل العقاب ، فليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدُك بعد وعدك .

•

وفصل : قد حميتُ جانبَ الأمل فيك ، وقطعتُ أسباب الرجاء منك ، وقد أسلمني اليأسُ منك إلى العزاء عنك ، فإن ترغَب من الآن فصَفح لا تَثريب معه ، وإن تماديتَ فهجرٌ لا وَصل بعده .

•

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وعظيمِ أملي فيك ، ما أتيتُ فيما بيني وبينك ذنباً مخطئاً ولا متعمّداً ، ولعلّ فَلتة لم أُلْقِ لها بالاً فأوطىء لها اعتذاراً ، وإن تكن فَنَفْثة حاسد زَخرفها عليّ لسان واشٍ نَبذها إليك في بعض غِرّاتك أصابت مني مَقْتلاً ، وشَفت منه غليلاً .

•

وفصل : ليس يُزيلني عن حُسن الظن بك فِعلٌ حَملك الأعداء عليه ، ولا يَقطعني عن رجائك عَتْبٌ حَدث منك عليّ ، بل أرجو أن يتقاضى كَرَمُك إنجاز وَعْدك ؛ إذ كان أبلغَ الشُّفعاء إليك ، وأوجبَ الوسائل لديك .

•

وفصل : أنت ، أعزّك الله ، أعلم بالعفو والعُقوبة من أن تجازيني بالسُّوء على ذَنب لم أجْنه بيد ولا لسان ، بل جَناه عليّ لسان واشٍ . فأما قولُك إنك لا تُسَهّل سبيل العُذر ، فأنت أعلم بالكَرم ، وأرعى لحُقوقه ، وأعرف بالشّرف ،

وأحفظُ لذماماته[1] من أن تَرُدَّ يد مؤمِّلك صِفراً من عفوك إذا التمسه ، ومن عُذرك إذا جعل فضلَك شافعاً فيه ، وذريعة له .

•

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مَغفرته ، إذا ضاقت بالمُذنب معذرته .

•

وفصل : يا أخي ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام عليَّ ، وسوء أثر الدهر عندي ، وأني مُعلّق في حبائلِ من لا يعرف موضعي ، ولا يحلو عنده موقعي ، أطلبُ منه الخلاص فيزيدني كَلفاً ، وأرتجي منه الحقّ فيزداد به ضَنّاً ، فالثّواءُ ثواء مقيم ، والنيّة نيّة ظاعن ، والزّماع[2] زماع مُرتحل .

ما أذهب إلى ناحية من الحِيلة إلا وجدتُ من دونها مانعاً من العوائق ، فأحمل الذنبَ على الدهر ، وارجع إلى الله بالشّكوى ، وأسأله جميلَ العُقبى ، وحُسن الصبر .

---

١ ذماماته : عهوده ، واحدتها ذمامة .
٢ الزماع ، من ازمع الشيء : عزم عليه .

فصول في حسن التواصل

للمُفضل أن يَخُص بفضله مَن شاء ، وله الحمد فيما أعطى ، ولا حُجة عليه فيما مَنع. وكُنْ كيف شئت، فإني قد أوليتك خالصةَ سريرتي ، أرى ببقائك بقاءَ سُروري ، وبدوام النّعمة عندك ، دوامَها عندي .

•

وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن الذّريعة إليك، والاستعانة عليك، لأن حُسن الظن فيك وتأميلَ نُجح الرّغبة إليك، فوق الشفعاء عندك .

•

وفصل : قد أفردتُك برجائي بعد الله ، وتعجّلت راحة اليأس ممن يجود بالوعد، ويَضنُّ بالإنجاز، ويحسّن الفضل ويزهد في أن يتفضل ، ويَعيب الكَذب ولا يَصدق .

•

وفصل : ضَعْني ، أكرمك الله ، من نَفسك حيثُ وضعتُ نفسي من رجائك ، أصاب الله بمعروفك مواضعَه ، وبسط بكل خيرٍ يدك .

•

وفصل : لا أزال ، أبقاك الله ، أسأل الكتابَ إليك . فمرّة أتوقّف توقّف المُخفّف عنك من المؤونة ، ومرّة أكتب كتاب الراجعِ منك إلى الثقة ، والمُعتمد منك على المِقة[1] .

لا أعدمنا الله دوام عزّك ، ولا سَلب الدنيا بهجتها بك ، ولا أخلانا من الصّنع لك ، فإنا لا نعرف إلا نِعمتك ، ولا نجد للحياة طَعْماً إلا في ظِلك ، ولئن كانت الرّغبة إلى نفر من الناس خَساسة وذُلاً ، لقد جعل الله الرّغبة إليك كرامة وعزّاً ، لأنك لا تعرف حُرّاً قعد به دهرُه إلا سَبقْتَ مسألته بالعطيّة ، وصُنْت وجهه عن الطلب والذلّة .

•

وفصل : لي عليك حقُّ التأميل في الزيادة بما ابتدأتَ من المعروف ، ولك عليّ حقُّ الاصطناع والفضل ، والتنويه بالاسم والشكر ، وليس يمنعني عِلمي بزيادة حقك على ما أبلغه من شكرك من مُساءلتك المزيد ، إذ كنتُ قد انتهيتُ إلى ما بلغه المجهود ، وخرجتُ من منزلة الإضاعة والتقصير ، وإذ كنتَ تسمح بالحقّ عليك ، وتطيب نفساً عن حقك ، وتُنكر اليسير ، ولا تُكلّف أحداً شكرك على الكثير .

•

---

[1] المقة : المحبة .

وفصل : لك ، أصلحَك الله ، عنـدي أيادٍ تَشفع لي إلى محبّتك ، ومعروفٌ يُوجب عليك الرَّبّ[1] والإتمام .

•

وفصل : أنا أسأل الله أن يُنجز لي ما لم تزل الفراسة تَعِدُنيه فيك .

•

وفصلٌ : قد أجلّ الله قدرك عن الاعتـذار ، وأغناك في القول عن الاعتلال، وأوجب علينا أن نَقنع بما فعلتَ ، ونرضى بما أتيت ، وصلتَ أو قطعتَ .

•

---

١ الرب : الزيادة .

فصول في الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراسانيّ ، فكان في فصل منه : لو لم يكن من فَضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة منتظرة لها ، لَكفى .

ثم قال لمحمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟

قال : كأنهما قُرطان بينهما وجه حسن .

•

وفصل للحسن بن وهب : مَن شكرك على درجة رفعتَه إليها ، أو ثروة أفدتَه إياها ، فإن شكري لك على مهجة أحييتَها ، وحُشاشة أبقيتها ، ورَمَق أمسكتَ به ، وقُمتَ بين التَّلف وبينه .

فلكلّ نعمة من نِعم الدُّنيا حدٌّ تنتهي إليه ، ومَدًى يُوقف عنده ، وغايةٌ من الشكر يسمو اليها الطَّرف ، خلا هذه النِّعمة التي قد فاقت الوصف ، وطالت الشُّكر ، وتجاوزت كل قَدر ، وأتت مِن وراء كل غاية ، ردّت عنّا كيدَ العدوّ ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ منها إلى ظلٍّ ظليل ، وكَنفٍ كريم .

فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجتهد ؟

•

وقال ابراهيم بن المهدي يشكر المأمون :

رددتَ مالي ولم تَمنُن عليّ به ،
وقبل ردِّك مالي قد حقَنتَ دمي

فأبتُ منكَ ، وقد جلّلتني نِعَماً ،
هي الحياتانِ من موتٍ ومن عدمِ

فلو بذلتُ دمي أبغي رضاك به ،
والمالَ ، حتى أسُلّ النعلَ من قدمي

ما كان ذاك سوى عاريّة رجعت
إليك ، لو لم تُعِرها كنتَ لم تُلَمِ

البرُّ بي منك وَطّى العُذر عندك لي ،
فيما أتيتُ ، فلم تعتب ولم تَلُمِ[1]

وقام علمُك بي ، يحتجّ عندك لي ،
مقامَ شاهد عدلٍ غير متّهمِ

---

١ وطّى ، سهّل وطأ : مهّد .

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العبّاس : وصل كتابُك فما رأيتُ كتاباً أسهل فنوناً ، ولا أملسَ متوناً ، ولا أكثرَ عيوناً ، ولا أحسنَ مَقاطع ومَطالع ، منه ؛ أنجزتَ فيه عِدَةَ الرأي ، وبُشرى الفِراسة ، وعاد الظنُّ يقيناً ، والأمل مبلوغاً ، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات .

•

فصل : الكلامُ كثيرةٌ فنونه ، قليلةٌ عيونه ؛ فمنه ما يُفكّه الأسماعَ ، ويؤنس القُلوب ، ومنه ما يحمّل الآذان ثِقلاً ، ويملأ الأذهان وحشة .

•

فصول في المدح

وكتب ابنُ مكرم الى أحمد بن المدبر: إن جميع أكفائك ونُظرائك يَتنازعونَ الفضل، فإذا انتهَوا إليك أقرّوا لك، ويَتنافسون في المنازل، فإذا بلغوك وقفوا دونك. فزادكَ الله وزادنا بك وفيك، وجَعلنا بمن يَقبله رأيُك، ويُقدمُه اختيارك، ويقَع من الأمور بموقع مُوافقتك، ويجري فيها على سبيل طاعتك.

وفصل له: إنّ من النّعمة على المُثني عليك أنه لا يخاف الإفراط ولا يأمن التقصير، ويأمن أنْ تَلحقه نَقيصةُ الكذب، ولا يَنتهي به المدحُ إلى غاية إلا وجد فضلَك تجاوزها. ومن سعادة جَدّك أنّ الدّاعي لا يعدم كثرة المُشايعين له، والمُؤمنين معه.

•

وفصل: إن مما يُطمعني في بقاء النعمة عندك، ويزيدني بصيرة في العلم بدوامها لديك، أنك أخذتَها بحقّها، واستوجبتها بما فيك من أسبابها؛ ومن شأن الأجناس أنْ تتآلف، وشأن

الأشكال أنْ تتقارب ، وكلّ شيء يَتقلقل إلى مَعدنه ، ويَحنّ إلى عُنصره ، فإذا صادف منبتَه ، ونزل في مَغرسه ، ضَرب بعِرقه ، وسمق[1] بفَرعه ، وتمكّن تمكُّن الإقامة ، وتبتّك تبتّك الطبيعة .

•

وفصل : إني فيما أتعاطى من مَدْحك كالمُخبر عن ضوء النّهار الزاهر ، والقمر الباهر ، الذي لا يَخفى على كلّ ناظر . وأيقنتُ أني حيث انتهى بي القولُ مَنسوب إلى العَجْز ، مقصّر عن الغاية ، فانصرفتُ من الثناء عليك إلى الدعاء لك ، ووكَلْتُ الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

•

وفصل لمحمد بن الجَهْم : إنك لزِمتَ من الوفاء طريقةً محمودة ، وعرفتَ مناقبها ، وشُهرت بمحاسنها ، فتنافس الإخوان فيك يَبتدرون وُدّك ، ويَتمسكون بحَبلك ، فمن أثبت الله له عندك وُدّاً فقد وُضعت خُلّته موضعَ حِرْزها .

•

وفصل لابن مكرم : السيفُ العَتيق إذا أصابه الصّدأ استغنى بالقليل من الجِلاء حتى تعود جدّته ويظهر فِرنده ، لِلين طبيعته ،

---

١ سمق : ارتفع .

وكَرَم جَوهره ، ولم أصِف نفسي لك عُجباً بل شُكراً .

وفصل له : زاد مَعْرُوفك عِندي عِظَماً ، أنه عِندك مَستورٌ حقِير ، وعِند الناس مَشهورٌ كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زاد مَعْرُوفك عِندي ، عِظَماً ،
أنّه عِنـدك مَستورٌ حقِير

تَتَناساه ، كأن لم تأتِـه ،
وهو عِنـد النّاس مَشهور كَبير

•

وفصل للعتّابي : أنت أيها الأمير وارثُ سَلفك ، وبقيّة أعلام أهل بَيْتك ، المَسدود به ثُلْمهم ، المُجدّد به قديم شرفهم ، والمُحْيا به أيام سَعْيهم . وإنه لم يَخْمل من كنتَ وارثه ، ولا دَرست آثار من كنت سالكَ سبيله ، ولا انمحت أعلام من خَلَفْته في رتبته .

•

فصول في الذم

كتب أحمد بن يوسف : أما بعد ، فإني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعرَ من طريقه إليك ؛ فالمَعروف لديك ضائع ، والشُكر عندك مَهْجور ؛ وإنما غايتُك في المعروف أن تَحقِره ، وفي وليّه أن تكفُره .

•

وكتب أبو العتاهية إلى الفَضْل بن مَعْن بن زائدة : أما بعد ، فإني توسّلت في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحَمد ، فِراراً من الفَقر ، ورجاءً للغنى ، فازددتُ بهما بُعداً مما فيه تقرّبت ، وقُرباً مما فيه تبعّدت .

وقد قَسمتُ اللائمة بيني وبينك ؛ لأني أخطأتُ في سُؤالك وأخطأتَ في مَنْعي ، أمرتُ باليأس من أهل البخل فسألتُهم ، ونُهيتَ عن منع أهل الرّغبة فمنعتَهم . وفي ذلك أقول :

فررتُ من الفَقر ، الذي هو مُدْركي ،
إلى بُخل مَحْظور السّوال ، مَنُوعِ

فأعقبني الحرمانَ ، غِبَّ مطامعي ،
كذلك مَن تَلقاه غيرَ قنوعِ

وغيرُ بديعٍ مَنعُ ذي البُخل مالَه ،
كما بَذْلُ أهل الفضل غيرُ بديع

إذا أنت كَشَفت الرجالَ وجدتَهم ،
لأغراضهم ، من حافظٍ ومُضيع

•

وفصل لإبراهيم بن المهديّ : أما بعد ، فإنك لو عرفتَ فضل الحسن لتجنّبت شَين القبيح ، ورأيتك آثَرُ القول عندك ما يضرُّك ، فكنتُ فيما كان منك ومنّا ، كما قال زُهير بن أبي سُلمى :

وذي خَطَلٍ في القول يَحسب أنه
مُصيبٌ ، فما يُلمِم به ، فهْو قائلُه

عبأتَ له حِلماً ، وأكرمتَ غيرَه ،
وأعرضتَ عنه وهو بادٍ مَقاتلُه

•

فصل: إنّ مودةَ الأشرار متصلةٌ بالذلّة والصّغار ، تَميل معهما، وتتَصرّف في آثارهما . وقد كنتُ أحِلّ مودّتك بالمحل

النّفيس، وأنزلها بالمنزل الرّفيع، حتى رأيتُ ذلتك عند الضّعة، وضَرَعك عند الحاجة، وتغيّرك عند الاستغناء، واطّراحك لإخوان الصّفاء، فكان ذلك أقوى أسباب عُذري في قَطِيعتك عند مَن يتصفّح أمري وأمرك بعين عَدْل، لا يَميل إلى هوى ولا يَرى القبيح حسناً.

•

فصل للعتّابي: تأتّينا[1] إفاقتك من سَكْرتك، وترقّبنا انتباهك من رَقدتك، وصَبرنا على تجرّع الغيظ فيك، حتى بان لنا اليأسُ من خَيرك، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك. فها أنا قد عرفتُك حقّ معرفتك في تَعدّيك لطَورك، واطّراحك حقّ من غَلِط في اختيارك.

---

١ تأتّينا: انتظرنا.

فصول في الادب

كتب سعيدُ بن حُميد : إنَّ مِن أمارات الحَزْم وصحّة الرأي في الرجل تركَه التماس ما لا سبيلَ اليه ؛ إذ كان ذلك داعيةً لعناءٍ لا ثمرة له ، وشقاء لا دَرَك فيه . وقد سمحت في أمرٍ تُخبرك أوائله عن أواخره ، ويُنبيك بَدْؤه عن عواقبه ، لو كان لهذا الخبر الصادق مُستمِع حازم. ورأيتُ رائدَ الهوى مال بك إلى هذا الأمر ميلاً أيأس مَن رَغب فيك ، ودلَّ عدوّك على مَعايبك ، وكشف له عن مَقاتلك . ولولا عِلمي بأن غِلْظة الناصح تؤدّي إلى نَفْع في اعتقاد صواب الرأي ، لكان غيرُ هذا القول أولى بك. والله يوفّقك لما يحب ، ويوفق لك ما تحبّ .

•

وفصل : أنت رجل لسانُك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ، فقدّم على نَفسك مَن قدّمك على نفسه .

•

وفصل : من أخطأ في ظاهر دُنياه وفيما يؤخذ بالعين كان أحرى أن يُخطىء في أمر دينه وفيما يؤخذ بالعَقل .

•

وفصل : قد حَسدك مَن لا ينام دون الشّفاء ، وطَلبك من لا ينام دون الظّفر ، فاشدُد حيازيمك وكُن على حَذر .

•

وفصل : قد آن أن تدعَ ما تَسمع بما تعلم ، ولا يكن غيرُك فيما يُبلّغه أوثقَ من نفسك فيما تَعرفه .

•

وفصل : لستَ بحالٍ يرضى بها حُرّ ، ولا يُقيم عليها كريم ، وليس يرضى لك بهذا إلا مَن يبتغي لك أن تَرضى به .

•

وفصل : أنت طالبٌ مُقيمٌ ، وأنا دافعٌ مُغرم[١] ، فإن كنتَ شاكراً فيما مضى فاعذر فيما بقي .

•

وفصل للعتّابي : أما بعد ، فإن قريبك من قرُب منك خيرُه ، وابن عمّك من عمّك نفعُه ، وعشيرك مَن أحسن عِشرتك ، وأهدى الناسِ إلى مَودّتك من أهدى برّه إليك .

---

١ المغرم : أسير الدين .

فصول الى عليل

ليست حالي، أكرمَكَ الله، في الاغتمام بعلَّتك حالَ المُشارِك فيها بأن ينالني نصيبٌ منها وأسلم مِن أكثرها ، بل اجتمع عليَّ منها أني مخصوص بها دونك ، مُؤلَمٌ منها بما يُؤلمك، فأنا عليل مَصْروف العِناية إلى عليل ، كأني سليم يسهر على سليم ؛ فأنا أسأل الله الذي جعَل عافيتي في عافيتك أن يخصني بها فيك ، فإنها شاملةٌ لي ولك .

•

وفصل : إن الذي يعلم حاجتي إلى بقائك ، قادر على المدافعة عن حَوْبائك[1] . فلو قلتُ إنّ الحق قد سقط عني في عِيادتك لأني عَليل بعلّتك ، لقام لي بذلك شاهدٌ عَدْل في ضميرك ، وأثر بادٍ في حالي لِعينك . وأصدقُ الخبر ما حقّقه الأثر ، وأفضلُ القول ما كان عليه دليلٌ مِن العقل .

•

وفصل : لئن تخلّفتُ عن عيادتك بالعُذر الواضح مِن العلّة لَمَا أغفلَ قلبي ذِكرَكَ ولا لساني فحْصاً عن خَبرك، فَحْص

---

١ حوباؤك : نفسك .

من تقسّم جوارحَه وصَبُك ، وزاد في ألمها ألَمُك ، ومن تتّصل به أحوالُك في السّرّاء والضّرّاء . ولمّا بلغتني إفاقتُك كتبتُ مُهنّئاً بالعافية ، مُعفياً من الجواب ، إلا بخبرِ السلامة إن شاء الله .

•

ولأحمد بن يوسف : قد أذهب الله وَصَب العِلّة ونَصَبها ، ووَفر أجْرها وثوابَها ، وجعل فيها من إرغام العدوّ بعُقباها ، أضعافَ ما كان عنده من السُّرور بقُبح أولاها .

•

فصول الى خليفة وأمير

منها : كتب الحجّاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان : يا أمير المؤمنين ، إنّ كُلّ من عنيت به فكرتك فما هو إلا سعيد يُوثر، أو شقيّ يُوتر .

●

كتب الحسنُ بن سَهْل يَصف عقل المأمون : وقد أصبح أميرُ المؤمنين محمودَ السّيرة ، عفيفَ الطّعْمة ، كريمَ الشّيمة ، مُباركَ الضّريبة[1] ، محمودَ النّقيبة ، مُوفِياً بما أخذ الله عليه ، مُضطلعاً بما حمّله منه ، مُؤدّياً إلى الله حقّه ، مُقرّاً له بنِعْمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمُر إلا عَدْلاً ، ولا ينطِق إلا فَصْلا ، راعياً لدينه وأمانته ، كافّا ليده ولسانه .

●

وكتب محمدُ بن عبد الملك الزيّات : إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذُ أمورهم ، وتقويمُ أودهم ، ورياضةُ أخلاقهم ، وأن يَميزَ بينهم ، فيقدّم مُحسنهم ، ويؤخّر مُسيئهم ، ليزدادَ

---

١ الضريبة : الطبيعة .

هؤلاء في إحسانهم ، ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم .

وفصل له : إنّ أعظمَ الحقّ حقُّ الدّين ، وأوْجبَ الحُرمة حُرمةُ المُسلمين ، فحَقِيقٌ لمن راعَى ذلك الحق وحَفِظ تلك الحُرمة أن يُراعَى له حَسَب ما رعاه الله به ، ويُحفَظ له حَسَب ما حَفظ الله على يدَيه .

وفصل له : إنّ الله أوجب لخُلفائه على عباده حقّ الطاعة والنّصيحة ، ولعَبيده على خُلفائه بَسط العَدْل والرّأفة ، وإحياءَ السُّنَن الصالحة . فإذا أدّى كلٌّ إلى كلٍّ حقّه كان سبباً لتمام المَعونة ، واتصالِ الزّيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة .

•

وفصل : ليس من نِعمة يُجدّدها اللهُ لأمير المُؤمنين في نفسه خاصّة إلا اتصلت برعيّته عامّة ، وشَملت المُسلمين كافّة ، وعظُم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم شكرُه عليها ؛ لأنّ الله جعل بنعمته تمام نِعَمتهم ، وبتَدبيره وذَبّه عن دِينه حِفْظَ حَريمهم ، وبحياطته حَقْنَ دمائهم وأمْنَ سبيلهم . فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مُؤيّداً بالنّصر ، معزّزاً بالتمكين ، مَوصول البقاء بالنّعيم المُقيم .

•

فصل : الحمد لله الذي جعلَ أميرَ المؤمنين معقودَ النيـة بطاعته ، منطوي القَلب على مُناصحته ، مشحوذ السَّيف عـلى عدوّه ؛ ثم وَهب له الظفر ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العَدوّ ، وخصّه بشرف الفُتوح شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً .

•

وفصل : أفعـال الأمـير عندنا معسولة كالأماني ، متّصلة كالأيّام ، ونحن نُواترُ الشُّكر لكريم فِعله ، ونواصلُ الدُّعاء له مُواصلة بِرّه ؛ إنه الناهض بكَلّنا ، والحامـل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

•

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولا يخلو من إحدى منزلتين ليس في واحدة منهما عُذر يوجب حجّة ، ويزيل لائمة : إمّا تقصيرٌ في عمل دعاك للإخلال بالحَزم والتّفريط في الواجب ، وإمّا مظاهرة لأهل الفساد ومُداهنـة لأهل الرّيب . وأيّة هاتين كانت منك لمُحلّة النُّكْر[1] بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أميرُ المؤمنـين من الأناة والنّظِرة ، والأخـذ بالحُجّة ، والتقدّم في الإعـذار

---

[1] النكر : الأمر الشديد .

والانذار. وعلى حسب ما أقلتَ من عظيم العثرة يجب اجتهادك في تلافي التقصير والإضاعة، والسلام.

•

وكتبَ طاهرُ بن الحسين، حين أخذ بغداد، إلى إبراهيم ابن المهديّ: أما بعد، فإنه عزيزٌ عليَّ أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغيرِ كلامِ الإمرة وسلامها، غيرَ أنه بلغني عنك أنك مائلُ الهوى والرأي للناكثِ المخلوع، فإن كان كما بلغني فكثيرُ ما كتبتُ به قليلٌ لك، وإن يكن غيرَ ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمةُ الله وبركاته.

وقد كتبتُ في أسفل كتابي أبياتاً فتدبّرها:

رُكوبُكَ الهولَ، ما لم تُلفِ فرصتَه،
جَهلٌ، رَمى بك، بالإقحام، تَغريرُ

أَهْوِنْ بدُنيا يُصيب المخطئون بها
حظّ المُصيبين، والمَغرورُ مَغرور

فازرع صواباً، وخُذ بالحَزْم حَيْطته،
فلن يُذَمّ، لأهل الحَزْم، تَدبير

فإنْ ظفرت مُصيباً، أو هَلكتَ به،
فأنتَ عند ذوي الألباب مَعذور

وإن ظَفِرتَ على جهلٍ ، فَفُزتَ به ،
قالوا جَهولٌ أعانتْه المَقادير

•

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمدُ لله مُتمّم النِّعم برحمته ، الهادي إلى شُكره بفَضله ، وصلى الله على سيدنا محمد عبدِه ورسوله ، الذي جَمع له من الفضائل ما فرّقه في الرُّسل قبلَه ، وجَعل تُراثَه راجعاً إلى من خَصّه بخلافته ، وسلّم تسليماً .

•

فصول لعمرو بن بحر الجاحظ

منها فصول في عتاب : أما بعد ، فإنّ المكافأة بالإحسان فريضة ، والتفضّلَ على غير ذوي الإحسان نافلة .

أما بعد ، فليكن السكوتُ على لسانك، إن كانت العافيةُ من شأنك .

أما بعد، فلا تزهد فيمن رَغب إليك فتكون لحظّك مُعانداً، وللنعمة جاحداً .

أما بعد، فإنّ العقل والهوى ضدّان، فقرينُ العقل التوفيق، وقرينُ الهوى الخِذلان، والنفسُ طالبة، فبأيهما ظَفِرتْ كانت في حِزبه .

أما بعد ، فإن الأشخاصَ كالأشجار ، والحركاتِ كالأغصان، والألفاظَ كالثمار .

أما بعد ، فإن القلوب أوعية ، والعقولَ معادن ، فما في الوعاء يَنفد إذا لم يُمدّه المعدن .

أما بعد ، فكفى بالتجارب تأديباً ، وبتقلّب الأيام عِظة ، وبأخلاق مَن عاشرت مَعرفة ، وبذِكرك الموت زاجراً .

أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لَذْع الغَضَب أهونُ من إطفائه بالشَّتم والقَذْع .

أما بعد ، فإن أهل النَّظر في العواقب أولو الاستعداد للنوائب ، وما عَظُمت نِعْمة امرىء إلا استغرقت الدنيا هِمَّتَه ، ومَن فَرَّغ لطلب الآخرة شُغْله جعلَ الأيام مطايا عمله ، والآخرة مَقيل مُرتحله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد في الرِّزق والأجل ، والاستغناءَ غير ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل مَن حَلُم أمسك ، وقد يُستجهل[1] الحليم حين يستخفه الهُجر .

أما بعد ، فإن أحببتَ أن تَتم لك المِقةُ في قلوب إخوانك ، فاستقلَّ كثيراً مما تُوليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة مَن لَطُف حتى كَفَّ حربَ عدوه بالصَّفح والتجاوز ، واستلَّ حقدَه بالرِّفق والتحبّب .

وكتب إلى أبي حاتم السِّجِستانيّ ، وبلغه عنه أنه نال منه :

---

١ يستجهل : يحمل على شيء ليس من خلقه ، فيغضب .

أمـا بعد ، فلو كففتَ عنّا من غَرْبك لكنّا أهلاً لذلك منك ، والسلام .

فلم يَعُد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح .

•

وله فصول في وصاة : أما بعد ، فإنّ أحقّ مَن أسعَفْته في حاجته ، وأجبته إلى طَلِبته ، مَن توسّل إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبحَ الأحدوثـة من مُستمنحٍ حَرمْتَه ، وطالبِ حاجة رددتَه ، ومُثابرٍ حَجبتَه ، ومُنبسط إليك قبضتَه ، ومُقبل إليك بعنانه لويتَ عنه . فتثبّت في ذلك ، ولا تُطِع كلّ حلاّف مَهين ، همّاز مَشّاء بنميم .

أما بعد ، فإن فلاناً أسبابُه متّصلة بنا ، يُلزمنا ذِمامُـه عندنا بُلوغَ موافقته من أياديك ، وأنت لنا موضع الثّقة من مُكافأته . فأولنا فيه ما نَعرف به موقعَنا من حُسن رأيك ، ويكون مُكافأةً لحقّه علينا .

أما بعد ، فقد أتانا كتابُك في فلان ، وله لدينا من الذّمام ما يُلزمنا مكافأته ورعايةَ حقه ، ونحن من العناية بأمره على ما يُـكافي حُرمته ، ويؤدي شكره .

•

وله فصول في استنجاز وعد : أما بعد ، فقد رَسفنا في قيود مواعيدك ، وطال مُقامنا في سُجون مَطلك ، فأطلِقنا ، أبقاك الله ، من ضيقها وشديد غمّها ، بنَعَمْ منك مُثمرة ، أو لا مُريحة .

أما بعد ، فإن شجرة مواعيدك قد أورقت ، فليكن ثمرُها سالماً من جَوائِح المَطْل .

أما بعد ، فإنّ سحابَ وعْدك قد بَرقت ، فليكن وبْلها سالماً من صواعق المَطل والاعتلال .

•

وله فصول في الاعتذار : أما بعد ، فنِعْمَ البديلُ من الزلة الاعتذار ، وبئس العِوَضُ من التّوبة الإصرار .

أما بعد ، فإنّ أحقّ من عَطفت عليه بحِلمك مَن لم يَتشفّع إليك بغيرك .

أما بعد ، فإنه لا عوضَ من إخائك ، ولا خَلَف من حُسن رأيك ، وقد انتقمتَ مني في زلّتي بجفائك ، فأطلق أسيرَ تشوّقي إلى لقائك .

أما بعد، فإنني بمَعرفتي بمبلغ حِلمك ، وغاية عَفوك ، ضمنتُ لنفسي العفو من زلّتها عندك .

أما بعد ، فإنّ مَن جَحد إحسانَك بسوء مَقالَته فيك مُكذِّب نفسه بما يبدو للنّاس منه .

أما بعد ، فقد مَسَّني من الألم بقطيعتك ما لا يَشفيه غير مواصلتك ، مع حَبْسك الاعتذار من هَفوتك ؛ ولكن ذَنبك تغتفره مودّتك ، فامنن علينا بصلَتك تكن بدلاً من مَساءتك ، وعِوَضاً من هَفْوتك .

أما بعد ، فلا خيرَ فيمن استغرقت موجدتُه عليك قَدْرَك عنده ، ولم يتّسع لهنات الاخوان صدرُه .

أما بعد ، فإن أولى الناس عندي بالصّفح مَن أسلمه إلى مِلكك التماسُ رضاك من غير مَقدرة منك عليه .

أما بعد، فإن كنت ذمَمتني على الإساءة فلمَ رَضيت لنفسك المكافأة ؟

•

وله فصول في التعازي: أما بعد ، فإنّ الماضيَ قَبْلك الباقي لك، والباقيَ بعدك المأجورُ فيك، وإنما يُوفّى الصابرون أجرَهم بغير حِساب .

أما بعد ، فإنّ في الله العزاء من كل هالك ، والخَلف من كل مُصاب ، وإنه مَن لم يتعزّ بعزاء الله تَنقطع نفسه على الدنيا حَسْرة .

أما بعد ، فإنَّ الصبر يَعقبه الأجر ، والجَزع يَعقبه الهلع ، فتمسَّك بحظّك من الصبر تَنل به الذي تطلب ، وتُدرك به الذي تأمل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظاً ، ولذَوي الألباب زاجراً ، فعليك بالتّلاوة تَنجُ مما أوعد الله به أهلَ المعصية .

•

صدور الى خليفة : وفّقَ الله أميرَ المؤمنين بالظّفر فيما قلده وأيّده ، وأصلح به وعلى يديه .

أكرم الله أميرَ المؤمنين بالظّفر ، وأيّده بالنّصر في دوام نِعمته ، وحاط الرعيّة بطول مدته .

•

صدور الى ولي عهد : مَتّع الله أميرَ المؤمنين بطُول مُدة الأمير ، وأجرى على يديه فعلَ الجميل ، وآنس بولايته المؤمنين .

مدّ الله للأمير النّعمة ، وأسعدَ بطُول عمره الأمة ، وجعله غياثاً ورحمة .

أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنّعمة والسلامة ، ومتّع به الخاصّة والعامّة .

متّع الله بسلامتِك أهلَ الحُرمة ، وجمع لك شَمل الأمة ، واستَعمَلك بالرّأفةِ والرّحمة .

•

صدور الى ولي شرطة : أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيّدك بالتثبّت ، ووفّقك للصواب .

أرشدك الله بالتوفيق ، وانطقك بالصواب، وجعلك عِصمة للدّين ، وحصناً للمسلمين .

أعانك الله على ما قلدك ، وحَفظ لك ما استعملك بما يُرضي من فعلك .

سدّدك الله وأرشدك ، وأدام لك فضل ما عوّدك .

زادك الله شرفاً في المنزلة ، وقدراً في قلوب الأمة ، وزلفة عِند الخليفة .

نصر الله بعدلك المظلوم ، وكشف بك كربة الملهوف ، واعانك على أداء الحقوق .

•

صدور الى قاضٍ : ألهمك الله الحُجة ، وأيدك بالتثبّت ، وردّ بك الحقوق .

ألهمك الله الاعتصام بحَبله بالعلم ، والتثبّت في الحُكم .

ألهمك الله الحِكمة وفَصل الخطاب ، وجعلك إماماً لذوي الألباب .

زيّن الله بفضلك الزّمان ، وأنطق بشكرك اللسان ،

وبَسط يدك في اصطناع المعروف ، وأدام الله لك الإفضال ، وحقق فيك الآمال .

•

صدور الى عالم : جَعل الله لك العِلْم نوراً في الطاعـة ، وسبباً الى النجاة ، وزُلفة عند الله .

نفع الله بعلمك المُستفيدين، وقضى بك حوائج المُتحرّمين ، وأوضح بك سُنَن الدّين ، وشرائع المُسلمين .

أدام الله لك التطوّل بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمّنك مكروه العواقب .

•

صدور الى اخوان : متّع الله أبصارنا برؤيتك ، وقلوبنا بدوام أُلفتك ، ولا أخلانا من جَميل عِشرتك ، ووَهب لك من كريم نَفسك بحسب ما تَنطوي عليـه مودّتك ، وأبهج الله إخوانك بقُربـك ، وجَمع أُلفتهم بالأنس بك ، وصَرف الله عن أُلفتنا عواقبَ القدَر ، وأعاذ صَفْو إخائنـا من الكَدَر ، وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشكر .

مَنّ الله علينا بطول مُدتك ، وآنس أيامنـا بمواصلتك ، وهنأنا النّعمة بسلامتك .

قرّب الله منّا ما كُنّا نأمُل منـك ، وجَمع شمل السّرور بك .

نزّه الله بقُربك القلوب ، وبرؤيتك الأبصار ، وبحديثك الاسماع .

أقبل الله بك على أوِدّائك ، ولا ابتلاهم بطول جفائك .

أدال الله حِرصَنا من فُتورك عنّا ، ورغبتنا فيك من تَقصيرك في أمورنا .

حَفِظ الله لنا منك ما أوحشنا فقدُه ، وردّ إلينا ما كُنّا نألفه ونَعهده .

رحم الله فاقَة الحَنين إليك ، وما بي من تَباريح الحُزن عليك ، وجَعل حُرمتنا منك ، الشّفيعَ لديك .

يَسّر الله لنا من صَفحك ما يَسع تقصيرنا ، ومن حلمك ما يردّ سخطك عنّا .

زيّن الله ألفتنا بمُعاودة صِلتك ، واجتماعنا بزيارتك .

أعادَ الله علينا من إخائك وجميلِ رأيك ما يكون معهوداً منك ، ومألوفاً لك .

•

صدور في عتاب : أنصف الله شوقنا اليك من جفائك لنا ، وأخذ لبرّنا بك من تقصيرك عنّا .

وكتب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وبلغه عنه أمر : وفّقك الله لرُشدك . بلغني كلامُك فإذا أوّلُه بَطَر ، وآخره خَوَر ، ومن أبطره الغِنى أذلّه الفقر ، وهما ضدّان مُخادعان للمرء عن عقله ، وأولى الناس بمَعرفة الدّواء من يَبِين له الداء ، والسلام .

فأجابه : طاولتْك النّعم وطاولت بك . عُلو إنصافك يؤمّن سطوة جَورِك . ذكرتَ أني نطقتُ بما تكره ، وأنا مَخدوع ، وقد علمتُ أني ملتُ إلى محبتك ولم أُخدع ، ومثلك من شكر سعي مُعتذر ، وعفا زَلّة مُعترف .

•

الكتابة والكتاب

المجنبة الثانية	٥
اول من وضع الكتابة	٨
استفتاح الكتب	١١
ختم الكتاب وعنوانه	١٢
تأريخ الكتاب	١٣
تفسير الامي	١٥
شرف الكتّاب وفضلهم	١٧
أيام ابي بكر	٢٢
ايام عمر بن الخطاب – أيام عثمان بن عفان	٢٣
ايام علي بن ابي طالب	٢٤
الدولة العباسية	٢٦
اسماء من كتب لغير الخليفة	٣٠
اشراف الكتّاب	٣٢
من نبل بالكتابة	٣٤
من ادخل نفسه في الكتابة	٣٦
صفة الكتّاب	٣٨
ما ينبغي للكاتب ان يأخذ به نفسه	٤١
خبر حائك الكلام	٤٧
فضائل الكتابة	٥٤
ما يجوز في الكتابة	٥٦

البلاغة	٧٤
تضمين الأسرار في الكتب	٧٦
قولهم في الاقلام	٧٧
قولهم في الحبر	٩٩
وفي الاقلام	١٠٠
قولهم في الصحف	١٠١
توقيعات الخلفاء	١١١
توقيعات بني العباس	١٢١
توقيعات الامراء والكبراء	١٣١
توقيعات العجم	١٤٢
فصول في المودة	١٤٥
فصول في الزيارة	١٤٨
فصول في وصاة	١٥٣
فصول في عتاب	١٥٥
فصول في التنصل	١٦٠
فصول في حسن التواصل	١٦٢
فصول في الشكر	١٦٥
فصول في البلاغة	١٦٧
فصول في المدح	١٦٨
فصول في الذم	١٧١
فصول في الأدب	١٧٤
فصول الى عليل	١٧٦
فصول الى خليفة وامير	١٧٨
فصول لعمرو بن بحر الجاحظ	١٨٣

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الأعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١

١٨ أخبار الخلفاء ٢

١٩ أخبار الخلفاء ٣

٢٠ أمراء المسلمين

٢١ أيام العرب ١

٢٢ أيام العرب ٢

٢٣ طرائف الشعراء ١

٢٤ طرائف الشعراء ٢

أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

مناهل الأدب العربي

١ جبران خليل جبران
٢ ميخائيل نعيمه
٣ احمد فارس الشدياق
٤ ولي الدين يكن
٥ امين الريحاني
٦ ابو العلاء المعري – رسالة الغفران ١
٧ ابو العلاء المعري – رسالة الغفران ٢
٨ ابو العلاء المعري – كتب مختلفة
٩ ابو العلاء المعري – اللزوميات ١
١٠ ابو العلاء المعري – اللزوميات ٢
١١ بطرس البستاني
١٢ ابراهيم اليازجي ١
١٣ ابراهيم اليازجي ٢
١٤ الشريف الرضي ١
١٥ الشريف الرضي ٢
١٦ الشريف الرضي ٣
١٧ كرم ملحم كرم
١٨ الموشحات الاندلسية ١
١٩ الموشحات الاندلسية ٢
٢٠ الموشحات الاندلسية ٣
٢١ ابن خلدون – المقدمة ١
٢٢ ابن خلدون – المقدمة ٢
٢٣ ابن خلدون – المقدمة ٣

٢٤ ابن خلدون – المقدمة ٤
٢٥ ابن خلدون – المقدمة ٥
٢٦ الامام علي – نهج البلاغة ١
٢٧ الامام علي – نهج البلاغة ٢
٢٨ الامير شكيب أرسلان
٢٩ فرح انطون
٣٠ نسيب عريضه
٣١ مصطفى لطفي المنفلوطي ١
٣٢ مصطفى لطفي المنفلوطي ٢
٣٣ معروف الرصافي ١
٣٤ معروف الرصافي ٢
٣٥ خليل مطران ١
٣٦ خليل مطران ٢
٣٧ شوقي ١
٣٨ شوقي ٢
٣٩ المتنبي ١
٤٠ المتنبي ٢
٤١ ابو فراس
٤٢ ابو نواس
٤٣ ابن خفاجة
٤٤ ابن زيدون
٤٥ ابن هاني
٤٦ عمر بن ابي ربيعة
٤٧ بشار
٤٨ ابن الرومي
٤٩ ابو تمام
٥٠ البحتري

منشوراتنا الشعرية

ظهر منها :

دیوان ابن زيدون

ديوان ابن خفاجة

ديوان الخنساء

ديوان السموأل

ديوان الحطيئة

ديوان عمر بن أبي ربيعة

ديوان ابن هاني

لزوم ما لا يلزم (اللزوميات)

سقط الزند

ديوان جميل بثينة

ديوان عروة بن الورد

ديوان النابغة الذبياني